

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ
دِيَارُ الْوَقْفِ الشَّيْعِيِّ

تراث البصرة

مَجْلَدُ فَصْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ
تُعْنِي بِالتَّرَاثِ الْبَصْرِيِّ

تصدر عن :

العتبة العباسية المقدسية
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

السَّيْنَةُ الثَّالِثَةُ - المجلد الثالث - العدد التاسع

محرم ١٤٤١هـ - أيلول ٢٠١٩م



الترقيم الدوليّ

ردمد: 2518-511X Print ISSN:

ردمد الإلكتروني: 2617-6734 Online ISSN:

07722137733 - 07800816579 Mobile:

Email: basrah@alkafeel.net

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٥٤) لسنة ٢٠١٧ م
جمهورية العراق - البصرة

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة.
تراث البصرة : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث البصري / تصدر عن العتبة العباسية
المقدسة قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية مركز تراث البصرة.-البصرة، العراق :
العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة،
1438 هـ. = 2017-

مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم

فصلية.-السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد التاسع (ايلول 2019)-.

ردمد : 2518-511X

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

1. البصرة (العراق)--تاريخ--دوريات. 2. اللغة العربية--نحو--دوريات. الف. العنوان.

LCC : DS79.9.B3 A8373 2019 VOL. 3 NO. 9

DDC : 910.45

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة المائدة: الآية (٣)




أمر جامعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة الى ما تم مناقشته في محضر مجلس الجامعة بجلسته الثالثة عشر واستنادا"
للسلاحيات المخولة لنا تقرر الاتي :

اعتماد مجلة تراث البصرة الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية
لأغراض الترقية العلمية في جامعتنا .


٢٠١٧/٧/٢٠
الأستاذ الدكتور
ثامر أحمد الحمدان
رئيس الجامعة

نسخة منه إلى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية الآداب / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- عمادة كلية التربية بنات / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- امانة مجلس الجامعة / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- قسم الشؤون العلمية / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير
- مركز تراث البصرة / العتبة العباسية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
- قسم الدراسات والتخطيط والمتابعة
- الصادرة

نجلأء //

العراق - بصرة - الكورنيش - داخلي ١٤٤

Ministry of Higher Education and
Scientific Research
AL- Muthanna University
Scientific Affairs Department



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى
قسم الشؤون العلمية

((معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب))

No:
Date :

العدد : ب ت / ٨ / ٢٠١٨
التاريخ : ٢٠١٨/٣/ ٢٥

الى / ديوان الوقف الشيعي / العتبة العباسية المقدسة / الأمانة العامة

م/تحكيم مجلة

تحية طيبة ...

أشارة الى كتابكم ذي العدد ٧٥١٢ في ٧/١ / ٢٠١٧ ، المتضمن تحكيم مجلة تراث البصرة واعتمادها لأغراض الترقية . نرفق لكم ربطاً الامر الجامعي ذي العدد ١٩٧٩ في ٢٠١٨/٣/١٩ والمتضمن اعتماد مجلة (تراث البصرة) للدراسات الانسانية والعلمية لإغراض الترقيات العلمية في جامعتنا .

للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير

أ.د. قاسم محمد حلو
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/وكالة
٢٠١٨/ ٣/ ٢٥

نسخة منه الى:

- مكتب السيد رئيس الجامعة/للتفضل بالاطلاع.. مع التقدير
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/للتفضل بالاطلاع... مع التقدير.
- قسم الرقابة والتفتيش الداخلي/للتفضل بالاطلاع .. مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية /مع الأوليات
- الصادرة ..

مسند ٣/٢٥

العراق - محافظة المثنى - السماوة - المنطقة التعليمية - جامعة المثنى

www.mu.edu.iq
Email... muthannaresearch@gmail. rdd@mu.edu.iq

موقع جامعة المثنى
البريد الإلكتروني

٢٠١٨ / ٣ / ٢٥

امـر جامـعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة إلى ماتم مناقشته في محضر مجلس الجامعة
بجلسته الثالثة عشرة المفتوحة (الجزء الثالث) للعام
الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧ بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٨ واستنادا
إلى الصلاحيات المخولة إلينا تقرر الآتي :

اعتماد مجلة (تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث
البصرة التابع للعتبة العباسية لأغراض الترقية العلمية في
جامعتنا.

الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق احمد النصيري
رئيس جامعة واسط

٢٠١٧/٨/٢١

نسخة منه الى ///
* مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع مع التقدير.
* مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
* مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.
* قسم البحث والتطوير مع الأوليات.
* قسم الشؤون المالية
* قسم الرقابة والتدقيق
* قسم الموارد البشرية
* وحدة قاعدة البيانات
* المصادر

٧٠٩٧

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي

والبحث العلمي

رئاسة جامعة واسط

قسم

البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher
Education & Scientific
Research
Presidency of Wasit
University



الرمز :
العدد : ١١٨٥

٢٠١٧/ ٨ / ٢١ م
١٤٣٩ / /

.....
/ / 201

KUT. WASIT. IRAQ
Rabee' District / University
City

www.uowasit.edu.iq
E-mail:
po@uowasit.edu.iq

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Babylon



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل

Department of Research and Development

قسم البحث والتطوير

Ref. No.:

Date: / /

العدد : ٩٩٧٠٢
التاريخ : ٢٠١٧ / ١٠ / ٢

امر جامعي

استنادا الى الصلاحيات المخولة لنا واشارة الى المادة (١٠) من تعليمات الترقيات العلمية مرقم ٣٦ لسنة ١٩٩٢ النافذة (البند الثاني) وقرار الجلسة الثانية لمجلس جامعة بابل للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ تقرير: اعتماد مجلة (تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لاغراض الترقيات العلمية في جامعتنا على ان تتقيد الجهات القائمة على تحرير المجلة بالالتزام بما يلي:

- الشروط التي منحت على اساسها صفة مجلة محكمة معتمدة من جامعة بابل وفي حالة مخالفتها للشروط المثبتة في الحضر فسوف لا تعتمد على اساس الصفة اعلاه .
- تزويدنا بنسخة من المجلة بشكل دوري .

أ. د. جادل هادي البغدادي

مؤسس الجامعة موكلة

٢٠١٧/١٠/٢

صورة منه الى:

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير ... للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .
- السيد رئيس الجامعة المحترم للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .
- السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .
- مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة ... للتفضل بالاطلاع ... مع الاحترام .
- شعبة المعلوماتية والإدارية ... مع الاحترام .
- قسم البحث والتطوير ... مع الأوليات .
- الصادرة .



Babylon_research@yahoo.com
babylon_research@uobabylon.edu.iq

www.uobabylon.edu.iq



No :

Date:



العدد : ش ع / ٥٩٢
التاريخ : ٢٠١٨ / ١ / ١٥

﴿ بجيشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى ﴾

(امر جامعي)

م / اعتماد مجلة

- إشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م . ج / ٧٧٠ س) في ٢٠١٧/١٢/٢٦ والمتضمن محضر الجلسة الثالثة للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٨/٢٠١٧ المنعقد بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٢٦ تقرر:
- قبول اعتماد مجلة تراث البصرة في الترقّيات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث والمقالات العلمية حسب المادة (١٠) من تعليمات الترقّيات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٣٦) لسنة ١٩٩٢.
 - اعتماد المجلة اعلاه لغرض الترقّيات العلمية ابتداءً من تاريخ ٢٠١٧/١٢/١٤.

أ.م.د . علي عبدالعزير الشاوي

رئيس الجامعة / وكالة

٢٠١٨/٧

نسخة منه إلى /

✳ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير.

✳ مكتب السيد رئيس الجامعة / لتتفضل بالاطلاع مع التقدير.

✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا / لتتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

✳ مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون القانونية والادارية / لتتفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

✳ الكليات كافة / مكتب السيد العميد / للاطلاع مع التقدير.

✳ الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة / كتابكم المرقم (٧٥١٤) في ٢٠١٧/٧/١.

✳ قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية ... مع التقدير.

✳ لجنة الترقّيات المركزية

✳ شعبة البريد المركزي / الصادر.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Kerbala University
Research and development
department



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
قسم البحث والتطوير
تاريخ: ٢٠١٨/٤/٢٠
العدد: ٤٣٣/٤

Issu :

No. :



العدد: ٤٣٣/٤
التاريخ: ٢٠١٨/٤/٢٥

أمر جامعي

إستناداً إلى الصلاحيات المخولة لنا وبناءاً على توصية اللجنة المشكلة في كلية التربية للعلوم الانسانية بموجب الامر الإداري المرقم د/4303/8 في 2017/12/28.
تقرر الآتي:
إعتماد مجلة تراث البصرة الصادره من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لأغراض الترقيات العلمية في جامعتنا واعتباراً من تأريخه اعلاه.

أ.د. منير حميد السعدي
رئيس الجامعة
2018/1/25

نسخة منه الى //

- مكتب السيد رئيس الجامعة المحترم...مع التقدير.
- مكتب السيد المساعد العلمي المحترم...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية.
- الصادرة .

الايمل: Scientific.affairs@uokerbala.edu.iq

المشرف العام

السَّيِّدُ أَحْمَدُ الصَّافِي

المتولِّي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة

المشرف العلمي

الشيخ عَمَّارُ الهَلَالِي

رئيس قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

رئيس التحرير

الشيخ شَاكِرُ المَحْمَدِي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعيد جاسم الزبيدي / جامعة نزوى / سلطنة عمان.

أ.د. عبد الجبار ناجي الياسري / بيت الحكمة / بغداد.

أ.د. طارق نافع الحمداني / كلية التربية / جامعة بغداد.

أ.د. حسن عيسى الحكيم / الكلية الإسلامية الجامعة / النجف الأشرف.

أ.د. فاخر هاشم سعد الياسري / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.

أ.د. مجيد حميد جاسم / كلية الآداب / جامعة البصرة.

أ.د. جواد كاظم النصر الله / كلية الآداب / جامعة البصرة.

أ.م.د. محمود محمد جايد العيداني / عضو الهيئة العلمية في جامعة المصطفى عليه السلام /

قم المقدسة.

مدير التحرير

أ.م.د. عامر عبد محسن السَّعْد

كلية الآداب / جامعة البصرة

سكرتير التحرير

د. طارق محمد حسن مطر

هيئة التحرير

- أ.د. حسين علي المصطفى / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.
أ.د. رحيم حلو محمد / كلية التربية - بنات / جامعة البصرة.
أ.د. شكري ناصر عبد الحسن / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة.
أ.د. نجم عبد الله الموسوي / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. عبد الجبار عبود الحلفي / كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة البصرة.
أ.م.د. محمد قاسم نعمة / كلية التربية - بنات / جامعة البصرة.
أ.م.د. عماد جغيم عويد / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. صباح عيدان العبادي / كلية التربية / جامعة ميسان.
أ.م.د. علي مجيد البديري / كلية الآداب / جامعة البصرة.

تدقيق اللغة العربية

د. طارق محمد حسن مطر

تدقيق اللغة الإنجليزية

الأستاذ المساعد هاشم كاطع لازم

الإدارة المالية

سعد صالح بشير

الموقع الإلكتروني

أحمد حسين الحسيني

التصميم والإخراج الطباعي

محمد شهاب العلي

ضوابط النشر في مجلة (تراث البصرة)

يسرُّ مجلة (تراث البصرة) أن تستقبلَ البحوث والدراسات الرّصينة على وفق الضوابط الآتية:

١- أن يقعَ موضوع البحث ضمن اهتمامات المجلة وأهدافها (تُعنى بقضايا التراث البصري).

٢- أن تكون البحوث والدراسات على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٣- أن يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق بحجم (A4)، وبثلاث نسخ، مع قرص مدمج (CD)، على أن يكونَ عددُ كلمات البحث بحدود (٥٠٠٠-١٠,٠٠٠) كلمة، ومكتوباً بخطّ (Simplified Arabic)، وأن تُرقم الصفحات ترقياً متسلسلاً.

٤- أن يُقدّم عنوانُ البحث وملخصُ البحث باللّغتين: العربيّة والإنجليزيّة، وبحدود (٣٥٠) كلمة.

٥- أن تحتوي الصفّحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف الأرضي أو المحمول، والبريد الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في صلب البحث، أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٦- أن يُشار إلى الهوامش في آخر البحث، وتُراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق، والإشارة بأن تتضمن: (اسم الكتاب، رقم الصفّحة).

٧- أن يزوّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبيّة تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة

عن قائمة المراجع والمصادر العربيّة، ويُراعى في إعدادهما الترتيب الأبجديّ لأسماء الكتب أو البحوث في المجلّات، أو أسماء المؤلّفين.

٨- أن تُطبع الجداول والصُّور واللّوحات على أوراق مستقلّة، ويُشار في أسفل الشّكل إلى مصدرها أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩- أن تُرفق نسخة من السّيرة العلميّة للباحث إذا كان ينشر في المجلّة للمرّة الأولى، وأن يُشار إلى ما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنّه لم يُنشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أيّة جهة علميّة أو غير علميّة قامت بتمويل البحث أو ساعدت في إعداده.

١٠- أن لا يكون البحث منشوراً، ولا مقدّماً إلى أيّة وسيلة نشر أخرى.

١١- تعبّر جميع الأفكار المنشورة في المجلّة عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

١٢- تخضع البحوث لتقويم علميّ سرّي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها، سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسلّم المادّة المرسلّة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب- يُخطّر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحدّدة كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

د- البحوث المرفوضة يُبلّغ أصحابها بذلك من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٣- يُراعى في أسبقية النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم البحوث كلّما يتمّ تعديلها.

د- تنويع مجالات البحوث كلّما أمكن ذلك.

١٤- تُرسل البحوث على البريد الإلكتروني للمركز:

(Basrah@alkafeel.net، أو تُسلّم مباشرة إلى مقرّ المركز على العنوان الآتي:

(العراق/ البصرة/ البراضعية/ شارع سيّد أمين/ مركز تراث البصرة).

وفقكم الله لخدمة بصرتنا العزيزة وعراقنا الغالي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وارثي علمه وحكمته ..

مما لا شك فيه - خصوصاً في وقتنا الحاضر - أنَّ مصطلح (التراث) قد أخذ استقراره مفهوماً وإجرائياً في كثير من الجوانب، وبأبعادها المختلفة (الأخلاقية، والإنسانية، والعلمية)، وهذا الاستقرار المفهومي حكمته عوامل متعددة، عملت في جملة على مُفاتشة الإرث القديم، وقتله فهماً - كما يقول أمين الخولي-، ومحاكمته من حيث الطرح مع المنظومات المعرفية التراثية العالمية؛ لتبين شخصيته، وتجلّي معالمة.

ومع ذلك، فإنَّ من الواضح البيّن لمن سبر غور التراث العربي الإسلامي، أنّه سيقف على جذور بيّنة وواضحة لهذا المصطلح، وظهوره ضمن صفحة الاشتغال الفكري للعلماء والباحثين والمحصيلين آنذاك، وعلى اختلاف الحقب الزمنية - قوة وضعفاً-، بل نجده مفهوماً قرآنياً جلياً، حتّى وُضعت بعض الأحاديث على النبي ﷺ لترسيخ هذا المفهوم، ضمن سياقات يطفح منها الطابع السياسي^(١).

١- يلاحظ الحديث المنسوب: نحنُ معاشر الأنبياء لا نورث، وذيله. يُنظر: الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ١٤٢.

فَمِنَ الغريب أن نجدَ بعضَ الباحثينَ المعاصرينَ مَنْ يذهب إلى أن كلمة (تراث)، لم تُستعمل قديماً بمعنى الموروث الثقافي والفكري، ولا يكاد معناها يتعدى حدودَ المعنى العربي القديم للكلمة، الذي يُحيل -أساساً- على تركة الميت إلى أبنائه^(٢)، ولعلَّ هذه الجزئية لها ما يبررها، ولعلنا لو تقصينا تمام سياق الكلام، لوجدنا ما يُزيل ضبابية هذه الفكرة، إلا أننا نودُّ الإشارةَ العابرة -وليس المفصلة؛ إذ لذلك موضعٌ آخر-، إلى أن مسألة تجذّر فكرة التراث بمعناها الفكري والثقافي موجودةٌ متحققةٌ في فكر الأمة الإسلامية بأبعادٍ ومظاهرٍ متنوعة، بدءاً من التأليف والنظر في كتب الأوائل، مروراً بالحث على حفظ الكتب وتداولها وتناقلها بين الأفراد، إلى مجالس العلماء، وغير ذلك، ومن لطيف ما وردَ عن الإمام الصادق عليه السلام (ت ١٤٨هـ)، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «اَكْتُبْ وَبُتَّ عِلْمَكَ فِي إِخْوَانِكَ فَإِنْ مِتَّ فَأَوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَرَجٌ لَا يَأْنُسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ»^(٣).

ولعلَّ مِنَ المسائل المهمة في القضية التراثية، ممَّا يرتبط بذلك، هو وعي الجدوى مِنَ التراث، فما تزال بعضُ الفُهوم تقصُر عن إدراكِ أهميّة التراث، ودوره في إحداثِ الوعي وتجديده؛ لاستكشافِ المواقفِ التوعويّة عقبَ ذلك، وتقويض ما يُسمّى بالنزعة المركزية الأوربيّة -كما يقولون-، التي ما تزال لا تفتأ عن تقصّي جزئيات التراث في بقاعِ شتى ممَّا دخلتها سلماً أو حرباً، وهذا في

٢- يُنظر: محمّد عابد الجابري والتراث، أحمد فايز العجارمة، بحث منشور في المجلة الأردنية، للعلوم الاجتماعية، المجلد (١٢)، العدد (٣)، ٢٠١٩.

٣- الكافي: ١/ ٥٢.

حد ذاته ينبغي أن يُعدّ مثيراً لحفيظة الأفراد الذين لا يعون ولا يدركون الطاقة الكامنة في التراث، فنسأل: لماذا هذا العُكوف الحريص من لدن تِلْكُمْ الدُّول على جمع الشاردة والواردة، واحتكارها، ومصادرة ما يتعلّق بتراث الأُمَم الأُخر، حتّى غدت تزرّح بالعديد من تراث تلك الأُمَم، بل يُطلب منها، وقد أشار أحد بحوث عددنا هذا إلى أنّ قوَّات الاحتلال التي دخلت العراق في (٢٠٠٣م) صادرت (ساجات القبور (لوحات القبور)) لمقبرة من مقابر اليهود في البصرة! ففي الحقيقة، ينبغي علينا أن نعي مقدار الدافعية والمُحرّكة التي يُحدثها التراث للأُمّة، وكيف يؤثّر في مستقبلها، وتأكيد عوامل النهوض المتمثلة في: (الإيمان بالتراث وتأكيد مركزيته، تحقيق مصطلح الطفرة التراثية، العمق العلمي في المعالجة التراثية، تأصيل قواعد رصينة لنشر التراث، تأكيد الروح العامة للخروج من القوّة إلى الفعل في العمل التراثي).

وها نحن - بحمد الله - نتواكب معكم بعددنا التاسع، نُطلّ من شرفته مجموعة من البحوث، لتُشكّل جوهرة، لعلّها ترصد من التراث ما ينبغي، ولعلّها تقدّم إسهاماً في الطريق المشار إليها، فحرصنا على أن تكون بحوث هذا العدد متنوعة ذات أزهير شتّى، ليتسنى للقارئ الارتياح في رياضها، لتُنشّق ذكيّ رحيقها، فكان أوّل هذه البحوث يدور في أفق الحجاج ليقدم أهمّ رسالة وُجّهت إلى هذه المدينة المعطاء، في أعظم نهضة شهدتها التاريخ، وهي رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة، وجواب يزيد بن مسعود النهشليّ عليها، ومعالجتها دليلاً وأسلوبياً وفق منظومة الحجاج، ثمّ ليقضي الحديث إلى النحو البصريّ ومرتبه الخصب في آراء ابن هشام، إلى استعراض الآراء الأصولية لمهذب الدين

البصريّ في مخطوطة (التُّحفَة العزِيزَة)، ومسألة (دلالة الأمر بالمؤقت على الأمر خارجه)، عروجاً على مقارنةٍ لِسَانِيَّةٍ من خلال معالجة وسائل فهم النّصّ القرآني بين الجاحظ والرؤية المعاصرة، ليكون للتأريخ الحديث بعدها نافذة يستعرض عبرها الحصار الفارسيّ لمدينة البصرة عام (١٦٢٤-١٦٢٥) وتداعياته وآثاره وَفَقاً لمشاهدات الرَّحَّالَة الإِيطَالِيّ (ديلاًفاليه).

وقد حرصت المجلّة على أن يكون لتحقيق النّصّ المخطوط حضورٌ في أعدادها، فكانت (رسالةٌ في تذكية السّمك للسّيّد عبد الرزّاق الحلّو)، ألقاً يَفِيدُ منه المختصّون، ليكون التّوزيعُ الجغرافيّ للمزارات الدّينيّة في مدينة البصرة خاتمة المسك بحلّة جغرافيّة تراثيّة.

وقد عالج بحثُ اللّغة الإنجليزيّة في المجلّة (انفتاح الحكومة العراقيّة تجاريّاً مع دول العالم على الحركة التّجارية في ميناء البصرة (١٩٥٨-١٩٦٣)).
فنأملُ أن تكونَ هذه السّياحة رافدةً في التعريف بتراث هذه المدينة، ومحفّزةً في الوقت ذاته على التّعرّف على تراثها؛ لإعادة النبض الواثق في شرايين أبنائها،
وَمِنَ الله تعالى التوفيق، والحمدُ لله وحده..

هيأة التّحرير

المحتويات

الحِجَابُ فِي خِطَابِ يَزِيدَ بْنِ مَسْعُودٍ النَّهْشَلِيِّ الْبَصْرِيِّ لِقَوْمِهِ، وَجَوَابُهُ إِلَى الْإِمَامِ
الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أ.د. سالم يعقوب يوسف السَّلَمِيّ

٢٥

كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ/ جامعة البصرة/ قسم اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

مَخَالَفَاتُ ابْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيَّةُ لِلْبَصْرِيِّينَ فِي أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ

أ.م.د. أحمد عبد الله نوح

٨٣

جامعة البصرة/ كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ - الْقُرْنَةُ

مُتَهَذَّبُ الدِّينِ الْبَصْرِيِّ وَمَذْهَبُهُ فِي دَلَالَةِ الْأَمْرِ بِالْمَوْقِفِ عَلَى الْأَمْرِ بِهِ فِي خَارِجِهِ -
دِرَاسَةٌ مُقَارِنَةٌ

أ.م.د. محمود محمد جايد العيدانيّ

١١٣

جامعة المصطفى العالمية/ إيران- قم المقدّسة

وَسَائِلُ فَهْمِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ بَيْنَ الْجَاخِظِ وَالرُّؤْيَا الْمَعَاصِرَةِ - مُقَارَبَةٌ لِسَانِيَّةٌ

م.د. حيدر عودة كاطع الدَّرَاجِيّ

١٧٧

كَلِيَّةُ الْإِمَامِ الْكَاظِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْجَامِعَةِ/ أقسام البصرة

الْحِصَارُ الْفَارِسِيُّ لِمَدِينَةِ الْبَصْرَةِ عَامَ (١٦٢٤-١٦٢٥) وَفَقْ مَشَاهِدَاتِ الرَّحَالَةِ
الْإِيطَالِيّ (ديلافاليه)

أ.م.د. فاطمة فالح جاسم - م. فاطمة عبد الجليل ياسر

٢١٥

جامعة ذي قار/ كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ/ قسم التَّارِيخِ

رِسَالَةٌ فِي تَذْكِيَةِ السَّمَكِ - للسَّيِّدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَلِيٍّ الموسويِّ الحُلُو

الشَّيْخِ مدرك شوكان الحُسُون

مركز تراث البصرة

٢٥٣

التَّوْزِيعُ الجغرافيُّ لِلْمَزَارَاتِ الدِّيْنِيَّةِ فِي مَدِينَةِ البَصْرَةِ

الباحث: محسن ربيع غانم

٣٢٥

The Effect of Trade Openness of the Iraqi Government with Other Countries on the Commercial Movement in Basra Seaport (1958-1963)

Dr. Yassin T. Yassin Al-Haroun, Professor

Aqeel A.K. Mattar Al-Ka'by, Assistant Lecturer

Department of History, College of Arts, University of Basra, Iraq

19

الحِجَاجُ فِي خِطَابِ يَزِيدَ بْنِ مَسْعُودِ النَّهْشَلِيِّ
الْبَصْرِيِّ لِقَوْمِهِ، وَجَوَابُهُ إِلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

Arguments in the Address of Yazeed bin
Mas'ood Al-Nahshaly Al-Basri to His People'
and His Answer to Imam Hussain (PBUH)

أ.د. سالم يعقوب يوسف السَّلْمِيِّ
كَلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ / جَامِعَةُ الْبَصْرَةِ / قِسْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

By

Dr. Salem Y. Yousif Al-Salemy, Professor,
Department of Arabic,
College of Education for Human Sciences,
University of Basra.

ملخص البحث

أبو خالد، يزيد بن مسعود النهشلي البصري واحد من أشرف البصرة الذين خصّهم الإمام الحسين عليه السلام بكتابه الذي أرسله مع مولى له يسمّى (سليمان، أبو رزين)، وقد قتله عبيد الله بن زياد على أثر ذلك، وقد وجّه الإمام الحسين عليه السلام كتابه هذا من مكّة إلى رؤساء الأخماس في البصرة ليدعوهم إلى نصرته.

لقد سجّل التاريخ موقفاً مشرفاً لهذا الرجل لتلبية دعوة الإمام الحسين عليه السلام واستجابته له، بعدما خطب عدداً من الأقوام في البصرة ممّن كانوا تحت لوائه وهم: بنو تميم، وبنو حنظلة، وبنو سعد وبنو عامر، فأثّر خطابه فيهم، فأجابوه، ولّبوا دعوته؛ لما لمسوا منه من حماسة ونجدة لنصرة الحقّ ومُحاربة الظلم والفساد والاستبداد، والخشية من أفول نجم الإسلام الغضّ الطريّ بسبب ما تُنذر به الأحوال والظروف للحكم القائم آنذاك.

لقد كان هذا الرجل متلقياً جيّداً استوعب وفهم كتاب الإمام عليه السلام المشتمل على خطابٍ واسع المعاني عميق الدلالة، وإن كان مختصراً موجزاً في ألفاظه وعباراته، فلمّا فضّه وأدرك ما فيه، اتّبع الهدى، وسار في طريقه، وأعرض عن طريق الضلال، وأوصد بابه، فحمّله ذلك على إبلاغ قومه متّبعاً وسائل الإقناع، وطرق الاحتجاج، بأسلوبٍ رصينٍ وبيّنٍ وواضح. احتوى هذا الخطاب كلام

يزيد بن مسعود النهشلي والرّدود من أقوامه، وكذلك ردّه جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام.

وأردنا أن نقف على ما جاء في خطابه من دلالات ومعاني، وعلى الجانب البياني في تعبيره الذي يحمل إثارة في نفوس متلقيه، واستقباله منه، ومن ثمّ استجابتهم له؛ إذ نلمح في خطابه تلويحاً أسلوبياً حجاجياً يحمل مستوى لغوياً عالياً، وهو يُعبئ قومه من أجل اللّحوق بالإمام الحسين عليه السلام، ونصرته التي هي نصرة للحقّ والإسلام، وقد بدا فيه متحمساً؛ لذا جاء كلامه متناغماً مع نفوس القوم، فجاء ردّهم بأحسن الكلام وأبلغه، مستجيبين لدعوة زعيمهم، وقد وجدت في هذا الخطاب بين الطرفين أسساً فنيّة تؤهّله لأن يكون في عداد النثر الفنيّ البليغ، وأن يُعدّ نصّاً أدبيّاً مكتنزاً يزخر بالمعاني والدلالات، ويمكن أن يُوجّه وفق الدّراسات الحجاجيّة الحديثة، لما فيه من وسائل إقناع إبلاغيّة وتوصيليّة وإنجازيّة للكلام، وهذا ما سوف نقف عنده من خلال تحليلنا لهذا النصّ المهمّ. والحمد لله ربّ العالمين.

Abstract

Yazeed bin Mas'ood is one of the noblemen of Basra who have received Imam Hussain's letters brought by Sulaiman abu Razeen, one of his supporters. Sulaiman was later on killed by Ubaydellah bin Ziyad as a result of that. The letter was sent by Imam Hussain while staying in Mecca to Basra dignitaries calling them to support him. The man's response to Imam Hussain's call has been highly appreciated. He has talked directly to a number of Basra tribes including Bani Tameem, Bani Handhala, Bani Sa'ad, and Bani Aamer. Influenced by his address, they responded positively to his call due to his enthusiasm and bravery in supporting right and combating oppression and despotism.

Yazeed bin Mas'ood has already responded well and understood the letter sent by Imam Ali (PBUH). That letter included a highly meaningful and semantically deep

discourse, though it was brief as a text. He chose to follow the right path and kept himself away from aberration. He adopted the same attitude in his response to Imam Hussain's letter.

This paper is an attempt to study the content of bin Mas'ood's address highlighting its semantic features and eloquence. He used a highly effective style to mobilize his people to stand by Imam Hussain. With his well-spoken address he could attract the attention of his tribesmen. The text of the address is, no doubt, a fine artistic piece filled with rich language. It has also rhetorical and communicative features that make it a successful means of persuasion.

مقدمة

يزيد بن مسعود، النهشلي، البصري، يكنى أبو خالد، واحد من أشراف البصرة الذين خصّهم الإمام الحسين عليه السلام بكتابه الذي أرسله مع مولى له يسمى (سليمان، أبو رزين)، وقد قتله عبيد الله بن زياد على أثر ذلك. وقد وجه الإمام الحسين عليه السلام كتابه هذا من مكة إلى رؤساء الأخماس في البصرة يدعوهم إلى نصرته^(١).

لقد سجّل التاريخ موقفاً مشرفاً لهذا الرجل لتلبية دعوة الإمام الحسين عليه السلام واستجابته له بعدما خطب قومه في البصرة ممن كانوا تحت لوائه، وهم: بنو تميم، وبنو حنظلة، وبنو سعد، وبنو عامر، فأثر خطابه فيهم، فأجابوه، ولّبوا دعوته؛ لما لمسوا منه من حماسة ونجدة لنصرة الحق، ومحاربة الظلم والفساد والاستبداد، والخشية من أفعال نجم الإسلام الغض الطريّ بسبب ما تُنذر به الأحوال والظروف للحكم القائم آنذاك^(٢).

كان هذا الرجل متلقياً جيّداً، استوعب وفهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، الذي اشتمل على خطابٍ واسع المعاني عميق الدلالة، وإن كان مختصراً وموجزاً في عباراته وألفاظه، ولما فضّه وأدرك ما فيه، اتّبع الهدى، وسار في طريقه، وأعرض عن طريق الضلالة، وأوصد بابه، وحمله ذلك على إبلاغ قومه، متّبعاً

وسائل الإقناع، وطرق الاحتجاج، بأسلوب بيّن واضح.
احتوى هذا الخطاب كلام يزيد بن مسعود النهشلي والردود من أقوامه، وكذلك رده جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد أردنا أن نقف على ما جاء في خطابه من دلالات ومعانٍ، ونكشف عن الجانب البياني في تعبيره الذي يحمل إثارة في نفوس متلقيه واستقباله منه، ومن ثمّ استجابتهم له؛ إذ نلمح في خطابه هذا تلويحاً أسلوبياً حجاجياً يحمل مستوى لغوياً عالياً، وهو يعبئ قومه من أجل اللّحوق بالإمام الحسين عليه السلام ونصرته، التي هي نصرّة للحقّ والإسلام، وقد بدأ فيه متحمساً لذلك؛ لذا جاء متناغماً مع نفوس القوم.

إنّ هذا النصّ الذي سوف نثبته بكامله في البحث سنحاول تحليل بنياته، وأبرز دلالاته ومعانيه؛ إذ نلمس في خطابه كلاماً متناغماً مع نفوس القوم، يدلّ على ذلك ردهم وجوابهم الذي تصدر بأحسن كلام، وأبلغ بيان، مستجيبين لدعوة زعيمهم.

يستند هذا الخطاب الذي دار بين الأطراف المتحاورّة إلى أسسٍ فنيّة تؤهّله لأن يكون في عداد النثر الفنيّ البليغ، ونصّاً أدبياً مكتنزاً بالمعاني، ويمكن أن يوجّه على وفق الدّراسات الحجاجيّة الحديثة، لما فيه من وسائل للإقناع والإبلاغ والاستدلال، وعوامل للإبلاغ والتوصيل وإنجاز الكلام، وهو ما تدور عليه الدّراسات الحديثة في تحليل الخطاب، وبيان مستوى بلاغته، وهذا ما سوف نقفّ عنده من خلال تحليلنا لهذا النصّ المهمّ.

لما كان بحثنا يدور في تحليل نصّ يُخاطب فيه صاحبه جماعة، هم من أبناء جلدته، يحثّهم على قضية مهمّة، وهي خوض غمار الحرب وركوب أمواجه؛ لذا

فهو يبذل أقصى ما يستطيع أن يعبر به من وسائل إقناع لمتلقيه. وبهذا، فالبحث يتسم بطابع المحاجة التي من وسائلها إبلاغ الكلام وتوصيله. انتظم البحث بمقدمة ذكرنا فيها أهميّة النصّ الذي درسناه، ونوع الدّراسة، ومهدنا لموضوع بحثنا بإطلالة يسيرة ومختصرة عن مفهوم الحجاج والمحاجة، وترجمة قصيرة عن صاحب الكتاب، وأثبتنا النصّ المدروس، وقد اعتمدنا في دراسته على طبعتين، الأولى: طبعة الشّيخ فارس تبريزيان الحسّون، وهي طبعة محقّقة، والثانية: طبعة الأعلميّ.

تمهيد

١- مفهوم الحِجَاج

يُمْكِنُ أَنْ نَوْضِّحَ شَيْئاً يَسِيرًا عَنْ مَفْهُومِ الْحِجَاجِ فِي اللُّغَةِ، وَالِاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ.

يَذْهَبُ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي مَعْنَى الْحِجَّةِ وَالْمَحَاجَّةِ إِلَى التَّخَاصُّمِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَمَا يَكُونُ لِلظَّفَرِ فِيهَا، وَتُجْمَعُ عَلَى (حِجَجٍ وَحِجَاجٍ)^(٣)، وَتَكُونُ الْحِجَّةُ مَصْحُوبَةً بِالْغَلْبَةِ فِي الْخُصُومَةِ، وَأَشَارُوا إِلَى الْجَدَلِ وَالْبَرْهَانِ فِيهَا، وَرَبَطَ اللُّغَوِيُّونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَعْضِ مُشْتَقَّاتِهَا، كَالْحِجِّ الَّذِي يَعْنِي الْقَصْدَ وَالْوُصُولَ إِلَى الشَّيْءِ، فَكَذَلِكَ الْحِجَّةُ يُقْصَدُ بِهَا الْحَقُّ الْمَطْلُوبُ^(٤).

فَالْحِجَاجُ وَإِنْ كَانَ يُمَثِّلُ نَظْرِيَّةَ حَدَاثِيَّةٍ، لَكِنَّهُ مَفْهُومٌ عَرَفْتَهُ الْعَرَبِيَّةُ، وَوَقَفَ عِنْدَهُ عُلَمَاؤُهَا مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَعَبَّرَ عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْمَالَاتِهِ وَأَسَالِيهِ الرِّصِينَةِ، وَمِنْ هَذَا فَهُوَ أَصِيلٌ فِي لُغَتِنَا.

وَوَرَدَ لَفْظُ الْحِجَّةِ وَالْمَحَاجَّةِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ بِمَعْنَى الْمَجَادَلَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي﴾ [الأنعام: ٧٤]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «جَادَلُوهُ فِي آلَتِهِمْ، وَخَوَّفُوهُ بِهَا»^(٥).

أَشَارَ الزَّرْكَشِيُّ إِلَى الْأُسْلُوبِ الْحِجَاجِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْقَائِمِ عَلَى الْيَسْرِ

والسهولة، والبعيد عن التعقيد والإغراب، كما هو الحال عند المناطقة والمتكلمين، وقد اشتمل على البراهين والأدلة العقلية، فنطق بها، وساقها على عادة العرب في كلامها؛ لأنَّ الرسول ﷺ عربيٌّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] ^(٦).

يذهب عبد الله صولة إلى مناقشة الحجاج عند القدماء والمحدثين، مبيناً أنَّ القدماء وبعض المحدثين قد جعلوه مرادفاً للجدل؛ للعلاقة بينه وبين المذهب الكلامي، ويرى أنَّ هذا يجعل دائرة الحجاج ضيقة، ويحصره في الصنعة المنطقية، وهو أوسع من الجدل، ويبيِّن أنَّ القرآن الكريم لم يقع كله أو معظمه في مفهوم الحجاج المرادف للجدل، أو المذهب الكلامي ^(٧).

ويرى (بيرلمان) أنَّ نظرية المحاجة ونظرية البرهان هما «دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدِّم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته» ^(٨). يُريد أن يبيِّن من هذا قيمة الخطاب، وما يكتنزه من ثراء بلاغيٍّ، وقيمة جمالية؛ لأنَّ البلاغة تدخل في باب الحجاج الإقناعي ^(٩). يتطلب عمل التخاطب عناصر ثلاثة، هي: (المتكلم، والمخاطب، وموضوع الكلام)، ويُعدُّ المتكلم، أو ما يُطلق عليه (الباث)، والمتلقِّي عنصرين مهمَّين في هذه الممارسة الكلامية، في أيِّ خطابٍ حجاجيٍّ. وأنَّ يراعي المتكلم فيما يطرح استعداد الطرف الثاني، وهو المتلقِّي من حيث قناعته بما يستقبله، ممَّا يخلق بينهما تواصلاً حجاجياً ^(١٠).

إنَّ النصوص والخطابات ذات الأثر الحجاجي الغني تنطوي على مثيرات ووسائل إبلاغ تولد في نفس المتلقِّي قناعةً وقبولاً، وهذا ما يظهر في تراثنا العربي

من خطب البلغاء والفصحاء والمتكلمين.

٢- حياة صاحب النص (يزيد بن مسعود، النهشلي)

ذكره الطبري في حوادث سنة خمسين من الهجرة المباركة في حادثة هجاء الشاعر الفرزدق بني نهشل وبني فقيم، فذكر أن صاحب السيرة (يزيد بن مسعود)، ممن استعدى عليه والي البصرة مع قومه، وأورد اسمه كاملاً، ما يدل على أنه ينتسب إلى نهشل، جاء عنه: «أن يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك ابن ربيعي بن سلمى بن جندل بن نهشل، استعدى أيضاً عليه»^(١١)، وتنتسب هذه القبيلة إلى «نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، بطن كبير من تميم يُنسب إليه جمع كثير، منهم: أبو غسان مالك بن سليمان، النهشلي»^(١٢). ويظهر من نسبة هذا الرجل المنتهية إلى بني نهشل التميمية، أنه أخ لزوج أمير المؤمنين عليه السلام، الذي ذكر زواجه منها الطبري في قوله: «وتزوج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم»^(١٣)، وأورد الطبري -أيضاً- أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنجب منها (عبد الله، وأبا بكر)، واستشهدا مع أخيهما الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، وقيل: إن أبا بكر هو الذي استشهد في كربلاء^(١٤). ومن الذين ذكروا موقف (يزيد بن مسعود النهشلي) من كتاب الإمام الحسين عليه السلام، وجوابه له بعدما استنفر قومه وعبأهم لنصرة الإمام عليه السلام، هو السيّد ابن طاووس المتوفى سنة (٦٦٤هـ)^(١٥).

ويتمتع (يزيد بن مسعود النهشلي) بمكانة مرموقة بين قومه، ويُعدُّ من وجهاء القوم وعليّتهم، وهو سيّد بني نهشل، ما دعا الإمام الحسين عليه السلام إلى مراسلته

ودعوته، وزادت من ذلك مصاهرة هذا البيت أمير المؤمنين عليه السلام، ما يدلُّ على أنَّه بيت حسبٍ وشرفٍ لمعرفته بهم^(١٦).

٣. النصُّ المدرسُ

وردَ هذا النصُّ المهمُّ في أحد المصادر المهمة التي أوردتْ خبر حادثة كربلاء المتمثلة بمقتل الإمام الحسين عليه السلام ومصارع أهل بيته وأصحابه وسبي عيالاته، للسَّيِّد ابن طاووس الحسيني، المتوفَّى (٦٦٤هـ)، المسمَّى بـ (الملهوف في قتلى الطفوف)، قال السَّيِّد ابن طاووس: «وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشرف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان، ويكنى أبا رزين، يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلما حضروا قال: «يا بني تميم، كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟»^(١٧)، فقالوا: بخٍ بخٍ! أنت -والله- فقرةُ الظَّهر، ورأسُ الفخر، حللت في الشَّرَف وسطاً، وتقدَّمت فيه فرطاً.

قال: فَإِنِّي قَدْ جَمَعْتُكُمْ لِأَمْرٍ أُرِيدُ أَنْ أَشَاوِرَكُمْ فِيهِ وَأَسْتَعِينَ بِكُمْ عَلَيْهِ، فقالوا: والله إِنَّا نَمْنَحُكَ النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقلْ نسمع.

فقال: إِنَّ مَعَاوِيَةَ مَاتَ، فَأَهْوَنَ بِهِ -والله- هَالِكاً وَمَفْقُوداً! أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ انْكَسَرَ بَابُ الْجَوْرِ وَالْإِثْمِ، وَتَضَعُضْتُ أَرْكَانُ الظُّلْمِ، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ بَيْعَةً عَقَدَ بِهَا أَمْراً، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَهُ، وَهِيَهَاتِ وَالَّذِي أَرَادَ، اجْتَهِدَ -والله- ففشل، وشاور، فخُذِلَ، وَقَدْ قَامَ ابْنُهُ يَزِيدُ شَارِبَ الْخُمُورِ، وَرَأْسُ الْفَجُورِ، يَدَّعِي الْخِلَافَةَ عَلَى

المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضی منهم، مع قصر حلم، وقلة علم، لا يعرف من الحق موطن قدمه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاذه على الدين أفضل من جهاد المسلمين، وهذا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته، وسنته، وقدمه، وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعدة! فلا تعشوا على نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن (رسول الله ﷺ) ونصرته. والله لا يقصر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يموت، ومن يهرب لم يفت، فأحسبوا -رحمكم الله- ردّ الجواب^(١٨).

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: «يا أبا خالد، نحن نبأ كنانتك، وفارس^(١٩) عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض -والله- غمرة إلا خضناها، ولا تلقى -والله- شدة إلا لقيناها، ننصرُك بأسيا فنا، ونقيك بأبداننا، فانفضّ لما شئت^(٢٠)».

وتكلّمت بنو سعد بن زيد، فقالوا: «يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافاً والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا، وبقي عزنا فينا، فأمهّلنا نراجع المشورة، ونأتيك برأينا. وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ضعنت^(٢١)، والأمر إليك، فادعنا نجيبك،

وأمرنا نُطْعَكَ، والأمرُ إليك إذا شئتَ. فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها لا يرفعُ الله السيفَ عنكم أبداً، ولا يزال سيفكم فيكم.
ثم كتبَ إلى الحسين عليه السلام:

بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعدُ، فقد وَصَلَ إِلَيَّ كتابُكَ، وفهمتُ ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذِ بحظِّي من طاعتكَ، والفوزِ بنصيبِي من نصرتكَ، وإنَّ اللهَ لم يُخلِ الأرضَ قطُّ من عاملٍ عليها بخيرٍ، أو دليلٍ على سبيلِ نجاةٍ، وأنتم حجَّةُ الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرَّعتم من زيتونةِ أحمديَّة، هو أصلُها، وأنتم فرعُها، فأقدم سُدَّتْ بأسعدِ طائرٍ، فقد ذلَّلتُ لك أعناقَ بني تميم، وتركْتهم أشدَّ تتابعاً لك من الإبلِ الظَّماءِ يومَ خمسها لورودِ الماءِ، وقد ذلَّلتُ لك بني سعد، وغسلتُ لك دَرَنَ صدورِها بماءِ سحابةِ مزِنٍ حين استهلَّ برقُها فلمعَ.

فلما قرأ الحسينُ عليه السلام الكتابَ، قال: آمناك ^(٢٢) اللهُ يومَ الخوفِ، وأعزَّكَ، وأرواكَ يومَ العطشِ الأكبرِ ^(٢٣)

بعدما جمع أقوام أهل البصرة برؤوسها ووجهاؤها من أجل هذا الأمر، بدأ خطابه بنداء أكبر قبيلة في البصرة، وهي قبلية تميم، مستعيناً بمؤثِّرٍ ومحفِّزٍ ودافعٍ لهم من استعماله أسلوب الاستفهام التقريري، إضافة إلى النداء الذي بدأ كلامه به، وهو قوله: «يا بني تميم، كيف ترون موضعي منكم، وحسبي فيكم؟» أراد من خلال هذا الكلام أن يقرّر ما هو ثابت في نفوس القوم من علو منزلته، وشرف مكانته فيهم، لكي يضمن إبلاغ خطابه لهم، ويشكّل هذا مؤكّداً حجاجياً في الكلام، يجعل المخاطب متلقياً وسامعاً واعياً للقول.

يذكر أحد الدارسين أن الاستفهام الذي يحقق معنى التقرير في الكلام، إنما يعمل على تأكيد الحدث والموقف، ومثل لذلك بعدد من الآيات الكريمة، نحو: ﴿هَلْ أَتَى﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، يعني: قد أتى، وأنا شرحناه، وهو بهذا يحقق «إثارة للعبارة، ولفتاً للانتباه، وتوجيهاً للرؤية»^(٢٤)، والاستفهام استخبار يحقق علاقة تخاطبية قائمة بين شيئين، هما: الاستفهام، والجواب، يرى فيه الدارسون «قوة من القوى الدافعة لحركة التخاطب»^(٢٥). وهذا أسلوب عريق في العربية، نلمح فيه الجانب التهذيبي والأدبي، وإنزال المخاطب المنزلة المستحقة، وإشراكه في الخطاب والاستماع إلى رأيه؛ لأنه هو المعني بالكلام الموجّه، وإشعاره بمكانته لدى المخاطب، ولا يأتي المخاطب بهذا الأسلوب من الاستفهام إلا إذا كان ذا ثقة عالية بنفسه، واطمئنان كبير في رسالته التي يوصلها، فإذا كان على غير ذلك، فلا يمكن أن يفتح باباً وثغرة على نفسه، فتقلب مثبته عليه، وتكون سببه له؛ لأنه من خلال هذا ينبّه المخاطب إلى فكرة لعلها غير حاضرة عنده، ولكنه لما كان صادقاً ومحققاً فيما يقول، عمد إلى إلقاء ما سيجيونه عليه، وقد دأب القرآن الكريم إلى مثل هذا التقرير في الاستفهام، ومن ذلك ما فُسّر من قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠]، «والمعنى المقرّر هو كون المخاطب بالاستفهام هو يوسف»، وكذلك ما ورد في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: ٣١]»^(٢٦).

وكذلك الحديث الشريف عن النبي ﷺ مستفهماً عن حقيقة ثابتة في شخصه الكريم، ليقرّر شيئاً ثابتاً في نفوس متلقيه من المسلمين، جاعلاً من حديثه الشريف مقدّمة لتكون حجة لازمة عليهم، وهو قوله ﷺ يوم غدیر خم:

«أَلَسْتُ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتِهِمْ؟ فَقُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلَيَّْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»^(٢٧)، وكذلك ورد الاستفهام التقريري في كلام السبط الشهيد الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً القوم، وهو كلام يُقرّون به، ولا يستطيعون أن يُنكروه عليه: «أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَابْنَ وَصِيِّهِ، وَابْنَ عَمِّهِ، وَأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُصَدِّقِ لِرَسُولِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ، أَوْ لَيْسَ حِمَزةُ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَمَّ أَبِي، أَوْ لَيْسَ جَعْفَرُ الشَّهِيدِ الطَّيَّارُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ عَمِّي، أَوْ لَمْ يَبْلُغْكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِضٍّ فِيكُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ قَالَ لِي وَلِأَخِي: هَذَا ابْنُ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٢٨).

ولما كان هذا الرجل يمثل زعامةً من زعامات البصرة، ورأساً من رؤوسها، فقد ناشدهم من هذا الموضع، والمكانة التي يتمتع بها، ولا شك في أن الذي يسود قومه يتمتع بحصافة الرأي، وسعة الوعي والإدراك، والحلم والأناة، وبُعد في النظر والبصيرة، وشجاعة وإقدام، وحِكمة في معالجة الأمور ومواجهة الأزمات، وحلّ ما انعقد منها.

جاء استفهامه بأداة الاستفهام (كيف) لبيان الهيئة والحال؛ إذ إنّه قد استجوبهم لبيان حال مكانته ومنزلته التي هو عليها؛ لذا جاء باسم المكان (موضع) من قوله (موضعي) وهو (مَفْعَل) مضافاً إلى ياء المتكلم، جاعلاً اسم المكان منسوباً إليه وحده ليرزوه ويميّزوه من بينهم، ومما يدلُّ على مناسبة استفهامه عن المكان والموضع الذي هو فيهما، اقترانه بما بعده من الجارّ والمجرور، فعلى الرواية التي جاء عليها قوله: «أَلَا تَرَوْنَ مَوْضِعِي مِنْكُمْ، وَحَسْبِي فِيكُمْ»، أراد المتكلم أن

يشيد بمكانته العالية التي ينطلق فيها من أرومته العربية في قومه الكرام؛ لأنَّ حرف الجرِّ يدلُّ على ابتداء الغاية الزمانية والمكانية، كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]، فهنا للابتداء في المكان، ويُريدُ صاحب الخطاب أن يربط نفسه بقومه؛ لأنَّه يرى أنَّ عزَّته ورفعته يحوزها بهم، وهذا فنُّ للإقناع والتأثير أراد من خلاله أن يبيِّن عدم الفصل والانقطاع، ورفع الحواجز بينه وبينهم.

أمَّا الطرف الثاني في قوله من هذه الرواية: «وحسبي فيكم»، فهي -أيضاً- تتصل بكلامه الأوَّل، وهو انحداره من سُلالة الكرام؛ إذ إنَّه أراد الامتداد الزمنيِّ والاتِّساع المكانيِّ، وكأنَّ (في) الجارَّة هنا وردت على أصلها، وهي دلالتها على الظرفية المكانية، أو الزمانية تجوِّزاً، فحسبه قد قطع مساحةً واسعةً من الأصالة؛ لأنَّه عربيٌّ صميمٌ؛ ومن ثمَّ فإنَّ خطابه المباشر لهم بهذه المعاني تعود عليهم بالمدح والثناء والرفعة، ما يعزِّز موقف المتكلِّم؛ لأنَّ هذه وقائع وحقائق تعضد كلامه، وتُعلي من معناه، وهي من طرق الخطاب الحجاجيِّ.

وفي مستهلِّ كلامه هذا قد تعاضدت الأساليب بالاستفهام الذي تقدَّم الكلام عنه، والنداء الذي ورد في كلامه، وهو يخاطبُ قومه: «يا بني تميم...»، الذي تكمن وراءه دلالات، فقد عدَّ سيئويه النداء للمُقبل من باب التوكيد، يقول: «تقول للذي هو مُقبلٌ عليه بوجهه، مستمعٌ، منصتٌ لك: كذا كان الأمر، يا أبا فلان، توكيداً»^(٢٩)، وتتجلَّى قيمة النداء في الخطاب؛ لأنَّه «متعلِّق بعلاقة المنادي بالمنادى له على أنَّه ذو شأنٍ مرتفعٍ، وأنَّه من الأمور التي يُنادى لها، وينبَّه عليها، أو للإلحاح في طلب الإقبال للمنادى له حتَّى كأنَّه أمرٌ مغفولٌ عنه، أو

للمبالغة في الإلحاح»^(٣٠).

ثمَّ عمد إلى العطف؛ ليتَّسع له مجال أكبر في جوابهم من المدح والثناء والاعتبار له، وقد جاء في رواية أخرى قوله: «وَحَسْبِي منكم»، وقد فَرَّق في العبارتين؛ إذ قرن الموضع بحرف الجرِّ (في)، والحسب بحرف الجرِّ (من)، وقد وفَّق؛ لمناسبة (في) للموضع، أمَّا مناسبة (من) للحسب، فهي لا تخرج عن معنيين هنا، إمَّا لبيان الجنس، أي: بيان جنس حسبه من حيث أصلته وأرومته وانحداره من سلالة العرب، أو بمعنى (التبعيض)، أي: أيُّ بعض منكم، ومن قبيلتكم الأَصيلة العريقة.

لقد جاء كلامه عن المكانة والمنزلة بين قومه أولاً مقدِّماً على المعطوف في قوله: «وَحَسْبِي منكم»؛ ذلك أنَّ المكانة والمنزلة والسيرة الحسنة أمرٌ محسوسٌ وملموسٌ وبادٍ للعين من خلال النَّظر في أفعاله الظاهرة، ومواقفه المشرفة التي جعلت منه قائداً فذاً، وفارساً شهماً، أمَّا الحسب الشريف، فهو أيضاً يمثل قيمةً علياً، إلَّا أنَّه يحتاج إلى ما يُعزِّزه من أفعال الإنسان التي يصنع من خلالها المجد والسُّودد.

جاء التعبير بالفعل المضارع من قوله: «كيف ترون»، فهو وإن كان يدلُّ على الزَّمن الحاضر والمستقبل، فإنَّه لم يغفل دلالاته على المضي من خلال السِّياق الذي ورد فيه، فهو فضلاً عمَّا هو متحقِّق فيه ذلك، يُريد أن يُشير إلى الزمان المطلق؛ لأنَّ المجد الذي حقَّقه، والمكانة والمنزلة التي صنعها، لم تكن وليدة زمن معيَّن، بل هو مجد تليد وُلد في زمنٍ مضى، وسيبقى حاضراً ومستقبلاً.

ويرجع هذا إلى سعة العربية في معانيها، وتوسُّعها في طرق الاستعمال، وقد

تنبه ابن الأثير إلى دلالة الزمن المتعاقبة بين الأفعال، قال: «اعلم أن الفعل المستقبل إذا أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي»^(٣١).

وقد أنحى الدكتور إبراهيم السامرائي باللائمة على النحاة الذين قصرُوا الزمن في أفعال العربيّة على الجانب الشكليّ المقصور على الأبنية التي وضعت لها وهي: (فَعَلَ، وَيَفْعَلُ)؛ إذ إنه يرى أن للأفعال حقيقة زمنيّة غير ما وضعوها بها، قال: «وذلك أنه ليس كل ما جاء على (فَعَلَ) أفاد الماضي، وما جاء على (يَفْعَلُ) أفاد الحال والاستقبال، ثم إنهم بهذا التقسيم لم يهتموا بدقائق الزمان وعلاقة زمن ما بآخر»^(٣٢)، وذكر في موضع آخر خروج الفعل المضارع إلى الماضي بقرينة ترشحه إلى ذلك، مستشهداً بالآية الكريمة ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]»^(٣٣).

اشتمل الخطاب في العبارة المتقدمة: «كيف ترون موضعي منكم، وحسبي فيكم؟» على (رأى) القليبيّة؛ لأنّ الموضع والحسب المذكورين هما ليسا من الشيء المحسوس، بل إنهما شيان يُدركان بالمعرفة والفكر، لذا ف (رأى) هنا قليبيّة وليست بصريّة.

هذا ما كان في سؤاله **رحمته**، أمّا جواب قومه، فكان جواباً مفلجاً لصدره، مُقرّاً لعينه، وكان جواباً واحداً منهم، بدليل الفعل المسند إلى واو الجماعة (فقالوا)، وكان جواباً يدلُّ على الاستبشار والتأييد والارتياح من لفظهم: (بخ بخ)، وهو ما يدلُّ على الغبطة له. وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حينما نُصّب

ولياً للمؤمنين في حادثة الغدير، والحديث المشهور، منصرف النبي الأعظم ﷺ في حجة الوداع، بعدما ارتقى بأمر المؤمنين ﷺ، وقال «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ»^(٣٤)، فقال له عمر بن الخطاب: «بِخٍ لَكَ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ...»^(٣٥).

وهذا جوابٌ قويٌّ من متلقي الخطاب، فيه التأييد المطلق، ويظهر أن سؤاله المتقدم قد أثر فيهم، فأجابوه بكلامٍ بليغٍ؛ إذ كان هذا اللفظ (بخٍ بخٍ) مفتتحاً لجوابهم، فقد ساقوا بعده عبارات دالة على عمق الولاء والتسليم والانقياد له والمسير وراءه، بقولهم: «أَنْتَ -والله- فِقْرَةُ الظَّهْرِ، ورَأْسُ الْفَخْرِ، حَلَلَتْ فِي الشَّرَفِ وَسَطًا، وَتَقَدَّمَتْ فِيهِ فَرَطًا».

يظهر المتلقي في هذا الكلام أنه واعٍ ومدرك لما قدّمه الخطيب، فهم قد وضعوا زعيمهم الموضع الذي تبوّأه فيهم من المكانة الرفيعة العالية، وجعلوه في الحسب الشريف، جاء ذلك بجملة من آليات التوصيل، وإنجاز الكلام المقنع المؤثر، فقد أكدوا كلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار من قولهم: «أَنْتَ -والله- فِقْرَةُ الظَّهْرِ...».

ويبيّن أحد الدارسين المحدثين بعض الخصائص في الجملة الاسمية، بقوله: «فهي عبارة عن موازنة... تحصل بين المسند إليه والمسند، فتبرز التماثل التام بين هذا وذاك، والمسند في هذه الحالة يمثل ناحية من ذات المسند إليه، وهذا ما يؤهله للتعبير عن الحقائق العامة، والمبادئ القارّة، ويجعلها ملائمة للحكم والأمثال، ويفسّر استعمالها للاحتجاج، وتقديم الأدلة، لا لسرد الأخبار، واستعراض الأحداث»^(٣٦).

إن استعمال المتكلم الضمائر كما جاء في القول السابق، فيه إحالات إشارية منحت الكلام قوة وتأكيذاً، ما يدلُّ على حضور ما يرجع إليه الضمير، فيؤدِّي دوراً مهماً في حدوث التّخاطب بين المخاطب والمتلقّي^(٣٧)، فضلاً عن المؤكّدات الأخرى، وهو القَسَم بالاسم الجليل (الله)، الذي فصل بين المبتدأ والخبر في قولهم: «أنتَ-والله-...»، وهو من مؤكّدات الكلام، ولم يكتفوا بذلك، بل إنهم عضدوا قولهم بالعطف؛ ليزيدوا في علو زعيمهم، وسَمّوه، فقالوا: «ورأس الفخر».

لقد جاء جوابهم مفعماً بالمعاني والصُّور البديعة، ولم يكن كلاماً مباشراً، يدلُّ على ذلك من خلال الاستعمالات المجازية، و ما تحمله من معانٍ عميقة، فقد ساقوا كلامهم بعبارات منتقاة تدلُّ على صفات ما يحمله المخاطب، فقولهم: «أنتَ-والله- فِرّة الظهر، ورأسُ الفخر» تخرج إلى أغراضٍ بلاغية، ففي هاتين العبارتين استعارة صوّرتُه وأظهرتُه بمظهر القوة والمنعة، والمكانة العالية الرفيعة؛ إذ إنهم جعلوه فِرّة الظهر؛ لأنَّ فِرّة الظهر هي الأساس الذي يرتكز عليه الجسم، ثم استعمل الرأس للفخر؛ لأنَّ الرأس قِمّة الشيء وذروته، فهو في القوة والشموخ والمنعة كفِرّة الظهر، وفي الفخر قِمّة شاحخة كالرأس، ثم أردفوه قولهم: «حللت في الشرفِ وسَطاً، وتقدّمت فيه فرطاً»، أرادوا بيان حال المخاطب من حيث شرفه في النّسب والأصل العريق، ففي أوّل العبارة استعمل كلمة (وسَطاً)؛ لأنَّ الوسط أثبت في الأشياء وأمتن وأقوى؛ ولأنّه المركز، فلا ينفذ إليه بسهولة، وهو موضع المدح والثناء في كلّ شيء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقيل:

(خير الأمور أوسطها). ويُمكن أن نلحظ دقّة الاستعمال في اختيار الأفعال التي اقترنت فيها الأسماء الدالة على الحال (وَسَطًا، فَرَطًا)، فقد أثر المتكلم هنا استعمال الفعل (حللت) من دون غيره من الأفعال المقاربة له في المعنى، مثل: (سكنت، أو نزلت)؛ لأنّ الفعل (حلّ) يحمل معنى لم تحمله الأفعال الأخرى في هذا المقام؛ إذ إنّهُ يدلُّ على التمكن في الإحلال، ويتحقّق اطمئنان الآخر إليه من دون أن يرتاب فيه، والأصل فيه: «مِنْ حَلِّ الْأَحْمَالِ عِنْدَ النَّزُولِ، ثُمَّ جُرِدَ اسْتِعْمَالُهُ لِلنَّزُولِ، فَقِيلَ: حَلَّ حُلُولًا...»^(٣٨)، يظهر مما تقدّم من النّصّ أنّ الفعل (حلّ) يعني التمكن من الإحلال، بدليل أنّ المرتحل أو المسافر حينما يحلُّ أحماله وأمتعته في مكانٍ ما، فهو قد تمكّن من النزول والاستقرار والثبات فيه، ولما كان هذا الشّرف عالياً ومفرطاً استعمل معه الفعل (تقدّم)، من قوله: «وتقدّمت فيه فَرَطًا»، ولم يقل مثلاً: (سرت فيه فَرَطًا)؛ لأنّ التقدّم أبلغ وأكبر وأشمل، وهو غير الفعل (سار)؛ لأنّ الثّاني يُستعمل لمن يسير ليلاً، قال أبو هلال: «والتقدّم لفظٌ عامٌّ يكون في المكروه والمحجوب»^(٣٩)، ونجد تلازماً في الاستعمال عند العرب بين الفعل (تقدّم) ومادّة (فَرَطَ)، قال الرّاعب: «فَرَطَ: إذا تقدّم تقدّماً بالقصد يفرط، ومنه الفارط إلى الماء، أي: المتقدّم لإصلاح الدّلّو... وفرس فرط يسبق الخيل، والإفراط أن يُسرف في التقدّم»^(٤٠)، وجاء في اللّسان «فَرَطَ: المتقدّم السّابق... وفَرَطَ القوم يفرطهم فَرَطًا وفَرَاطَةً: تقدّمهم إلى الورد لإصلاح الأشربة والدّلاء...»^(٤١)، «والفرط: التقدّم، أي: تقدّم تقدّماً، أو احذر فرطك أي: تقدّمك»^(٤٢)، من خلال هذه النّصوص نبيّن شدّة التلازم بين اللفظين (تقدّم وفرط) في الاستعمال، ما يدلُّ على حُسن اختيار المتكلم للألفاظ وتناسبها

في وصف ممدوحهم بهذا الكلام.

إذا ما نظرنا إلى المناسبة الدقيقة في جواب القوم، وتطابقه مع سؤال الخطيب، سنجد كلاماً منسجماً ومتلائماً معه، يبرز ذلك من مقابلة العبارة الأولى من قولهم: «أنت - والله - فقرة الظهر، ورأس الفخر»، فهذا منسجم مع الشق الأول من سؤاله، وهو قوله: «كيف ترون موضعي فيكم؟»؛ لأنه لما كان يسأل عن سمو مكانته ومنزلته وزعامته بين قومه، جاء جوابهم بما يُناسب ذلك بما فيه من المعاني التي يحملها متمثلة بالقوة والمنعة والرفعة، والسيرة الحسنة، ويقابل العبارة الثانية من سؤاله: «وحسبي فيكم» الشق الثاني من جوابهم، وهو قولهم: «حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً»؛ لأن الحسب، والأصل الكريم، والأرومة العربية تُنعت بالشرف، ومنه ما يُطلق عليه بأشراف القوم، ويقال: الشريف فلان، أي: ذو أصل شريف، ينحدر من بيت شريف، وهكذا.

إن هذا السؤال الذي يُعدُّ مفتاحاً ومقدمة ابتداء به، أراد من خلاله أن يمهّد لإبلاغ خطابه، ويجعله مؤثراً في متلقيه، وقد جاء هذا المفتاح موفّقاً عند صاحب الخطاب؛ لأنه كان واثقاً ومتيقناً مما كان يطرحه على قومه، وكان بارعاً في انتقاء ما يقدمه، ويدخل هذا في وسائل الحجاج؛ لكونه عنصراً مؤثراً في المتلقي، فقد بين أحد الدارسين أن «من أبرز مظاهر كفاءة المحاجج منهجه في بناء خططه القولية، ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات التي من حقّها التقديم في مقام خاص، ومع جمهور بعينه؛ لأنّ وحدات البداية هي أهم ما يقرع الأذهان المتلقية، ويحدّد درجة القبول أو الرّفص للتصور المقدم»^(٤٣)، وتعدّ المقدمات المتمثلة في الوقائع والحقائق وسائل يتبعها المتكلّم

لتحقيق الإقناع، وكذلك وسائل للاستدلال يسوقها في خطابه^(٤٤).

ما يزال الرجل في مقدّمة خطابه يومئ ويُلَمِّح إلى القوم إلماحاً، ولم يصرّح بما عنده مباشرة لكي يكسب الاطمئنان والتأييد منهم، ويدرك المتلقّي من خلال ذلك أنّ وراء كلامه المغطّى غير الظاهر أمراً خطيراً؛ يفسّر ذلك لفظ (الأمر) في خطابه من قوله: «فإني قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه»، في قوله المتقدّم لما كان أوّل الأمر المشورة والمداولة بين الطرفين، قدّم فعل المشاورة على فعل الاستعانة بهم؛ لأنّ الاستعانة بهم تعني القيام والخروج والمواجهة، وهي تالية لفعل المشاورة والمداولة، ويدلّ الاسم (الأمر) على الشيء المهمّ والخطير، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم في عددٍ من الآيات، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤، ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وبسبب أهميّة الشيء وخطورته الذي جمعهم من أجله جاء لفظ الأمر في خطابه.

لم يستعمل المتكلّم النزعة السلطويّة أو السلطويّة بصفته زعيماً لعدد من القبائل، ولم يستعمل لغة التعالي والقهر والوعد والوعيد، بل مال في لغته إلى: الأناة والتوعدة في أدب التخاطب والحوار، واحترام الرّأي الآخر، فأنبأ أنّه قد جمعهم ليشاورهم، ويحاورهم، ويستعين بهم على أمرٍ مهمّ. والقرآن الكريم خير مثالٍ يُقتدى به في أدب التخاطب، كما نجد في الآيات التي يخاطب فيها الأنبياء أقوامهم، فينادونهم بألفاظٍ محبّبة، فيها دعوة للقربى والمودّة والانتساب إليهم، نحو قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، والآيات الكريمة في هذا الموضوع كثيرة،

ونجد الأنبياء في القرآن الكريم يتعرّضون من أقوامهم إلى أنواع من الشدة والقساوة، ولكنهم يُظهرون حلمهم وأناةهم معهم؛ لأنهم يريدون صلاحهم بالدعوة إلى الله تعالى، أو إبداء النصيحة والإرشاد، ويعمدون إلى مشاورة أقوامهم في أمرٍ من أمورهم^(٤٥).

ولما كان أسلوب صاحب النص مرناً ينبع منه الصدق واليقين والثوق بقضيته، فإن قومه يجيبونه بمثل ما يقول، ويبادلونه بلطفٍ وتأدبٍ في الكلام، وهذا جوابهم: «فقالوا: والله، إننا نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل نسمع»؛ إذ نجد خطاب القوم كان موافقاً وملائماً ودقيقاً، فكلُّ فقرة من جوابهم تقابل فقرة من خطابه، فقولهم: «والله، إننا نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي»، تقابل كلامه في طلب المشورة منهم: «أريد أن أشاوركم..»؛ لأنَّ منح النصيحة وإعطاءها، وتقديم الرأي السديد من لوازم طلب المشورة، وفقرة: «وأستعين بكم عليه» يُقابلها ويلائمها ويتناسب معها تسليمهم وانقيادهم وإذعانهم له في قولهم: «فقل نسمع»، وهذا الحوار بين الطرفين زاد النصَّ عمقاً في المعنى والدلالة، وولّد فيه بُعداً جمالياً كبيراً يدلُّ على تسليم القوم لزعيمهم وتأيدهم له، ويظهر ذلك -أيضاً- من خلال المؤكّدات التي ترد في جوابهم، كما هو في استعمالهم حرف التوكيد الحرف المشبّه بالفعل (إنَّ)، واتّصاله بضمير الجماعة (نا) الذي يدلُّ على خطابهم المشترك ووحدة كلمتهم، وكذلك القسم بلفظ الجلالة، فضلاً عن الخطاب المباشر من خلال تعدي الفعل المضارع (نمنحك) إلى كاف الخطاب، وهو من الإحالات التي تدلُّ على قوّة في الإبلاغ والتخاطب، وكذلك تعدي الفعل (نجهد) بالواسطة إلى كاف الخطاب، وهو فعل يأتي مرّةً متعدّياً

بنفسه، وأخرى بواسطة حرف الجرّ، وفي موضوع تعدية الفعل بشكل مباشر، أي: التعدية من غير واسطة حرف الجرّ- أشار الدكتور فاخر الياسريّ إلى أنّ ذلك يُشعرُ بـ «وقوع الحدث على المحدث له»، ويجعله واقعاً في حيّزه، وأنّه يزيد الكلام قوّةً ووضوحاً^(٤٦)، فضلاً عن انتقاء هذه الألفاظ واختيارها، وهي ذات معانٍ مقصودة، فهم لم يقولوا: نعطيك النصيحة، ونقدّم لك الرّأي؛ لأنّهم وجدوا في الفعلين (منح ونجهد) دلالة لم توجد في غيرها من الأفعال، كأن يكون في المنح سخاء وتكرّم أكبر، وفي بذل الجهد جهاد وتفانٍ، من أجل سداد الرّأي، وخلوص النصيحة.

ولما أراد صاحب النّص أن ينقدّ الوضع القائم آنذاك، ويظهر سخطه وازدراءه تُجاّبه، لم يحصر كلامه تجاه تسلّط (يزيد) على الحكم مباشرة؛ لأنّه أراد أن يُقنع متلقّيه، ويثبت لهم بالحجّة الواضحة فساد نظام الحكم الأمويّ منذ عهد (معاوية)، وفي هذا وجه إقناعيّ لقبول ما عرضه عليهم؛ لأنّه إذا كان (معاوية) الأقرب عهداً من عصر النّبوة والرّسالة قد أسّس الجور والإثم والظلم، فما بالك بابنه (يزيد)، ذلك الصّبيّ الموصوف بشرب الخمر، وارتكاب الفجور؟ وهو بهذا كان يُريد أن يقدم إلى أمرٍ خطيرٍ، وهو تولّي (يزيد) الحكم، والتأمّر على الأمّة؛ لذا كثّف عبارات الذّم بشكلٍ متيقّنٍ لديه من دون أن يرتاب في ذلك، فقد قال: «إنّ معاوية قد مات، فأهونُ به -والله- هالكاً ومفقوداً! ألا وإنّه قد انكسر بابُ الجور، وتضعضت أركانُ الظلم، وقد كان أحدث بيعةً عقَدَها أمراً، وظنّ أنّه قد أحكمه، وهيّات والذي أراد، اجتهد -والله- ففشِلَ، وشاور، فخذل». فقد عمد المتكلّم إلى ازدراء ذلك الحاكم وذمّه والتقليل منه، مستغرباً

ومتعجباً من هلكته، بصيغة التعجب القياسية (أفعل به) في: (فأهون به هالكاً)، فهو لم يقل: فأهون به ميتاً، كما عبر في أول كلامه بالفعل (مات) «إن معاوية قد مات»؛ لأنه أراد أن يغير في التعبير ليبين أن موته كان هلكة؛ لأن فعل الهلكة غير فعل الموت؛ إذ يلمح في الأول حدة وسوء عاقبة، قال ابن دُرَيْد: «وانهلك الرجل إذا حمل نفسه على الأمر الصعب»^(٤٧)، و«هلك الشيء الذي يهوي»^(٤٨). وهو بهذا يسير على خطى الإمام الحسين عليه السلام صاحب النهضة الميمونة في مواجهة الحاكم الجائر، والوقوف بوجهه امتثالاً للحديث الشريف: «ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٤٩).

إن في هذه المغيرة التفات وتنبيه للمخاطب طلباً للإقناع في قول المتكلم، ثم عزز ذلك بالتصغير والإذلال حينما وسم المتحدث عنه بأنه باب للجور وركن للظلم، بقوله: «ألا وإنه قد انكسر باب الجور، وتضعضت أركان الظلم»، وهو تصوير بلاغي، وغرض بياني متمثل بالاستعارة؛ إذ جعله باباً للجور، وركناً من أركان الظلم، وهو تعبير بليغ؛ لأن الباب هو المنفذ الذي يلج منه الخير أو الشر، وهو المدخل إلى مكنونات الأشياء وأسرارها، فإذا كانت خيراً فيملاً المكان خيراً، وإذا كانت شراً فيملاً شراً، وإن الدخول لا يكون إلا من الباب، قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، وجاء في الحديث الشريف: «أنا مدينة العلم، وعليّ بأبها»^(٥٠).

يصور المتكلم أن بحياة (معاوية) وجوده كان باب الجور مُشرعاً، وأركان الظلم قائمة، وفي حوار مع متلقيه أراد أن يقدم تعليلاً لما تقدم من كلامه السابق، فحينما ذمّه مبيناً أنه قد فتح باب الجور، وأقام أركان الظلم، أتبع ذلك معللاً أنه

أحدث حدثاً في الإسلام، وشرح شرحاً لا يلتئم حينها عهد لابنه الذي أنكره المسلمون، وأرغموا على أخذ البيعة منهم.

جاءت الألفاظ دقيقة في مواضعها من النص، ذات إحياءات معبرة تنطوي على معانٍ عميقة، فلو أخذنا الألفاظ من قوله: «وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً»، فالفعل (أحدث) يحمل معنى يدل على الخروج والبدعة في الإسلام ومخالفة النص من الكتاب والسنة، فعبر عن أخذ البيعة ليزيد حدثاً خاطئاً اجتراحه معاوية، ويعدُّ هذا الشيء خطيراً، جاء في اللسان: «الحدث كون شيء لم يكن... وحدث أمر، أي: وقع، ومحدثات الأمور: ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها»، وقال: «الحدث: الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتادٍ، ولا معروفٍ في السنة»^(٥١). لذا عبر عنه بالأمر في قوله: «عقد بها أمراً»، ولفظ (الأمر) يستعمل للحدث المهم سواء كان في الإيجاب أم السلب، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وجاء مثلاً للسوء في النص في أخذ البيعة ليزيد، والفعل (عقد) من قوله: «عقد بها أمراً» فعقد الشيء هو إبرامه وشده، وبما أن الأمر شيء ذهني غير محسوس، فاستُعير لفظ العقد له مجازاً، ثم جاء الكلام اللاحق وهو توصيف لهذا الأمر في قوله: «وظن أنه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد، اجتهد - والله - ففشل، وشاور، فخذل»، فالفعل (ظن) الذي أسنده إلى الضمير الغائب يُراد به اليقين، كان معاوية يخشى على بيعة (يزيد) من أربعة نفر كان الإمام الحسين عليه السلام على رأسهم، ومع خشيته منهم إلا أنه يرى أن الإمام الحسين عليه السلام سيواجهه ولا ينزل على حكمه ولو كلفه ذلك حياته، وهذا ما حدث، وأفعال الظن تخرج بحسب سياقات الكلام إلى اليقين،

والظنُّ «هو الاعتقادُ الرَّاجحُ مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشكِّ، وقيل: الظنُّ أحد طرفي الشكِّ بصفة الرَّجْحَانِ»^(٥٢)، وفُسِّرَ الظنُّ على اليقين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، «وفي مصحف عبد الله (يعلمون)، ومعناه يعلمون أن لا بدَّ من لقاء الجزاء، فيعملون على حسب ذلك، ولذلك فُسِّرَ (يَظُنُّونَ) بـ (يَتَيَقَّنُونَ)»^(٥٣). ثمَّ بيَّن المتكلم خيبة ما دبَّره وما بيَّته للأمة، والظاهر أنَّ الأمور قد استوسقت ليزيد بسبب سطوته، إلَّا أنَّ الحقيقة على خلاف ذلك، فقد خاب مسعاه؛ لأنَّه أحدث في الإسلام ما أحدثه، فأحلَّ حرام الله، وحرَّم حلاله، وهذا طعنٌ في الدين الحنيف والشرعية الغراء التي حملها سيّد المرسلين ﷺ، وهذا ما أنبأ عنه صاحب النصِّ في قوله: «وهيهاتَ والذي أَرَادَ، اجتهد - والله - ففشل، وشاورَ، فخذل»، فعبرَ عن ذلك باسم الفعل (هيهات)، ويعني: بعدَ ما أَرَادَ تحقيقه، واستعمال اسم الفعل بدلاً من الفعل نفسه فيه توكيد وتنبية للمخاطب، يقول الرضي: «ومعاني أسماء الأفعال أمراً كانت أو غيره أبلغ وأكد من معاني الأفعال التي يُقال إنَّ هذه الأسماء بمعناها»، وإنَّه أشار إلى معنى اختصار الكلام فيها «لغرض حصول الفراغ منه بسرعة؛ لبيادر المأمور إلى الامتثال قبل أن يتباعد عنه... وكذا كان أصل: عليك زيداً، وجب عليك أخذ زيد؛ وإليك عني، أي: ضمَّ رحلك وثقلك إليك، واذهب عني؛ ووراءك، أي: تأخر ووراءك، فجري في كلِّها الاختصار»^(٥٤)، وأشار الرضي أيضاً إلى معنى التعجُّب في أسماء الأفعال، فمثَّل على كلامه بـ (هيهات)، أي: ما أبعد، وشتان، أي: ما أشدَّ الافتراق... وأشار إلى أنَّ التعجُّب يعني تحقُّق التأكيد في الكلام^(٥٥). ويمكن أن نعدَّ ما تقدَّم من الكلام تقديمًا وتمهيداً لما سيذكره في الكلام

اللاحق من قوله: «وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر، ورأس الفجور... يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم»، ففشل ما اعتقد معاوية بإحكامه؛ نظراً إلى هذه الأسباب، التي منها تنصيب هذا الغلام، الذي شهدت الأمة بفسقه وفساده.

ونجد المتكلم يقدم خطابه لإقناع متلقيه مستعملاً المؤكّدات في الكلام، من خلال تكثيفه العبارة بواسطة العطف بالجملة والمفرد؛ لأنّ العطف تشريك الكلام اللاحق بالكلام السابق لجلاء الصورة وإيضاحها في التعبير، كما جاء في عطفه العبارات: (اجتهد-والله- ففشل، وشاور، فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر، ورأس الفجور... مع قصر حلم، وقلة علم...)، وقد أكّد الدارسون المحدثون أهميّة الرّبط من خلال العطف بين الجمل، أو بين أجزاء الجملة الواحدة، وهو «علاقة تصطنعها اللّغة بين المعنيين داخل الجملة الواحدة، أو بين الجملتين؛ لأمن اللبس في فهم إحدى الحالتين السابقتين، أي: لأمن لبس الارتباط، أو لأمن لبس الانفصال، فاللّغة تلجأ إلى الرّبط حين ترى أنّ ثمة علاقة بين طرفين، لكنّها علاقة غير وثيقة، فإذا تركت الطرفين متجاورين بالرّبط، فربّما فهم أحياناً أنّ العلاقة بينهما وثيقة، وربّما فهم في أحيانٍ أخرى أنّ العلاقة بينهما منعدمة»^(٥٦).

يُضاف إلى ذلك، القسم الذي يكرّره بين حينٍ وآخر، كما في قوله: (اجتهد والله، ففشل)، وقوله: (فأقسم بالله قسماً مبروراً)، ويدلُّ هذا على وثاقة الرّجل صاحب النّص بما يطرحه ويراه، ونجد كذلك مناسبة سوق عبارات النّص بعضها مع بعض، وترابطها وانسجامها، فالعبارة التي تسري مسرى المثل الدّالة

على الذِّمِّ في التَّخْبُطِ في الأُمُور وانعدام الرأي والبصيرة والصَّواب في قوله عن (يزيد): «لا يعرف من الحقِّ موطنٌ قدمه» مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكلام السابق: «يَدَّعي الخلافة على المسلمين، ويتأَمَّر عليهم، بغير رضا منهم، مع قصر حلمٍ، وقلة علمٍ»، فَمَنْ كانت هذه حاله في ادِّعاء خلافة رسول الله ﷺ، فماذا يُرتجى منه من خير؟ وفي هذا الموضع يُمكن أن نوردَ نكتةً في خطابه تدخل في باب الحِجَاج تعزِّز من موقف المتكلِّم، وتزيده قوَّة، وتعتمد إلى إقناع المتلقِّي، وهي قوله: (وقد قام ابنه يزيد)، أراد من (ابنه) وقيامه بهذا الأمر أن يحضر في ذهن السَّامع أنَّ الأمر قد توارثوه وتقاسموه، مع استحضر سيرة (معاوية)، وما تحمله أمامهم، وهذا ما يكشف عن الرِّبط بين الأب والابن في المنهج والسلوك.

ويُشير المصدر (ادِّعاء) على التعدي والمجاوزة على الحقوق في جانب من معانيه، جاء في اللِّسان: «وَادَّعَيْتُ الشَّيْءَ زَعَمْتُهُ لِي، حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلًا، وقول الله ﷻ في سورة الملك: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، قرأ أبو عمرو (تَدَّعون) مثقَّلة، وفسَّره الحسن (تُكذِّبون) من قولك: تَدَّعي الباطل وتَدَّعي ما لا يكون، تأويله في اللُّغة: هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعون الأباطيل والأكاذيب...»^(٥٧)، فَمَنْ كانت صفته قِصرَ الحِلْم، وقلة العِلْم، فقد خرج من الهداية إلى الضَّلال، وزاغ عن طريق الحقِّ والصَّواب.

بعد ذلك عمد المتكلِّم إلى المفاضلة من خلال استعماله (أفعل) التفضيل بين مجاهدته ومجاهدة المشركين، فقال: «لجَهاذُهُ على الدِّين أفضل من جهاد المشركين»، وهذا نوع من وسائل الحِجَاج في الكلام في المقارنة بين حالتين، فقد عدَّ النهوض والقيام بوجهه جهاداً يفوق جهاد المشركين؛ لأنَّه يعلم أنَّ حكمهم

حكم جور وظلم، فاقد للشرعية الحقة، وفضل جهاده على جهاد المشركين؛ لأنه يدعي الإسلام، ويحكم باسمه، من غير رضا من المسلمين، أمّا المشركون، فهم غير ذلك؛ ولكونهم لا يدينون دين الإسلام، فجهتهم مشخّصة ومعروفة لدى المسلمين، أمّا من يعتلي منبر رسول الله ﷺ وهذه الحالة التي عليها (يزيد)، فالأمر هنا خطيرٌ، ولا يُغتفر السكوت عليه.

إنّ المتكلم قد مال إلى الكفة الراجحة بالمحامد والفضائل في شخص الإمام السبط عليه السلام، محيلاً عليه باسم الإشارة في قوله: «وهذا الحسين بن عليّ ابن بنت رسول الله ﷺ...»، فقد حلّت به الفضائل كلّها: التمام والكمال، والشرف والرّفعة، والعلم والحلم، والنّسب والقربة من رسول الله ﷺ.

بدأ النّص بخصلة مهمّة ومؤثّرة في نفس المتلقّي، وهي القرابة والانتساب إلى رسول الله ﷺ ووصيّيه وبضعته الزّهراء العليّات لما لهذا من أثر كبير؛ لأنّه فعل إنجازيّ إبلاغيّ موصل إلى نفوس المتلقّين، أراد من خلاله أن يبرز ارتباط الحسين عليه السلام برسول الله ﷺ نسباً وقرابة من جهة أمّه فاطمة العليّات، وما يوحيه هذا الرّمز الكبير، وما تحمله العليّات من مكانة في الإسلام، وكذلك مرتبطاً برسول الله ﷺ روحاً ومبدأً؛ لأنّ المسلمين يعلمون ويعون الأحاديث الشريفة التي تنصّ على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام ابنا رسول الله ﷺ، ويؤكد ذلك ما ورد في الأحاديث المستفيضة في بنوّتهما لرسول الله ﷺ، من ذلك ما نقل عن أسامة بن زيد، قال: «طرقتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً لبعض الحاجة، فخرج، وهو مشتملٌ على شيءٍ لا أدري ما هو، فلمّا فرغتُ من حاجتي، قلتُ: ما هذا الذي أنت مشتملٌ عليه؟ فكشفه، فإذا هو الحسن والحسين على وركيه، فقال: هذانِ أبنائي، وأبناء ابنتي،

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبُهَا فَأَحِبَّهَا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَحْبَبُهَا فَأَحِبَّهَا»^(٥٨).
 إن الانتساب إلى جدّه صلّى الله عليه وآله، وأبيه وأمه عليهما السلام، قد ورد على لسانه عليه السلام في عددٍ من مواضع خطبه في مسيره، وفي ملاقاته الجيوش المحيطة به، ومن جملة ذلك، قوله عليه السلام: «فإنّه لا يحلُّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإنّي ابنُ بنت نبيّكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم»^(٥٩)، فهذا الانتساب والقراة من النبيّ الأعظم وسيلة وحجّة إقناع لردع القوم عن القدوم لمحاربته، وانتهاك حرمة، التي تعني انتهاك حرمة الإسلام.

في قوله: «هذا الحسين» يُحِيل اسم الإشارة على رمزٍ من رموز الأُمّة، وزعيم من زعمائها، الذي لم يتقدّم عليه أحدٌ في زمانه، حتّى أنّ معاوية قد أعلم يزيد حينما أراد أن يعقد له البيعة، أنّه سيرفض مبايعته^(٦٠).

وورود العَلَم الممثل بالاسم الشّريف (الحسين) عليه السلام في النّص، يحمل معاني سامية، وأثراً إقناعياً يذهب فيه المتلقّي إلى ما يحمله الاسم من صفات تنعكس عليه، ومن خلاله يحقّق المتكلّم فعلاً إنجازياً، فالإشارة إلى رمز الإمام الحسين عليه السلام يكشف عن مدلولات تنضوي وراءه، فهو يمثل الدّين المحمّديّ الحقّ، وهو أمل الأُمّة لتغيير الواقع المعاش آنذاك، وهذا المشار إليه يقودنا للحديث عن دلالة استعمال الاسم العَلَم، ويولّد حضوره في النّص حضوراً بين المتكلّم والمخاطب، ويشكّل مثيراً نصّياً؛ لما يحلُّ في هذا الاسم العَلَم من مقام، وما يحمل من صفات ذلك الشّخص، يقول راسل: «إنّه على الحقيقة وصف لصاحبه، لكنّه وصفٌ غيرُ معلّن... يُمكن أن يحلّل على أساس الصّفات التي لصاحبه»^(٦١).

في استعمال اسم الإشارة للإحالة على القريب في قوله: «وهذا الحسين...»

دلالة على حضوره، وتوجّه أنظار الأمة إليه لقيادة زمام الأمور، وتولي أمر المسلمين؛ ولأنّ حضوره واضح في مراقبة حال الأمة في ذلك الوقت، وهو الإمام المنصوص عليه، الأمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر، فأحال المتكلّم على شخصه الكريم؛ ليُضفي على كلامه قوّة، ويزيده توكيداً، فالمشار إليه، وهو الإمام عليه السلام قد أعطى مدلولاً لاسم الإشارة (هذا)، وزاده وضوحاً وتحديدًا^(٦٢).
جاء النّص متجانساً ومنسجماً من خلال استعماله العطف المتكرّر للعبارات التي تبين محامد الإمام وخصاله المتأصّلة، التي لا يختلف عليها أحد حتّى أعداؤه، وهو قوله: «ذو الشّرف الأصيل، والرّأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف...».

يظهر النّص هنا مترابطاً ومتضامّاً ومتراصّاً بين أجزائه وعباراته بواسطة العطف بحرف العطف (الواو)، وما ذكر -أنفأ- عدّ من وظيفة العطف، والمتمعّن في كلام سيبويه يلمح إشارته إلى ترابط الكلام من خلال العطف، فالطرفان (المعطوف والمعطوف عليه) مشتركان في الحكم، ولم تكن لأحدهما منزلة أولى من الآخر؛ «لأنّه يجوز أن تقول: مررتُ بزيد وعمرو، والمبدوء به في المرور عمرو، ويجوز أن يكون زيدا، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة، فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، فإذا سمعت المتكلّم بهذا أجبتّه على أيّهما شئت؛ لأنّها قد جمعت هذه الأشياء»^(٦٣).

يظهر ممّا تقدّم أنّ العطف عامل مهمّ من عوامل الرّبط بين أجزاء الكلام، وأداة فاعلة للتّساق والانسجام في النّص.

هذه الأوصاف التي سيقّت في النّص بعد الإشارة التي أحالت على الإمام عليه السلام

وتعلقت به، جاء الكلام متناسقاً ومتناسباً مع ما تقدمه، وهو ذكر الإمام الحسين عليه السلام وانتسابه إلى جدّه صلّى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، فأُيِّن من هذه الصفات التي ذكرها تنطبق عليه عليه السلام تمام الانطباق من الشرف والانتساب، وكذلك الرأي والفضل والعلم؛ لذا أراد النص أن يعزز قوله الأول، ثم أراد المتكلم أن يثبت دعوته إلى نصرة الإمام عليه السلام وتولية الأمر إليه، كما في قوله: «وهو أولى بهذا الأمر»، فعمل ذلك بسابقته وسنّه، وقدمه وقربته، فالإمام الحسين عليه السلام من الصحابة السابقين، والسابقون هم الممدوحون في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢] بالسَّنِّ والقَدَم؛ لأن ذلك يعني أنه قضى هذه المدة من حياته الشريفة، تلك الحياة المستقيمة النقية الناصعة، قضاها في ظلال الإسلام الوارفة، وهضم تعاليمه وأحكامه التي سرت في عروقه مسرى الدّم، أمّا قرابته من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فهي اللفظة التي تحمل بُعداً عميقاً، وتمدُّ النص وتوصل الكلام لتثبيت الرسالة التي يلقيها صاحب النص على المتلقي؛ لأن هذه القرابة توجب لهم الطاعة والمحبة والولاء والرعاية، وهذا ما نصّت عليه الآيات النازلة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الأنفال: ٤١].

إن الإشارة في قوله: «وهذا الحسين» إنّما هي إشارة إلى حاضر قريب، وهذا ما ثبت عند علماء النحو، يقول ابن النّظم: «اسم الإشارة ما دلّ على حاضر، أو مُنْزَل منزلة الحاضر، وليس متكلاً ولا مخاطباً، ويختلف بحسب القرب والبعد...» (٦٤).

أما الرّضيّ الاستراباذي، فعدها إشارة حسيّة تُستعمل للحضور والقرب، قال: «ولا يُشار بالإشارة الحسيّة في الأغلب إلّا إلى الحاضر الذي يصلح لكونه مخاطباً...»^(٦٥)، ويبيّن أحد الباحثين نوع الحضور في اسم الإشارة عند ابن النّاطم أنّه حضور يختلف عن الحضور في المُشيرَات النَّصِّيَّة الأخر، كضمائر المتكلّم والمخاطب؛ إذ إنّهما يشكّلان حضوراً «بالمواجهة والتخاطب القائم بينهما، أمّا حضور المشار إليه، فقد كان من جهة توجيه الانتباه إلى شيء موجود في الحضرة»^(٦٦)، ومال بعض الدّارسين المحدثين إلى أن أسماء الإشارة تتوزّع بين مهمّتين، هما: الإشارة المقاميّة، والثانية عائديّة نصّيّة، منهم: ليونز، وفرانك بالمر^(٦٧)، ورَجّحت الباحثة منى الجابري أن وظيفة أسماء الإشارة هي الإشارة المقاميّة، وبيّنت «أنّ كلّ مشارٍ إليه لابدّ أن يكون في علاقة اتّصال بمركز التخاطب من قريبٍ أو بعيدٍ»^(٦٨).

وإذا أردنا أن نقف عند قيمة هذه العلاقات والروابط التي تجمع بين أجزاء النّصّ بهذه المحيالات من الضّمائر وأسماء الإشارة والعطف بين الجمل والعبارات، فهي تشكّل ملّحاً مهمّاً في تماسك النّصّ وتلاحم أجزائه، وقد أولى المحدثون أهميّة كبرى لهذه العلاقات في بناء النّصّ.

إنّ من أبرز سمات الخطاب هو التّرابط والتّماسك بين أجزائه، وعلاقة الجمل فيما بينها، وهناك عوامل يستند إليها هذا التّرابط، وهي مؤثّرات لغويّة متمثّلة بعلامات العطف، والوصل والفصل، وأسماء الإشارة، وأدوات التعريف، والأسماء الموصولة^(٦٩).

بعدما قدّم صاحب النّصّ حالتين متضادّتين، وطرفين متناقضين، ورسم

طريقين مختلفين، طريقاً ينتهي إلى الضلال والتيه، وطريقاً يؤدي إلى الهدى والحق، يتمثل الأول بالسلطة الحاكمة سلطة (يزيد بن معاوية)، وأمّا الطرف الثاني، فيتمثل بدعوة الحق التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام، وتضمن النص إبراز هاتين الحالتين المتضادتين المتقابلتين، ويُعدّ هذا ملمحاً جمالياً أثار نفوس المتلقين في خطاب المتكلم؛ لأنّ النفس بطبيعتها مجبولة على الخير، ونافرة من الشر. وقد أشار (سيد قطب) إلى القيمة الكبيرة للتقابل الواقع في القرآن الكريم، مصوراً دقة التعبير فيه، والأثر الناتج منه، ومثّل لذلك بصورتين متضادتين، وهما: إماتة الأحياء، وإحياء الموتى في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٦-٢٧]، ففي ومضة عين نقلهم من القرى المهلكة الدائرة بعد الحياة والعمران إلى الأرض الحية الممرعة بعد الموت والإجداب، فالتقابل هنا بين حالتين في الواقع، لا بين حالة وحالة^(٧٠).

من خلال ما تقدّم، أراد الخطيب صاحب النص أن يُقابل بين حالتين متضادتين مختلفتين، ولعلّ هذا يدخل في باب التقابل، فيخلق أسلوباً جمالياً، يقول د. حسين جمعة: «إنّ البنية النسقيّة المتوازنة والمتلائمة في أسلوب التقابل بنية نسقيّة مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التناظر في الشكل، ومتفاعل مع الدلالة، فما تكاد تلتقي حتّى تفرق على التضادّ، أو على التماثل، لتخلق لذّة جماليّة مفاجئة ومثيرة، وهي تنتقل من أسلوب نسقيّ إلى آخر لتحدث في النفس قبضاً وبسطاً، هيبة وأنساً، خوفاً ورجاءاً... فالتضادّ التقابلي لا يقوم على مجرد

المعاكسة أو التعارض، أو على أساس مفهوم الهدم والبناء... وإنما يستند إلى النسق التقابليّ البنيويّ، فكلُّ نسق يقفُ مقابل نسقٍ آخر تضاداً وتشاكلاً لينتهي إلى التآلف والتكامل والتناغم في وحدة منسجمة... أي إنّه في مثل هذه الحال يُصبح ظاهرة أسلوبية جمالية لا تنتهي إلى مفهوم الضدية المحطّمة، وإنما يتجسّد التضادّ التقابليّ في نسيجٍ ملائمٍ متوافقٍ... ممّا يحقّق للنسق التقابليّ قدرة هائلة من التأثير والفعل في حال التناظر المعكوس، أو التناظر المتآلف المرتّب بدقّة»^(٧١).

نجد في سياق وصف هاتين الشّخصيّتين المتضادّتين أنّ المتكلّم قدّم الحديث عن شخصيّة (يزيد) على شخصيّة الإمام عليه السلام لكي يجعل كلامه منسجماً ومتربطاً مع كلامه السّابق له، وهو حديثه عن معاوية، وتمهيداً لحكومة يزيد، وهو قوله: «إنّ معاوية مات...»؛ ليجعل خطابه متسلسلاً ومتّصلاً؛ ولكي يكون نسيجاً واحداً، أو أن نحلّل ذلك على أنّ خطاب المتكلّم كان منصبّاً على الحدث المهمّ الذي جرى الكلام من أجله، وهو تسلّط الحاكم الجائر. وقد أدرك القدماء من البلاغيّين فيه هذا الغرض، لكي يوضع الموضع الملائم والمنسجم في الكلام، كما هو مبين عند ابن الأثير حينما بيّن حاجة صاحب الصّناعة اللفظيّة إلى الأشياء التي تجعل نصّه مترابطاً منسجماً، فذكر ثلاثة أمور الأوّل: اختيار الألفاظ المفردة، والثاني: انتظام الكلمة مع أختها المشاكلة لها، والثالث قال فيه: «الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم...»^(٧٢).

ويردّ الدّارسون أغراض التقديم والتأخير في صياغة الكلام إلى فكرة (الحال والمقام) التي تقوم على علاقة المجاورة بين أجزاء الكلام، وقد علّقت الدكتورة

خلود العموش على نص ابن الأثير، بقولها: «وهذا نص يؤكد إدراك هذا البلاغي لمفهوم الامتداد الخطي لسلسلة الكلام، وأهميّة التوافق الذي يجب أن يتوافر بين عناصره، ومن ثمّ التوافق مع السياق المحيط به، والذي أسماه (الموضع) أو (الغرض)، فتشكيلة الكلام تتفق مع الحدث الذي أنتج هذا الكلام»^(٧٣).

بعدما بيّن الحق من الباطل، والهداية من الضلال، لإقناع متلقي خطابه، خلص إلى توجيه الخطاب إليهم مباشرة من خلال أسلوب الطلب بواسطة النهي في قوله: «فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكّعوا في وهدة الباطل...»، وقد عمد إلى هذا النهي مستعيناً بغرض بياني من أغراض البلاغة وهو (الاستعارة)، إذ إنّه استعار للحق وللباطل الفعلين (تعشوا وتسكّعوا) من استعمالهما في شخص الإنسان.

يدخل هذا الأسلوب في باب الطلب الإنشائي (الأمر، النهي...)، وهو يؤلّد اتّصلاً بين المتكلم والمخاطب لما يحققه من حاجات نفسية وروحية واجتماعية؛ إذ نلمح في هاتين العبارتين غرضاً بلاغياً مثل التهديد والإنذار والوعيد، وهو ما أثبتته أصحاب المعاني من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، فقد ذكر أحد الباحثين في شواهد القرآن الكريم المتقدمة «أنّها حالة عقلية قبل أن تكون حالة عاطفية انفعالية، ما يبرز القيمة الجمالية في نسب اتّصال الصورة الجمالية بين العقل والعاطفة»^(٧٤).

والنهي واحد من أساليب الطلب الذي عدّ من نظرية أفعال الكلام، وهو

يؤدّي عملاً مرتبطاً بموقفٍ يعبر عن رغبةٍ في شيءٍ ما، وهو يدخل في الفعل غير اللفظي لكونه يعبر عن حدثٍ يقصده المتكلم، «وقد لفتت هذه النظرية الانتباه إلى أن اللغة ليست للإخبار ونقل الأفكار فقط، بل تؤدّي -أيضاً- وظيفة التأثير الاجتماعي في الآخرين عبر ما يُعرف بصيغ العقود أو الصيغ الإنشائية»^(٧٥).

ولو نظرنا إلى مناسبة اختيار الألفاظ في هاتين الاستعارتين، وهما الفعلان: (تعشوا، تسكّعوا) لوجدنا دقة الاستعمال، وحسن التناسب بين الألفاظ، فالعشو «مصدر عشوت... وأوطأتني عُشوة، أي: أمراً ملتبساً... عشى الرجل يعشى عشى... وهو الذي ساء بصره من غير عمى»^(٧٦)، ولما كان العشو مرضاً غير إرادي، فاستعماله هنا على غير وجه الحقيقة، بل هو استعمال مجازي، وكذلك الفعل (تسكّعوا) ومعنى التسكّع: «من قولهم: خرج فلان، فلا يُدرى أين سكع، أي: أين وقع، وإلى أين صار؟ وفلان يتسكّع في أمره، إذا لم يعتد لوجهته»^(٧٧).

بعد هذا النهي الموجه بشكل مباشر إلى السامعين المتلقين، يسوق المتكلم نهياً غير مباشر، وهو نهى جاء بأسلوب الخبر، أي: أن الخبر قد خرج إلى النهي في قوله: «والله، لا يُقصر أحدٌ عن نُصرتِه، إلّا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلة في عشيرته»، وهذا أسلوب رفيع المستوى من النظم في الكلام، وقف عليه المفسرون في التنزيل العزيز، مبينين بلاغته.

وقد أشار الزمخشري إلى معنى النهي عن مسّ القرآن الكريم إلّا على طهارة من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، قال: «وإن جعلتها صفة للقرآن، فالمعنى لا ينبغي أن يمسّه إلّا مَنْ هو على الطهارة من الناس»^(٧٨)، وأشار الزركشي في عددٍ من آيات التنزيل العزيز إلى وضع الخبر موضع الطلب في الأمر

والنهي، كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ...﴾ [البقرة: ٢٨٨]، ثم قال «فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقاً لثبوته، وأنه مما ينبغي أن يكون واقعاً ولا بد، وهذا هو المشهور»^(٧٩).

وذكر الدكتور حسين جمعة: «فالانحراف في الأسلوب الخبري لم يكن تحولاً عارضاً أو معيارياً، بل هو انزياح بلاغي تصويري لحالات النفس التي تحتزن عواطف شتى يستجيب لها المخاطب بكل جوارحه»^(٨٠)، ويعدّ تحول الخبر إلى إنشاء من أحداث الكلام الذي تعنى به نظرية أفعال الكلام؛ إذ مثل (اوستن) لها بقوله مثلاً: «لا يشغل محرك السيارة»^(٨١).

بعدما أوضح ويّن وأنذر، وعلم أنّه قد بلغ الغاية في خطابه، أعرب عن الهدف الذي ساق من أجله خطابه، فكشف عنه بقوله: «ها أنا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها...»، مُعلنًا بشكل صريح عزمه على ملاقات الأعداء، وخوض غمار الحرب، جاعلاً هذا الإعلان وهذا البيان نتيجة لما يصبو، ومرتباً بخطابه الذي أسّس له في كلامه السابق، فبدأ عبارته هنا بالإشارة إلى ذاته - وهو المتكلّم - ليجلب انتباه المخاطب إلى وجوده وحضوره، كما تقول: «أنا هذا»^(٨٢).

وفي كلامه هذا قد أنبأ عن فتوّته وبسالته وتأهّبه، وقد صاغ ذلك بأسلوب رصين محكم، نلمح فيه فروسيّته وشجاعته، فرسم لنفسه صورة بطوليّة تُثير في المتلقّي الحماس والاندفاع، وهو قوله: «ها أنا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يُقتل يمُت، ومن يهرب لم يُفُت». جاء النصّ مكتنزاً وقويّاً من خلال المؤكّدات المتمثلة بالفعليّن الماضيين: (لبست، وأدرعت)؛ إذ يدلّ الفعل الماضي على الانقطاع والانقضاء في حدثه، فصاحب الخطاب قد عزم

أمره وحسمه، وأكد ذلك بحرف التحقيق الدّاخل على الفعل الماضي، يُضاف إلى هذا التأكيد، الإضافات: (لامتها، درعها)؛ إذ إنّهُ أضاف اللّامة - وهي عدّة الحرب - إلى الضّمير العائد على الحرب، وكذلك (بدرعها)؛ لأنّ الإضافة تجتمع فيها قوّة من خلال النّسبة بين الاسم الأوّل والثّاني؛ إذ يُصبح الاسمان اسماً واحداً من حيث الارتباط والالتصاق، فضلاً عن العطف بين الجمل لتكثيف المعنى وتأكيد، ويؤكد ذلك بما بعده من الكلام، مشيراً إلى حتميّة الموت الذي لا مهرب منه، وهو كلامٌ ينسجم مع كلامه عن الحرب التي تتطلّب التضحية والفداء، وهو قوله: «مَنْ لَمْ يُقْتَلْ يُمُتْ، وَمَنْ يَهْرُبْ لَمْ يَفُتْ».

وبعد انتهاء الفقرة يختم مخاطبتهم بأسلوبٍ طلبيّ مهذّبٍ متوخّياً منهم حسن الجواب في قوله: «فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب»، جاءت جملة الدّعاء بالفعل الماضي معترضة لتزيد من جماليّة الطّلب؛ كي لا يكون فيه تعالٍ وخشونة ونفور.

الحجاج في خطاب قومه وجوابهم له

بعد ما تلقت تلك الأقوام الخطاب من زعيمهم، أجابته ملبّية دعوته، مرّجة بما ألقاه على مسامعهم، وهم: (بنو حنظلة، وبنو سعد، وبنو عامر)، وكلّ قبيلة كشفت عمّا في نفوس قومها، مبدية السّمع والطاعة، فجاء خطابهم كلاماً رصيناً محكماً مشتملاً على قوّة المعنى من حيث المؤكّدات والنّداء، بقولهم: «يا أبا خالد»، وهو خطاب مباشر موجّه إليه، ويظهر من خطابهم سمة التواصل والفهم لرسالته التي واجههم فيها، وأطلعهم عليها من خطابه لهم، بدليل أنّهم قد أجابوه بلغة الحماسة والشّجاعة والفتوّة، ظهرت فيها ألفاظ الحرب

والمواجهة والتضحية والفداء، كما في قول بني حنظلة: «نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت فتحت، لا تخوض -والله- غمرة إلا خضناها، ولا تلقى -والله- شدة إلا لقيناها، ننصرك بأسيا فنا، ونفيك بأبداننا، فانفض لما شئت»، وقول بني سعد: «إن أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج عن رأيك»، وقول بني عامر: «نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ضعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك، ومُرنا نُطعك، إن شئت...». يدلُّ هذا على الإقناع الذي حصل لهم في قبول هذه القضية والإيمان بها، والقيمة المحاجية للخطاب الذي تلقَّوه من زعيمهم، فأثر في نفوسهم بعدما أدركوا مراميهِ ومقاصده، ودور المتلقي (المخاطب) دور مكمل لإتمام الخطاب ونجاحه؛ لأنه يقوم بدور المفكك لتركيب الخطاب بحسب فهمه الخاص المعتمد على ثقافته وتجاربه، وهي ثقافة مشتركة بين أبناء المجتمع، ومنهم صاحب الخطاب^(٨٣). وأورد أحد الباحثين أن لغة النصِّ تحقق التواصل عن طريق طرفين مهمَّين، هما: المرسل (وهو الطرف الفعَّال)، والمتلقي (الذي يبذل جهداً في تلقي الخطاب)^(٨٤).

لقد كان حماس المتلقين للخطاب بادياً من خلال خطابهم المقابل الذي زخر بالأسلوب الرصين والمعاني العميقة، ما أكسبه صفة الفصاحة والبلاغة، وقد كان مكثفاً ومستوعباً لأفكار الخطيب؛ إذ إنهم كانوا قد أسهبوا وتوسَّعوا في ردِّ الجواب بما يُعني فكرة الاستعداد بالقدوم على الجهاد والتضحية، وبذل كلِّ نفيس من أجل القضية التي آمنوا بها.

لقد تنبَّه الدارسون المحدثون إلى حالة إيجابية عُدَّت لصالح المخاطب

(المتلقي)، وهي إن: «عدم اقتصار دوره على القيام بعملية التفكيك فرضه نمطاً معيناً يأتي عليه الخطاب، وفقاً لحاله، وبتوجيه من طبيعة العلاقة التي تربط المتخاطبين، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٧-١٨]، فحرص موسى ﷺ الشديد على إطالة الخطاب مع الله، جعله يُطيل في وصف عصاه، مع أن المطلوب في السؤال هو بيان ما يمينه لا مدى أهميتها له»^(٨٥).

الحجاج في جوابه للإمام الحسين ﷺ

لما أبلغ هذا الرجل الجليل رسالته بهذا الخطاب المثير الذي استجابت له قبيلته، وأقوام من البصرة بالرضا والترحيب، كتب إلى الإمام الحسين ﷺ رداً على الكتاب الموجّه إليه منه ﷺ، وقد كان كلامه يحمل دلالات وانزياحات لغوية تنم عن مقدرة خطابية عالية، وأداء منسجم ومترابط في الكلام، وانسجام بين أجزاء النص، وكان خطابه أمام الإمام ﷺ يظهر فيه الوقار والاحترام، ويقدم نفسه بصورة المتذلل المتصاغر، المظهر للخضوع والانقياد والطاعة أمام شخصية الإمام العظيمة، وعليه مظاهر التأدّب، وأمارات المحبة، فقال: «أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيب من نصرتك...»، فتظهر قوة المعنى في الخطاب من خلال الإحالات في الضمائر المتصلة التي تعود على المخاطب والمخاطب، فقد حققت الاتصال المباشر بينهما، وهي توصف عند الدارسين المحدثين بأنها تكون ذات إحالة مقالية متحققة التناسق^(٨٦).

عبر عن موقفه الإيجابي تجاه خطاب الإمام عليه السلام الموجه إليهم، وقد أبدى اهتمامه به لأهميته التي بدت من خلال قوله: «وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له»، إذ إنه قد فهم أبعاد هذا الخطاب المتعددة التي تحتوي على أبعاد دينية ودنيوية، فأثر ذلك في نفسه، مبيناً أنه أمر مهم وخطر؛ لذا عبر عنه بالفعل (ندبتني إليه)؛ لأن الانتداب للشيء لا يجري في الأمر السهل والهيّن، بل يحصل في الأمر الشديد؛ لذا قدّمه على قوله: (ودعوتني له)، وإذا ما نظرنا إلى عباراته الدالة على استجابته وطاعته وتوقيره الإمام عليه السلام، نجده يعدّ طاعة الإمام عليه السلام خطوة، ونصرته فوزاً، يقول: «من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصبي من نصرتك» لتيقنه واعتقاده الرّاجح أنّ الإمام عليه السلام هو العامل لإعمام الخير والنّجاة من الضلال والهلكة.

ويرتبط خطابه المتقدّم المتضمّن الولاء والطاعة بما بعده من الكلام؛ لأنّه أخبر عمّا تقدّم بكلام أثبت فيه حقّهم المفروض على الأمّة من خلال قوله: «وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة، وهو أصلها، وأنتم فرعها»، تلاحظ في هذا النصّ إشارة منه إلى الآية المباركة، وهي قوله تعالى: ﴿...وَيَوْقُدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

فزاد الكلام إيضاحاً واتّصلاً، وقوّةً وتوكيداً، بهذا التصوير العائد على الدّوحة المحمّديّة المباركة، وهي المنعوتة بالشّجرة النورانيّة المباركة، ثمّ خاطب الإمام عليه السلام متفتّلاً له بالسّعد والخير، إشارة إلى عادة من عادات العرب، فهم يتفاءلون بالطائر إذا كان مروّره في وضع معيّن لديهم، ويتشاءمون إذا كان مروّره

في الوضع المغاير، ويدلُّ هذا على التسليم المطلق له، والتنبؤ بالسَّعادة في نهضته الميمونة التي سوف يعمُّ بها الخير والنَّصر في العاجل أو في الآجل. وهو بهذا رسم لنا صورة رائعة في بيان طاعة الأَقوام، ولَمَّا كان يعلم من أقوامه أَنَّهُم عصيُّو الانقياد، فعمد إلى تصوير لينهم وطاعتهم تذللًا وقبولاً، وكان وصفهم بالتذليل موفِّقاً حينما ارتبط بلفظ الأعناق في قوله: «فَقَدْ ذَلَّلْتُ لَكَ أعناق بني تميم»؛ لأنَّ تذليل الأعناق يعني الخضوع، ودفع الأنفة والكبرياء، وقد جاء التعبير القرآنيُّ رابطاً التذليل بالأعناق في قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشُّعراء: ٢٦]، فتذليل الأعناق في النَّصِّ يُراد به الطاعة والانقياد، ولَمَّا لانوا ورقُّوا بيَّن حالهم بصورة مستمدَّة من بيئته العربيَّة، تدلُّ على شدَّة طاعتهم وتلهُّفهم للقاءه، واللُّحوق به، كحال الإبل الظمأى يوم ورودها، وهي لم ترد الماء منذ عدَّة أيَّام. إنَّ هذا الخطاب الذي كتبه أحد زعماء البصرة جواباً على كتاب الإمام الحسين عليه السلام مليئاً بدعوته وما انتدب إليه، فأحزم أمره، وعبأ أقوامه، بعدما أقنعهم بهذا الخطاب المؤثِّر الذي وقع في نفوسهم، وقد ساقه بأسلوبٍ رصينٍ مترابطٍ ومتناسقٍ، كما بيَّنا في أثناء تحليل خطابه، بإبراز العلائق بين الكلام، والكشف عن وسائل التواصل والإقناع بين المتكلِّم والمخاطب.

وبعد التدقيق من وثيقة نفسه وأصحابه، كتب إلى الإمام عليه السلام بما هم عليه من الثَّبات والتأييد له والنَّهضة معه، وقد خاطب الإمام عليه السلام بأسلوبٍ يحمل روح التَّأدُّب والتَّهذيب والخضوع واللِّين، وقد جاء بكلامٍ جزلٍ متماسكٍ رصينٍ، مليءٍ بالصُّور وفنون البلاغة، وقد حاولنا أنْ نكشف عن الوسائل التي تضمَّنَّها هذا الخطاب الحجاجيُّ من طرقٍ للإقناع والتوصيل والإبلاغ، وتعيين القوَّة

الإنجازية للكلام من أجل التأثير في نفس المتلقي، ومن ثم استجابته لقبول هذا الخطاب.

اشتمل جوابه على رسالة تنبئ عن صاحبها وما يحمله من حليم، وإدراك، ووعي، وقراءة متبصرة بالأمر وعواقبها؛ لذا فهي متضمنة بعداً عقائدياً، وفكراً راسخاً، سلكت فيه طريق الحق المبين؛ إذ بين في جوابه فوزه، وحظوته، وهو يتدب من أجل إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ويدعى إلى نصره سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء جوابه مباركاً بدعوة الإمام الحسين عليه السلام، وهو يرى أنه الإمام العامل في تثبيت الحق والعدل، كما ذكر في قوله: «وإن الله لم يخل الأرض من عامل عليها بخير، ودليل على سبيل النجاة، وأنتم حجة الله على خلقه...».

من خلال ما تقدم من النص المبارك لأحد أشراف البصرة، وهو يدعو قومه من أجل قضية نبيلة تدرأ فيها فتنة أحاطت بالأمّة، تهدف إلى إمامة الدين وتعطيل أحكامه، لولا وقفة سيد الشهداء عليه السلام، وقضيته التي بقيت رمزاً خالداً في مقارعة الظلم والطغيان؛ ومن أجلها وقف (يزيد بن مسعود النهشلي البصري) الوقفة المشرفة التي بقي فيها حياً بحياة الحسين عليه السلام، حينما ألقى ذلك الخطاب البليغ المتضمن معاني البطولة والشجاعة والمروءة، بأساليب اللغة الفنية المشتمل على الوسائل المؤثرة، فقد كان موفقاً في طرحه؛ يدل على ذلك استجابة أبناء قومه، واستقبالهم خطابهم. والحمد لله رب العالمين

الهوامش

- ١- يُنظر: تاريخ الطبري: ٣٥٧/٥، والكامل في التاريخ: ٣٥/٣، والملهوف في قتلى الطفوف (طبعة دار الأسوة - إيران)، ومقتل الحسين عليه السلام المسمّى باللّهوف في قتلى الطفوف (طبعة الأعلميّ): ص ٢٦، وأعيان الشيعة: ٤٠٤/٢-٤٠٦.
- ٢- يُنظر: الملهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٦.
- ٣- يُنظر: ديوان الأدب: ص ٦٠٤، ومعجم مقاييس اللغة: ٣٠/٢٠ (حجّ).
- ٤- يُنظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٠/٢ (حجّ).
- ٥- زاد المسير: ص ٤٥١، تراجع الآيات: ٨٠، ٨١ من سورة الأنعام.
- ٦- يُنظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٩/٢-٣٠، وتحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة: ص ٤٦.
- ٧- يُنظر: الحجاج في القرآن: ص ٤-١٦.
- ٨- بلاغة الخطاب وعلم النصّ: ص ٩٢.
- ٩- يُنظر: تحليل الخطاب في ضوء أحداث اللغة: ص ٤٩.
- ١٠- يُنظر: مدخل الحجاج إفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمّد المولى، مجلّة عالم الفكر: ع ٢، مج ٧٠، أكتوبر-ديسمبر ٢٠١١م: ص ١٢.
- ١١- تاريخ الطبري: ٢٤١/٥.
- ١٢- اللباب في تهذيب الأنساب: ٣٣٨/٣، ومعجم قبائل العرب: ١١٩٧/٣-١١٩٤.
- ١٣- تاريخ الطبري: ١٥٣/٥-١٥٤.
- ١٤- يُنظر: المصدر نفسه: ١٥٣/٥-١٥٤، والطبقات الكبرى: ١٩/٣-٢٠، ومقاتل الطالبين: ٥٦-٥٧.
- ١٥- الملهوف في قتلى الطُفوف: ص ١١٠.
- ١٦- يزيد بن مسعود النهشليّ البصريّ، إرادة وموقف: ص ١١.

- ١٧- في طبعة الأعلميّ: (موضعي منكم، وحسبي فيكم).
- ١٨- (والذي)، لعلّ الواو هنا جاءت زائدة في غير موقعها، والصّحيح: (وهيها الذي أراد)، وقد جاء في بعض الكتب (الذي) مجردة من الواو، يُنظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٤٦٧-٤٨٨.
- ١٩- ورد في طبعة الأعلميّ (فرسان)، ونرجّح أنّه هو الصّحيح.
- ٢٠- ورد في طبعة الأعلميّ (إذا شئت فافعل).
- ٢١- هكذا جاء في النّصّ، والصّحيح (ظعنت).
- ٢٢- في طبعة الأعلميّ (ما لك آمنك).
- ٢٣- الملهوف في قتلى الطّفوف (دار الأسوة-إيران): ص ١١٠-١١٣، ومقتل الحسين عليه السلام المسمّى بالملهوف في قتلى الطّفوف (الأعلميّ - بيروت): ص ٢٧-٢٨.
- ٢٤- النّسق القرآنيّ- دراسة أسلوبية: ص ٤٠٦.
- ٢٥- أصول تجليات الخطاب في النظرية النّحويّة - تأسيس نحو النّصّ: ٨١٧ / ٢.
- ٢٦- التفسير البلاغيّ للاستفهام: ٤ / ٦٢ و ٧٩.
- ٢٧- مسند أحمد: ١ / ١٩٩، ويُنظر الغدير في الكتاب والسّنة والأدب: ١ / ٦٥.
- ٢٨- تاريخ الطبريّ: ٥ / ٤٢٤-٤٢٥، ويُنظر الكامل في التاريخ: ٣ / ١٦٩-١٧٠.
- ٢٩- الكتاب: ٢ / ٢٣٢، ويُنظر: المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٢٥٦.
- ٣٠- المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٢٥٤.
- ٣١- المثل السائر: ١ / ١٨٥.
- ٣٢- الفعل زمانه وأبنيته: ص ٢١-٢٣.
- ٣٣- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٣٣.
- ٣٤- مسند أحمد: ١ / ١٩٩، ويُنظر: سنن ابن ماجه: ١ / ٤٣.
- ٣٥- شواهد التنزيل: ١ / ٢٠٠، ويُنظر: البداية والنهاية: ٧ / ٣٨٦.
- ٣٦- نظرات في التّراث اللّغويّ العربيّ: ص ٤٣-٤٤.
- ٣٧- يُنظر: المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ١٢٦.
- ٣٨- مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٥١ (حلّ)، ويُنظر: اللّسان: ١١ / ١٦٤ (حلل).
- ٣٩- الفروق اللّغويّة: ص ١٣٠.
- ٤٠- مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣١ (فرط).

- ٤١- اللسان: ٣٦٦/٧ (فَرَط).
- ٤٢- شرح الكافية، الرضي: ٨٥/٣.
- ٤٣- الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر: ص ١١٤، ويُنظر: الخطاب الحجاجي لأهل البيت عليه السلام في كتاب الاحتجاج- دراسة تداولية، (أطروحة دكتوراه): ص ٤٠.
- ٤٤- يُنظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ص ٨٧.
- ٤٥- يُنظر: النداء في القرآن الكريم: ص ٢٠١ و ٢٠٧.
- ٤٦- نظرات في قضايا اللغة العربية: ص ١٥٦، ويُنظر: مقاصد التعبير القرآني- دراسة في بعض قصار السور القرآنية: ص ٣٢.
- ٤٧- جمهرة اللغة: ٩٨٣/٢ (هلك).
- ٤٨- ديوان الأدب: ص ١٢١ (فعل).
- ٤٩- مسند أحمد: ١٩/٣، ويُنظر: سنن أبي داود: ٣٢٥/٢.
- ٥٠- مجمع الزوائد: ١١٤/٩، ويُنظر: المعجم الكبير: ٥٥/١١.
- ٥١- اللسان: ١٣١/٢ (حدث).
- ٥٢- التعريفات: ص ١١٨.
- ٥٣- الكشف: ١٦٣/١.
- ٥٤- شرح الكافية للرضي: ٨٩/٣.
- ٥٥- المصدر نفسه: ٩٠/٣.
- ٥٦- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ص ١٤٦.
- ٥٧- اللسان: ٢٦١/١٤.
- ٥٨- السنن الكبرى: ١٤٩/٥، ويُنظر: خصائص أمير المؤمنين عليه السلام: ص ١٢٣، مع اختلاف في الرواية (قال: هذان ابناي، وابنا ابنتي).
- ٥٩- مقتل الحسين، للخوارزمي: ٣٥٧/١.
- ٦٠- يُنظر: تاريخ الطبري: ٣٢٢/٥.
- ٦١- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ص ١٧٥-١٧٦.
- ٦٢- يُنظر: المشيرات المقامية في القرآن: ص ٣٣٥-٣٣٦.

- ٦٣- الكتاب: ١/ ٤٣٧-٤٣٨.
- ٦٤- شرح ألفية ابن النّاطم: ص ٣٢.
- ٦٥- شرح الكافية، الرّضي: ٢/ ٤٧٧.
- ٦٦- المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٥٨-٥٩.
- ٦٧- Stephen c, levinson Pragmatics, P87
- ويُنظر: مدخل إلى علم الدّلالة: ص ٢٢٧ عن المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٦١.
- ٦٨- المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٦٢.
- ٦٩- يُنظر: بلاغة الخطاب وعلم النّص: ص ٣٤٠-٣٤١.
- ٧٠- التصوير الفنّي في القرآن: ص ٨٢.
- ٧١- التقابل الجمالي في النّص القرآنيّ - دراسة جماليّة فكريّة أسلوبيّة: ص ١٥٣-١٥٤.
- ٧٢- المثل السائر: ١/ ٢١٠-٢١١.
- ٧٣- الخطاب القرآنيّ - دراسة في العلاقة بين النّص والسّياق: ص ٥٥-٥٦.
- ٧٤- جماليّات الخبر والإنشاء: ص ١٢٧.
- ٧٥- مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب: ص ٣٤-٣٥.
- ٧٦- جمهرة اللّغة: ٢/ ٨٧٢ (عشّو).
- ٧٧- المصدر نفسه: ٢/ ٨٤٠ (سكع).
- ٧٨- الكشف: ٤/ ٤٦٧.
- ٧٩- البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٤٠١، ويُنظر: تحليل الخطاب في ضوء نظريّة أحداث اللّغة: ص ١٣٥.
- ٨٠- جماليّات الخبر والإنشاء - دراسة جماليّة بلاغيّة نقدية: ص ٦٣-٦٤.
- ٨١- يُنظر: مقدّمة في علمي الدّلالة والتّخاطب: ص ٣٥-٣٦.
- ٨٢- يُنظر: المشيرات المقاميّة في القرآن: ص ٣٩١ و ٤١٧.
- ٨٣- يُنظر: المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص ١٥٥.
- ٨٤- يُنظر: نظريّة النّص من بنية المعنى إلى سيّمايّة الدّالّ: ص ٢٧٣-٢٧٤.
- ٨٥- المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدّلالة في العربيّة: ص ١٥٥.
- ٨٦- يُنظر: أصول تحليل الخطاب في النظريّة النّحويّة العربيّة-تأسيس (نحو النّص):
- ١/ ١٢٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ١- أصول تجليات الخطاب في النظرية النحوية - تأسيس النص، محمد الشاوش، جامعة منوبة، كلية الآداب بمنوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط ١، ٢٠٠١ م.
- ٢- أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات.
- ٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، الشيخ محمد باقر المجلسي، تعليق: علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٤- البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين، محمد بن عبد الله، الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، قدم له وعلّق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٦- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات الاختلاف - دار الأمان، الرباط، ط ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- ٧- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ٨- تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير، الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، (د.ت.).
- ٩- تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة - دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات - القاهرة، ط ١، ٢٠١٣ م.
- ١٠- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ م.
- ١١- التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد، الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، دار إحياء التراث

- العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٢ - التفسيرُ البلاغيُّ للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٣ - التقابلُ الجماليُّ في النصِّ القرآنيِّ - دراسة جماليَّة فكريَّة أُسْلُوِيَّة، د. حسين جمعة، دار النمير، دمشق، ط ١، ٢٠٠٥م.
- ١٤ - جماليَّةُ الخبر والإنشاء - دراسة بلاغيَّة جماليَّة نقديَّة، د. حسين جمعة، منشورات دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ١٥ - جمهرةُ اللُّغة، لأبي بكر، محمَّد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- ١٦ - الحِجَاجُ في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النِّقد المعاصر، د. محمَّد سالم محمَّد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتَّحدة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ١٧ - الحِجَاجُ في القرآن من خلال أهمِّ خصائصه الأُسْلُوِيَّة، عبد الله صوله، دار الفارابي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- ١٨ - خصائصُ أمير المؤمنين (عليه السلام)، النَّسَائِيَّ (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: محمَّد هادي الأُميني، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
- ١٩ - الخطابُ القرآنيُّ - دراسة في العلاقة بين النصِّ والسِّياق، د. خلود العموش، عالم الكتاب الحديث.
- ٢٠ - ديوانُ الأدب، أبو إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم، الفارابيَّ (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، الشَّرْكة المصريَّة العالميَّة للنشر - لونجمان، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ٢١ - زادُ المسير في علم التفسير، لأبي الفرج، عبد الرَّحْمَنِ بن عليِّ بن محمَّد، الجوزيَّ (ت ٥٩٧هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٢ - سننُ ابن ماجة، محمَّد بن يزيد، القزوينيَّ (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ٢٣ - سننُ أبي داود، سليمان بن الأشعث، السَّجِسْتَانِيَّ (ت ٢٥٧هـ)، تحقيق: سعيد محمَّد اللَّحَام، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٤ - السننُ الكبرى، للنَّسَائِيَّ (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداري، وسيد كسروي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ٢٥- شرح ألفية ابن مالك، لابن النّاطم، لأبي عبد الله، بدر الدين، محمد ابن الإمام جمال الدين، محمد بن مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٦- شرح الكافية، الرّضي الاسترأبادي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٧- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن أحمد (الحاكم الحسكاني) (ق ٥٥هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٨- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٢٩- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد، الأميني، النجفي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٠- الفروق اللّغوية، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، العسكري (ت ٤٠٠هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣١- الفعل زمانه وأبنيته، د. إبراهيم السّامرائي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٢- الكامل في التاريخ، عزّ الدين، أبو الحسن، عليّ بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير (٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٣٣- الكتاب، كتاب سيبويه، لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم، محمود بن عمر، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزّاق المهدي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٣٥- اللّباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٣٦- لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور، الأفرقي، المصري، دار صادر، بيروت، ط ٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٧- مجمع الزوائد، الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط ١، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.

- ٣٩- مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: خالد محمود جمعة، دار العروبة، الكويت، ط ١، ١٩٩٧م. [عن كتاب (المشيرات المقامية في القرآن)، منى الجابري].
- ٤٠- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.
- ٤١- المشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م.
- ٤٢- معجم قبائل العرب، د. عمر كحالة، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٤٣- المعجم الكبير، الحافظ سليمان بن أحمد، الطبري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، (د.ت.).
- ٤٤- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤٥- المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٤٦- مُغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، و محمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق عليه السلام، طهران، مطبعة أمير، ط ١، ١٣٧٨هـ.
- ٤٧- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: عدنان داوودي، منشورات ذوي القربى، قم، ط ٣، ١٤٢٤هـ. ق - ١٣٨٢هـ. ش.
- ٤٨- مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، ط ٢، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، دار الكتاب، قم، إيران.
- ٤٩- مقاصد التعبير القرآني - دراسة في بعض السور القرآنية، د. فاخر هاشم الياسري، دار الحامد، عمان، ط ١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- ٥٠- مقتل الحسين للخوارزمي، لأبي المؤيد، الموفق بن أحمد، المكي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، منشورات أنوار الهدى، ط ٢، ١٣٨١هـ. ش - ١٤٢٣هـ. ق.
- ٥١- مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٥٢- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.

- ٥٣- الملهوفُ على قتلى الطُفوف، لأبي القاسم، عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، دار الأسوة - إيران، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
- ٥٤- النداءُ في القرآن الكريم، د. معن توفيق دحام الحياي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ٥٥- نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، د. مصطفى حميدة، الشركة المصريّة العالميّة للنشر - لونجمان، القاهرة.
- ٥٦- نظراتُ في التّراث اللّغويّ العربيّ، د. عبد القادر المهيريّ، دار الغرب الإسلاميّ - بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٥٧- نظراتُ في قضايا اللّغة العربيّة، د. فاخر هاشم الياسريّ، دار الحامد، عمّان، ط ١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- ٥٨- نظريّة النّصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدّالّ، د. حسين خمري، الدّار العربيّة للعلوم - ناشرون، منشورات الاختلاف، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٥٩- النّسقُ القرآنيّ - دراسة أُسلوبية، د. محمّد ديب الجاجي، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة - مؤسّسة علوم القرآن، جدّة - المملكة العربيّة السّعوديّة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م.
- Levinson (C. Stephen) Pragmatics, India, Cambridge, 1983
- Lyons john.
- عن كتاب (المشيرات المقاميّة في القرآن) منى الجابريّ، مؤسّسة الانتشار العربيّ - بيروت، ط ١، ٢٠١٣م.

الرّسائل والأطروحات الجامعيّة

- ٦٠- الخطابُ الحجاجيّ لأهل البيت عليه السلام في كتاب الاحتجاج - دراسة تداوليّة، عبد الحسن عليّ حبيب الناصر (أطروحة دكتوراه)، كليّة الآداب، جامعة البصرة، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

البحوث

- ٦١- مجلّة عالم الفكر، ع ٢، مج ٤٠، أكتوبر - ديسمبر، ٢٠١١م.

مخالفاتُ ابنِ هشامِ النَّحْوِيَّةُ لِلْبَصْرِيِّينَ فِي أَوْضَحِ
المَسَالِكِ

Bin Hisham's Grammatical Contradictions
with the Basris in Awdhah Al-Masalek

أ.م.د. أحمد عبد الله نوح
جامعة البصرة/ كلية التربية - القُرنَة

By

Dr. Ahmad A. Nooh, Assistant Professor,
College of Education, Qurna,
University of Basra

ملخص البحث

وسمّيتُ دراستي هذه بالمخالفات النحويّة دون الاعتراضات أو المآخذ أو غير ذلك؛ ذلك أنّ ابن هشام قد صرّح بها كثيراً في قوله: خلافاً لفلان. ولم أجد من وقف على تلك الموارد بلفظها، فخصّصْتُ عنوان دراستي بـ (المخالفات النحويّة).

وكانت دراستي وصفية تحليلية؛ إذ عمدتُ إلى وصف تلك المخالفات، ثمّ الإتيان على تحليلها وعرضها على النحويّين والدّارسين؛ لأتبيّن متابعة ابن هشام لسابقه من النّحاة، أو تفردّه بذلك الرأي وتلك المخالفة، فتبيّن أنّ ابن هشام، وإن كان يُعدُّ صاحب مدرسة نحويّة، غير أنّه لم ينفكّ من متابعة الكوفيّين في مخالفة البصريّين، ومتابعة البصريّين في مخالفة الكوفيّين بشكلٍ عامٍّ، وكثيراً ما يُتابع أبا العباس المبرّد في آرائه، من غير أن ينسبها إليه.

ومن أبرز ما أنتجته الدّراسة؛ دقّته في متابعة أقوال المخالف لهم، وتفتّنه للتدليل على إبطال أقوالهم وزعمهم في غالب الأحيان. وما بدا واضحاً في مخالفات ابن هشام النحويّة تسمية النّحاة الذين خالفهم بأسمائهم، ونسبة الآراء إليهم، ومخالفتها ومناقشتها، والدّلالة على حجّة مدّعاها إذا ما رأى ضرورة لا محيص عنها، كما رأيناها قد فعل ذلك في إثبات الرّؤيا مصدراً لرأى البصريّة، كما

لرأى الحُلُمِيَّة. ولعلَّ من أهمِّ ما لحظناه في مخالفات ابن هشام هو احترام الرَّأي الآخر وعدم تخطئته أو تغليطه وتقييحه، كما رأينا ذلك واضحاً عند الزَّجاج أو النَّحَّاس، مثلاً.

Abstract

This study is termed 'grammatical contradictions' and not 'objections' or 'oppositions' or any other term as bin Hisham himself has used the term 'contradictions'. The study is both descriptive and analytical as these contradictions are described first and then analyzed trying to show whether bin Hisham followed the grammarians who preceded him or he did that himself. Although bin Hisham had his own grammatical school, he sometimes agreed with the Kufis against Basris, and vice versa. He often agreed with the viewpoints of Al-Mubarrad without ascribing them to him.

The main point of the study is that bin Hisham has been very accurate in following up the views of those who have adopted the contradictions and his recognition of invalidating their views and claims sometimes. He has named the grammarians he has disagreed with,

contradicting and discussing them and then coming to conclusions when necessary. He showed respect for the opinions of others without finding fault with them or reproaching them as it is clear, for example, in both Al-Zajjaj and Al-Nahhas.

مقدمة

الحمد لله على واسع فضله، وسابغ نعمته، والصلاة والسلام على خير البرية، وإمام البشرية، وأفصح من نطق بالضاد، وعلى آله الأطهار، والتابعين لهم باقتداء، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

تلوح من مصنفات ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) الكثيرة أمارات التحقيق، وطول الباع، وكثرة المراجعة وعدم الاقتفاء من غير تمحيص وإضافة، ولعل من أبرز تلك المصنفات شرح الألفية الموسوم بـ «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك»، فقد جلى ما اشتملت عليه من معانٍ، وفتح ما استغلق من آياتها، ووضح ما أبهم من إشاراتها، وكثرت فيها مخالفاته للنحويين، واعتراضاته على البصريين والكوفيين، فكانت مرتعاً خصباً للدارسين والباحثين، فكثرت عليها الدراسات، وتعددت لها الشروح والتعليقات، فكان لمخالفاته النحوية نصيب من دراستي، وقد آثرت أن أخصصها للبصريين من النحاة من غير أن آتي على الإحصاء والعد لتلك المخالفات، بل آثرت أن أقف على نماذج متعددة منها لأحقق مشكلة البحث، ومحورها الأساس، ألا وهو إثبات مخالفة ابن هشام نحويّاً للبصريين، وقد خصصت تلك النماذج، وقيدتها بالتالي صرح فيها ابن هشام بلفظ المخالفة، فوجدته كثيراً ما يقول خلافاً للبصريين، أو الخليل، أو

سيبويه، أو غيرهما، فأثبت وجود تلك المخالفات، ودلت عليها، مستنيراً بما استعنت به من الدراسات السابقة وما أكثرها!، ومن أبرزها:

- اعتراضات ابن هشام في كتابه مغني اللبيب على الزمخشري دراسة انتقائية تحليلية، تهاني علي.

- من اعتراضات ابن هشام الأنصاري على أبي حيّان الأندلسي، أ.د. حسن موسى الشاعر، مجلة جامعة دمشق، م ٢٢، ع ١٤-٢.

- اعتراضات الأزهرى النحوي على ابن هشام في التصريح بمضمون التوضيح، رسالة ماجستير، غريب بن ياسين بن رشيد، جامعة أمّ القرى.

- اعتراضات ابن هشام على معربي القرآن، دراسة ونقد، د. إيمان حسين السيّد.

- اعتراضات البغدادي على ابن هشام في شرح أبيات مغني اللبيب جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير، منيرة بنت أحمد الخزيعي، جامعة أمّ القرى.

- مآخذ ابن هشام النحوي على ابن مالك في الأسماء ومعاني الحروف، أطروحة دكتوراه، زينب سالم مصطفى، جامعة الخرطوم.

وغيرها كثير جداً. وقد خصّصتها بالمخالفات النحوية دون الاعتراضات أو المآخذ أو غير ذلك؛ ذلك أنّ ابن هشام قد صرح بها كثيراً، في قوله: خلافاً لفلان. ولم أجد من وقف على تلك الموارد بلفظها، فخصّصت عنوان دراستي بـ (المخالفات النحوية).

كانت دراستي وصفية تحليلية، أصف تلك المخالفات، ثمّ آتي على تحليلها وعرضها على النحويين والدارسين؛ لأتبيّن متابعة ابن هشام لسابقه من النحاة،

أو تفرّده بذلك الرّأي وتلك المخالفة، فتبيّن أنّ ابن هشام، وإن كان يُعدُّ صاحب مدرسةٍ نحويةٍ غير أنّه لم ينفكّ من متابعة الكوفيّين في مخالفة البصريّين، ومتابعة البصريّين في مخالفة الكوفيّين بشكل عامّ، وكثيراً ما يتابع أبا العباس المبرّد في آرائه من غير أن ينسبها إليه.

المسألة الأولى: (من) لابتداء الغاية الزّمانية

اتّفق النّحاة على إفادة (من) الجارّة ابتداء الغاية المكانية من غير اختلاف، واختلفوا في إفادتها ذات الغاية في الزّمان؛ إذ منع البصريّون ذلك، وتأوّلوا ما جاء في الذّكر الحكيم مُشعراً بذلك كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿إِذَا تُؤدِّيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، وغير ذلك، بينما أثبت الكوفيّون إفادتها من غير اختلاف، واستشهدوا لصحّة مذهبهم بما ورد في القرآن الكريم صريحاً ظاهراً لا يحتاج إلى تأويل، كما في آيتي التّوبة والجمعة، ويقول زهير بن أبي سُلمي:

لَمَنِ الدِّيارُ بِقُنَّةِ الحِجرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ^(١)

وقد خالف ابن هشام البصريّين في ذلك، واختار إفادتها الزّمانية، وفاقاً للكوفيّين؛ إذ يقول في ذلك: «والثّالث: ابتداء الغاية المكانية باتّفاق، نحو: ﴿مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، والزّمانية خلافاً لأكثر البصريّين، ولنا قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التّوبة: ١٠٨]»^(٢).

ومّا تجدر الإشارة إليه أنّ هذه المسألة من المسائل الخلافية بين المدرستين، وقد احتدم الخلاف، وكثر التأويل والرّدّ بينهما، وقد فصلّ القول في ذلك ابن

الأنباري في كتابه الإنصاف^(٣).

وقد حاول الصَّبَّان أن يتفنَّن في ردِّ الكوفيَّين واستشهادهم في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾؛ إذ ذهب إلى أن (مِنْ) في هذه الآية لا تُفيد الابتداء أصلاً؛ ذلك بأنَّ معنى الابتداء مُستفاد من كلمة «أُسِّس»، فالتأسيس دالٌّ على الابتداء، وحدَّد دلالتها بالظرفية في هذا الموضع، أي: في أوَّل يوم أُسِّس^(٤).

المسألة الثانية: رافع الفعل المضارع

اتَّفَق النُّحَوِيُّونَ على أنَّ الأصل في الاسم هو الإعراب، فلا يُسأل عن علَّة إعراب ما هو معرب منه؛ ذلك أنَّه قد جاء على الأصل، وكلُّ ما جاء على الأصل لا يُسأل عن علَّته، وإنَّما يُسأل عن علَّة ما جاء خلاف الأصل، غير أنَّهم اختلفوا في الأصل الذي جاءت عليه الأفعال ما هو؟ فقال البصريُّون: الأصل في الأفعال البناء، فلا يُسأل عن علَّة بناء الفعل الماضي، أو فعل الأمر، إذا جاء كلُّ منهما على ما هو الأصل في نوعه، وإنَّما يُسأل عن علَّة إعراب الفعل المضارع، وذهب الكوفيُّون إلى أنَّ الأصل في الأفعال هو الإعراب كالأسماء، وعليه، فلا يُسأل عن إعراب الفعل المضارع الذي جاء موائماً للأصل في نوعه.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ النُّحاة بصريِّهم وكوفيِّهم، متَّفَقُونَ على أنَّ الفعل المضارع معرَّب، لكنَّهم اختلفوا في رافعه!

وقد وافق ابن هشام رأي الفراء وخالف رأي البصريِّين في رافعه؛ إذ يقول في ذلك: «رافع المضارع تجرُّده من النَّاصِب والجازم، وفاقاً للفراء، لا حلوله محلَّ الاسم، خلافاً للبصريِّين؛ لانتقاضه بنحو: هَلَّا تَفْعَلُ»^(٥).

وكان ابنُ جنِّي قد صرَّح بأنَّ المضارع مرفوعٌ أبداً لوقوعه موقع الاسم، حتَّى يدخل عليه ما ينصبه أو يجزمه^(٦).

المسألة الثالثة: (عسى) بين الفعلية والحرفية

اختلف النحاة في تحديد (عسى) هيئةً وعملاً، فذهب الجمهور إلى القول بفعليتها، وحددها الكوفيون، وتبعهم ابن السَّراج بالحرفية؛ إذ قالوا: (عسى) حرف ترجّ، واستدلُّوا على ذلك بأنَّها دلَّت على معنى (لعلَّ)، ولا تتصرَّف، كما أنَّ لعلَّ كذلك لا تتصرَّف، ولما كانت (لعلَّ) حرفاً بالإجماع، وجب أن تكون مثلها (عسى) حرفاً دائماً؛ لقوَّة الشَّبه بينهما. وتمسَّك البصريُّون بفعليتها، واستدلُّوا بقبولها علامة الأفعال الماضية، كتاء الفاعل في نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [محمَّد: ٢٢]. وأمَّا جمودها ودالاتها على معنى يدلُّ عليه حرف، فلا يُخرجانها عن الفعلية.

ونجد ابن هشام في كتاب (أوضح المسالك) قد انحاز إلى القول بحرفيتها، ومخالفة الجمهور في ذلك؛ إذ عدَّها أختال (إنَّ) في حديثه عنها، فيقول في ذلك: «والسَّابع: (عسى) في لُغية، وهي بمعنى لعلَّ، وشرط اسمه أن يكون ضميراً، كقوله: عساها نارُ كأسٍ وعلَّها، وهو حينئذٍ حرفٌ، وفاقاً للسَّيرافي، نقله عن سيبويه، خلافاً للجمهور في إطلاق القول بفعليتها، ولا بن السَّراج في إخلاف القول بحرفيتها»^(٧).

ويمكننا أن نبرِّز ثلاثة مذاهب في (عسى)، وهي:
المذهب الأوَّل: هو المذهب القائل بفعليتها مطلقاً، وهو مذهب الجمهور،

وعليه ابن عقيل، الذي يقول في شرحه الألفية: «والصحيح أنها فعل، بدليل اتصال تاء الفاعل وأخواتها بها»^(٨).

المذهب الثاني: وهو القائل بحرفيتها مطلقاً، وهو مذهب الكوفيين، وتبعهم ابن السراج، وقد نسب إلى ثعلب كذلك، ودليلهم على ذلك (لشبه من الحروف مُدني)، وجه الشبه القوي من (لعل)؛ إذ شابهتها في الحرفية وعدم التصرف، وما تجدر الإشارة إليه أن ابن هشام هنا قد تابع هذا الرأي وانتصر له، وخالف الجمهور. ونجده في كتبه الأخرى تابع الرأي الآخر القائل بالتفعيل، تارة تكون حرفاً وأخرى تكون فعلاً حسب السياق الذي ترد فيه، والمعنى الذي تؤديه المحددات التي تتصل بها، هل هي حرفية أم فعلية. وبهذا يتبين لنا اضطراب ابن هشام - أيضاً - في موقفه من (عسى).

المذهب الثالث: وهو القائل بالتفعيل؛ إذ تكون (عسى) فعلاً ناقصاً إذا دلت على المقاربة، وعملت عمل (كان وأخواتها)، وقد تكون حرفاً إذا جاءت بمعنى (لعل)، وعلى لغة وعملت عملها، وهو مذهب السيرافي نقله عن سيويه، وتبعهم في ذلك ابن هشام^(٩).

ولعل المذهب الأخير هو الأقرب للصواب اللغوي، ذلك أن الاستعمال قد جاء به ونص عليه، كما في آيات القرآن الكريم، التي كثر فيها استعمال (عسى) فعلاً دالاً على المقاربة، وكذلك لسان العرب قد استعملها بمعنى (لعل) كما نصت عليه شواهد النحو العربي. وعليه، لا يمكن إخلاف القول بحرفيتها لجمودها ومشابهتها (لعل)، وكذلك لا يمكن القول بفعليتها لقبولها تاء الفاعل، وما شابهها من علامات الفعل قياساً.

لذلك نرى القول بفاعليّة السيّاق وقرائنه الدّاخلية فيصلاً في تحديد ماهيّتها وعملها.

المسألة الرابعة: (لَنْ) بين التركيب والأصالة

صرّح ابن هشام في (أوضح المسالك) بمخالفته الخليل بن أحمد في مسألة (لَنْ)، هل هي على أصلتها، أو أنّها مركّبة؟

فقد ذهب الخليل بن أحمد إلى أنّها مركّبة من (لا أَنْ)، وقد حُذفت الهمزة تخفيفاً، والألف لالتقاء الساكنين، كذلك ذهب الفراء إلى أنّ أصلها (لا)، فأبدلت الألف نوناً، ونحا ابن هشام منحىً مخالفاً لهما، بقوله: «... وليس أصلها (لا)، فأبدلت الألف نوناً، خلافاً للفراء، ولا (لا أَنْ)، فحُذفت الهمزة تخفيفاً، والألف للساكنين، خلافاً للخليل والكسائي»^(١١).

ولعلّ التكلّف يبدو واضحاً في رأي الخليل ومن وافقه بتلمّس أصل التركيب للفظ يدلّ شكله على معناه كغيره من الألفاظ، وهو الوضع الطبيعي لأصل الألفاظ، وبخاصّة إذا كان اللفظ مستعملاً وقياسياً، فمذهب الخليل يقضي أنّ الأصل في (لَنْ) هو (لا أَنْ)، فحُذفت الهمزة للتخفيف، فأصبحت (لَنْ) فالتقى الساكنان (الألف والنون)، فحُذفت الألف لذلك، فأصبحت (لَنْ)، وقد تطفّن الورّاق في علله لهذا التكلّف وعارضه، وقال بأصالة (لَنْ) من غير تركيبٍ، وتبعه فيما بعد ابن هشام في ذلك؛ إذ فنّد الورّاق قول الخليل، واحتدّ عليه، بقوله: «قال الخليل: إنّ أصل (لَنْ) (لا أَنْ)، ولكنّها حُذفت، فبقيت (لَنْ) تخفيفاً، فردّوا عليه ذلك بأنّ قالوا: إنّ ما بعد (لَنْ) لا يعمل فيها قبلها، ولو كانت (لَنْ) على ما زعم

الخليل لم يجز: زيدا لن أضرب، فتقدّم ما بعد (لن) عليها، وللخليل أن يفصل من هذا، إلا أن قول الخليل والجملة ضعيف من وجه آخر، وأن (أن) لا يليها إلا المستقبل، فعلمنا أن حكم (أن) ساقط، وأن (لن) حرف قائم بنفسه وُضع للفعل المستقبل»^(١٢).

وعليه، فإننا نرى ما رآه ابن الورّاق من أصالة وضع (لن) من غير تركيب؛ ذلك أن اللفظ إذا ما جاء على صفة ما وأمكن استعمال معناه، فلا داعي للتكلف والتأويل، وهو أقرب إلى روح اللغة.

المسألة الخامسة: حذف نون الوقاية من (لن، قط، قد) بين القلة والاختصاص

بالضرورة

ذهب سيبويه إلى أن نون الوقاية فيها لازمة، لا يجوز حذفها إلا في ضرورة الشعر. وقد خالفه ابن هشام في ذلك بقوله: «فإن كان (لن)، أو (قط)، أو (قد)، فالغالب الإثبات، ويجوز الحذف قليلاً، ولا يختص بالضرورة، خلافاً لسيبويه»^(١٣).

وبهذا نجد أن سيبويه ذهب إلى أن نون الوقاية لا يجوز حذفها إلا في ضرورة الشعر. أمّا ابن هشام، فيرى أن ثبوت النون هو الأرجح، أمّا الحذف، فهو وإن كان غير مرجح، وكان قليلاً، إلا أنه لا يختص بالضرورة الشعرية، بدليل وروده في غير الشعر، نحو قراءة في قوله تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، من غير تشديد للنون؛ إذ حذفت منها نون الوقاية، وأمّا سيبويه ومن وافقه، فيرى أن إثبات النون في مثل هذه الألفاظ متأّت من ضرورة الحفاظ

على السُّكون اللازم في أواخرها، وهو الغرض الذي من أجله تُثَبَّت نون الوقاية في الأفعال، وهو وقايتها من الكسر؛ فلذلك كان ينبغي ألا يكون الحذف إلا في ضرورة الشعر خاصّة»^(١٤).

المسألة السادسة: زيادة (كان) مع اتّصالها باسمها

تعدّدت مذاهب النُّحاة، واختلفت آراؤهم وتعليقاتهم بشأن (كان الزائدة)، التي اتَّفَقُوا على زيادتها، واختلفوا في مواردِها وشروطها، فكان من بين تلك الموارد أنّها تُزاد بين الصِّفة والموصوف، وقد جعل الخليل وسيبويه من ذلك قول الفرزدق:

وجيران لنا كانوا كرام^(١٥).

إذ المعنى عندهما: (وجيران لنا كرام كانوا كذلك). وقد خالفهما ابن هشام في ذلك، وذهب إلى عدم زيادتها في هذا البيت؛ إذ قال: «وليس من زيادتها قوله: وجيران لنا كانوا كرام؛ لرفعها الضمير، خلافاً لسيبويه»^(١٦).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّ ابن هشام قد تابع أبا العباس المبرّد في ذلك؛ إذ كان المبرّد قد خالفهما، ومنع زيادتها في هذا البيت، معللاً ذلك بأنّها إنّما تُزاد مجرّدة لا اسم لها ولا خبر، واسمها في هذا البيت ضميرٌ بارزٌ، وهو (الواو)، وغاية ما في البيت أنّ الشّاعر فصل بين الصِّفة وموصوفها بجملةٍ كاملةٍ من كان واسمها وخبرها، وجملة كان في محلّ جر صفة لجيران، وكرام صفة ثانية^(١٧)، والوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة لا ضعف فيه؛ لوروده في أفصح الكلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقد رجح الشيخ محيي الدين عبد الحميد رأي سيبويه في حاشيته على أوضح المسالك، بقوله: «والذي ذهب إليه سيبويه أولى بالرعاية؛ لأن اتصاها باسمها لا يمنع زيادتها، ألا ترى أنهم يلغون (ظننت) متوسّطة ومتأخّرة ... ولا يمنع إسنادها إلى اسمها من إلغائها، ثم إن المصير إلى تقديم خبر (كان) عليها عدول عمّا هو الأصل إلى شيء غيره»^(١٨).

وعلى العكس من ذلك، نجد الدكتور الفتلي قد رجح رأي المبرّد، وانتصر له؛ إذ ذهب إلى عدم جواز زيادة (كان)، معللاً ذلك بأنه الأقرب إلى طبيعة اللّغة، وعدم الخروج على قواعدها الدّقيقة، فاللّغة إن كانت قد أجازت زيادة الحروف، فهي لا تُجيز زيادة الأسماء والأفعال بأيّ حالٍ من الأحوال.

وزاد من اعتراضه على ذلك بقبوله جدلاً إمكان زيادة الأفعال مجرّدة، فقد استبعد أن زيادتها مع زيادة أخرى، كما في (كان) واسمها في بيت الفرزدق^(١٩).

وكان الدكتور إبراهيم السّامرائي قد أنكر زيادة (كان) في المواضع التي ذهب النّحويّون إلى زيادتها، وجعل ذلك من الأمور المصطنعة؛ إذ يقول في ذلك: «ولا نستطيع أن نطمئن إلى زيادة (كان) في هذه التّراكيب الضّعيفة التي اصطنعها النّحويّون أمثلة، ولم يستقروها من كلام صحيح فصيح»^(٢٠). ولعلّ في تنكّر الدكتور السّامرائي كلام النّحويّين عجباً؛ إذ كيف يصف تلك الشّواهد النّحويّة أنّها ليست من الكلام الفصيح؟! فما باله بالأمثلة الثّريّة التي ذكرها سيبويه نقلاً عن الخليل، التي سمعها من العرب الفصحاء، فضلاً عن الأمثلة الشّعريّة التي هي ممّا لا خلاف بين النّحويّين في أنّه مسموع من العرب^(٢١).

المسألة السابعة: دخول لام الابتداء على معمول خبر (إنَّ)

قيّد ابن هشام دخول لام الابتداء على معمول خبر (إنَّ) وجوّز ذلك بشروط، ولم يجعله مطلقاً خلافاً للأخفش، فقال عند ذكره لما تدخل عليه اللّام: «والثاني معمول الخبر، وذلك بثلاثة شروط أيضاً: تقدّمه على الخبر، وكونه غير حال، وكون الخبر صالحاً للّام، نحو: (إنَّ زيداَ لعمرأَ ضاربُ)، بخلاف: (إنَّ زيداَ عمرأَ ضرب)، خلافاً للأخفش في هذه»^(٢٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الأخفش كان قد ذهب إلى جواز دخول لام الابتداء على الأفعال الجامدة، نحو: (إنَّ زيداَ لنعم الرّجل؛ لأنَّ (نعم وبئس) عنده اسمان، والفعل الجامد كالاسم، ووافقه الفراء في ذلك، وكذلك (عسى)؛ لكونها لا مضارع لها بمنزلة المضارع، إذا كانت بلفظ واحدٍ له ولغيره، ووافقه في ذلك الفراء وأكثر الكوفيّين^(٢٣).

ولعلّ الذي سوّغ للأخفش والفراء الذي وافقه على ذلك هو أنّ المانع من دخول اللّام على الخبر في مثل: (إنَّ زيداَ ضرب عمرأَ هو كونه فعلاً ماضياً، والمعمول ليس كذلك. فمادام المعمول (عمرأَ) صالحاً لدخول اللّام، فلا يوجد ما يمنع من دخولها عليه، وعلى هذا فقد أجاز الأخفش والفراء دخول لام الابتداء على معمول الماضي المتصرّف الخالي من (قد)^(٢٤).

المسألة الثامنة: إلغاء العامل المتقدّم في باب أفعال القلب

ذهب ابن هشام إلى عدم جواز إلغاء العامل المتقدّم في أفعال هذا الباب، مخالفاً الأخفش، الذي وافق الكوفيّين في هذا، وقد استدّلوا بالشاهد النحويّ:

(إني رأيت ملاك الشئمة الأدب). فيقول في ذلك: «ولا يجوز إلغاء العامل المتقدم، خلافاً للكوفيين والأخفش، واستدلوا بقوله: (إني رأيت ملاك الشئمة الأدب)»^(٢٥).

وكما هو واضح من كلام ابن هشام أنه يذهب مذهب الجمهور الذي منع الإلغاء في حالة تقدم العامل على معموله، وأجازه في حالتي التوسط والتأخر، وهذا ما أشار إليه ابن مالك، بقوله: «وجوز الإلغاء لذلك ما جاء على ألسنة العرب ما استدل به الكوفيون والأخفش، تأوله البصريون، وتبعهم ابن هشام في ذلك، وعليه، فإن جاء عن لسان العرب ما يؤهم إلغاءها متقدمة أول»^(٢٦).
والتأويل يكون إما على جعل المفعول الأول ضمير الشأن محذوفاً، والجملة المذكورة مفعول ثانٍ، كقول الشاعر:

أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ تَدْنُو مَوَدَّتْهَا وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ

وإما تعليق الفعل بلام الابتداء مقدّرة، كما يعلّق بها مظهره، نحو: إني رأيت ملاك الشئمة الأدب»^(٢٨).

فالذي استدل به الأخفش والكوفيون تجويز الإلغاء في حال تقدم عامل مؤوّل عند الجمهور.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الأشموني حاول التوسط بين المذهبين؛ إذ وافق الأخفش والكوفيّ من جهة، وانحاز إلى البصريّ في عدم تحيُّزه ذلك، فرأى جواز الإلغاء في الشاهد المتقدم، لكنّه خلاف الأولى^(٢٩).

المسألة التاسعة: (أل) الموصولة بين الحرفية والاسمية

خالف ابن هشام المازني في هذا المورد الذي نص فيه على أن (أل) في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨]. ليست موصولاً حرفياً؛ إذ قال: «وأما (أل)، فنحو: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ [الحديد: ١٨]، ونحو: ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٥-٦]، وليست موصولاً حرفياً؛ خلافاً للمازني ومن وافقه، ولا حرف تعريف، خلافاً لأبي الحسن»^(٣٠).

ويتضح من كلام ابن هشام أنه يعدّها اسماً موصولاً بمعنى الذي، وهو بذلك يتابع أبا العباس المبرّد الذي قال بذلك، واستدلّ عليه بجواز الإخبار عنها؛ إذ يقول في ذلك: «... أن تقول: القائم زيد، فتجعل الألف واللام في معنى الذي، وصلتها على معنى صلة الذي، وفي القائم ضمير يرجع إلى الألف واللام وذلك الضمير فاعل، لأنك وضعته موضع زيد في الفعل، و(زيد) خبر الابتداء، وإن شئت قلته ب(الذي)، فقلت: الذي قام زيد. ف(الذي) لا يمتنع منه كلامٌ يُخبر عنه البتّة»^(٣١).

ولعلنا نلتمس دليلاً ناهضاً في كلام المبرّد المتقدّم؛ إذ إن الذي ذكره من جواز الإخبار عنه، مع وجود ضمير عائد إنّما هو من خواصّ الاسماء لا الأفعال، أضف إلى ذلك أن الموصولات أسماء، وحمل النّظير على النّظير أولى بالرّعاية والاهتمام.

وقد أبطل ابن هشام القول بموصوليّتها الحرفيّة، في قوله: «وقيل: موصولٌ حرفيٌّ، وليس بشيء؛ لأنّها لا تُؤوّل بالمصدر»^(٣٢).

المسألة العاشرة: العامل في المفعول معه

يذهب جمهور النحاة إلى أن العامل في المفعول معه هو الفعل أو شبهه، سواء أكان الفعل ظاهراً أم مضمراً، وقد تابع ابن هشام الجمهور في ذلك، وخالف جملة من النحاة الذين قالوا غير ذلك، كالجرجاني، والزجاج، والكوفيين، وغيرهم، فنراه يقول في ذلك: «والنَّاصِبُ للمفعول معه ما سبقه من فعلٍ أو شبهه، لا الواو، خلافاً للجرجاني، ولا الخلاف، خلافاً للكوفيين، ولا محذوف، والتقدير: سِرْتُ وَلَا بَسْتُ النَّيْلَ، فيكون حينئذٍ مفعولاً به، خلافاً للزجاج»^(٣٣). ولعل رأي الجرجاني فيه ما فيه، لذلك غالباً ما يُردُّ عليه قوله؛ لأن الواو لو كانت عاملة في المفعول معه، لأمكن أن يتصل بها الضمير، كما يتصل بالحروف العاملة، مثل: (إن وأخواتها).

ويُردُّ كذلك لعدم وجود شبه ليحمل عليه الواو في العمل من ناحية المعنى، فالحروف لا تعمل إلا بعد مشابهتها للأفعال^(٣٤).

ويذهب الزجاج إلى أن العامل في المفعول معه محذوف؛ إذ يرى أنه منصوب بفعلٍ مضمّرٍ بعد الواو، ولا يجوز عنده أن يكون الفعل المذكور هو العامل فيه، وذلك بسبب الفصل بالواو حسب رأيه.

وهناك رأيٌ للأخفش مخالف للآراء المذكورة في ناصب المفعول معه، لم يذكره ابن هشام، وهو أن الناصب له (الظرفية) المؤولة بالظرف (مع) المحذوف، والمعوض عنه بالواو^(٣٥).

المسألة الحادية عشرة: عامل الجر في الاسم المجرور بـ (كَمْ)

(كَمْ) شكَّلت محوراً من محاور الخلاف النَّحويِّ بين البصريِّين والكوفيِّين؛ إذ اختلفوا في أصلها وهيئتها؛ أهى مفردة أم مركَّبة؟! ذهب البصريُّون إلى أنَّها مفردةٌ موصوفةٌ، بينما ذهب الكوفيُّون إلى أنَّها مركَّبةٌ، وقد كثر المراء بينهما والاحتجاج لكلِّ ذي رأيٍ، وبسط القول في ذلك ابن الأنباري^(٣٦).

ثمَّ تبع اختلافهم في أصلها أن يختلفوا في أثرها الإعرابيِّ في الاسم بعدها، إذا ما فصل بفاصلٍ أو لم يُفصل، لذلك نجد ابن هشام قد خالف الزَّجاج في الاسم المجرور بعدها وعلة ذلك، وذهب إلى القول بأنَّ الاسم المجرور يكون بتقدير (مِنْ) لا بالإضافة، أو تقدير العطف؛ إذ يقول في ذلك: «وقياسي، كقولك: (بَكَمْ درهمٍ اشتريت ثوبك، أي: بكم مِنْ درهمٍ؟ خلافاً للزَّجاج في تقديره الجرَّ بالإضافة، وكقولهم: (إنَّ في الدَّار زيدا، والحجرةَ عمراً)، أي: وفي الحجرة، خلافاً للأخفش؛ إذ قدَّر العطف على معموليَّ عاملين»^(٣٧).

وقد «يمنع من صحَّة تقدير الزَّجاج أمران، الأوَّل: المركَّب لا يُضاف على ما بعده في الفصيح، الثَّاني: أنَّهم اشترطوا إضافتها إلى ما بعدها، وإنَّما شرطوه ليكونَ دليلاً على المحذوف الجار لما بعدها»^(٣٨).

وقد يمنع من صحَّة تقدير ابن هشام ما ذهب إليه الجمهور من منع حذف الحروف وإبقاء عملها؛ ذلك أنَّ الحروف عوامل ضعيفة لا يتصرَّف فيها بالإضمار والإظهار كما يتصرَّف الفعل، فيزول عملها بزوالها إلَّا في ضرورة الشَّعر، وعليه قالوا بعدم إعمالها مضمرة^(٣٩).

المسألة الثانية عشرة: عامل الجر في المضاف إليه

الإضافة هي مطلق الإسناد، وفي اصطلاح النحاة: «اسناد اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلة التثنية، أو ما يقوم مقامه»^(٤٠).
وقد اشترطوا في المضاف أن لا يكون إلا اسماً؛ لسببين، الأول: أن الإضافة تُعاقب التثنية، أو التثنية القائمة مقام التثنية.
والثاني: أن الغرض من الإضافة تعريف المضاف، والفعل لا يتعرّف، فلا يكون إلا اسماً^(٤١).

وذهب ابن هشام إلى أن المضاف إليه يُجر بالمضاف، لا بمعنى اللام، خلافاً للزجاج؛ إذ قال: «ويُجر المضاف إليه بالمضاف، وفاقاً لسيبويه، لا بمعنى اللام خلافاً للزجاج»^(٤٢)، وقد أكد ابن هشام أن الإضافة تكون على معنى اللام بأكثرية، وعلى معنى (من) بكثرة، وعلى معنى (في) بقلة^(٤٣). وبتصريح ابن هشام موافقة رأي سيبويه تبين متابعته آراء الآخرين الذين قالوا بقول سيبويه، وقد استدّلوا على ذلك بأن المضاف إليه يكون ضميراً، نحو: درهمك وكتابي وديناره، والضمير لا يتصل إلا بالعامل فيه.

لكنه يوافق الزجاج من جهة أخرى، وإن خالفه ظاهراً؛ وذلك أنه يقول: إن الإضافة تكون على معنى اللام بأكثرية، وهذا رأي الزجاج، الذي خص الإضافة بأنها على معنى اللام ليس غير.

وإن كان أبو حيان قد منع من أن تكون الإضافة على معنى حرف أصلاً، ولا هي على بنية حرف. وقد ذهب الجمهور إلى أن الإضافة تكون على معنى اللام، أو على معنى (من)، ولا تكون على معنى (في)، التي قال بها ابن هشام^(٤٤).

المسألة الثالثة عشرة: (الرؤيا) لا تختص بمصدر الحُلُمِيَّة

حاول النُّحاة التفريق بين نوعي الرؤيا، إذا ما كانت بصريَّة، فذهب غير واحد منهم إلى القول بأنَّ (الرؤيا) هي مصدر الحُلُمِيَّة، (ورؤية) هي مصدر لرأى البصريَّة، وكان ابن مالك قد ذهب المذهب ذاته بقوله في ألفيَّته:

ولرأى الرؤيا انم ما لعلما^(٤٥).

وقد فهم شراح الألفيَّة من قرينة (انم ما لعلما) أنَّها الحُلُمِيَّة التي تُشابه العِلْمِيَّة، فتنبصُّ مفعولين مثلها. وهذا ما نجده عند الأشموني في شرحه على الألفيَّة: «ولرأى التي مصدرها والرؤيا، وهي الحُلُمِيَّة (انم)، أي: إنسب، والتقدير: (ما لعلما) طالب مفعولين من قبل انتمى، أي: انسب، والتقدير: انسب لرأى التي مصدرها الرؤيا الذي انتسب لعلم متعدية إلى مفعولين من الأحكام؛ وذلك لأنَّها مثلها من حيث الإدراك بالحسِّ الباطن»^(٤٦).

وقد خالف ابن هشام رأي ابن مالك ومن وافقه في ذلك؛ إذ قال: «ومصدرها الرؤيا، نحو: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولا تختصُّ الرؤيا بمصدر الحُلُمِيَّة، بل تقع مصدراً للبصريَّة، خلافاً للحريري وابن مالك، بدليل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، قال ابن عباس: هي رؤيا عين»^(٤٧).

وقد تفتنَّ الأشمونيُّ لمثل هذا، واستدرك الإطلاق بالتغليب، فقال: «فإن قلت: ليس في قوله: (الرؤيا) نصٌّ على المراد؛ إذ الرؤيا تُستعمل مصدراً لرأى مطلقاً، حُلُمِيَّة كانت أو يقظة. قلت: الغالب والمشهور كونها مصدراً للحُلُمِيَّة»^(٤٨).

الخاتمة

مخالفات ابن هشام للنحويين كثيرة، سواء التي صرح بها، والتي كانت محطّ الدراسة والبحث، أو التي لم يصرّح بقوله: (خلافًا)، التي لم نقف على نماذج منها، طلباً لموافقة المحتوى عنوان البحث من جهة، وللاختصار المفروض علينا من جهة أخرى.

وقد تمخّص عن هذا الجهد المقلّ، بعض الثمرات العلميّة التي سنلّمح لبعضها موجزين القول في ذلك؛ فكان من أهمّها تعمّد ابن هشام التصريح بالمخالفة، بقوله: (خلافًا)، ودقّته في متابعة أقوال المخالف لهم، وتفطّنه للدلالة على إبطال أقوالهم وزعمهم في غالب الأحيان.

ومّا بدا واضحاً في مخالفات ابن هشام النحويّة تسمية النحاة الذين خالفهم بأسمائهم، ونسبة الآراء إليهم، ومخالفتها ومناقشتها، والدلالة على حجّة مدّعه إذا ما رأى ذلك ضرورة لا محيص عنها، كما رأينا قد فعل في إثبات الرؤيا مصدراً للرأى البصريّة كما للرأى الحلميّة. ولعلّ من أهمّ ما لحظناه في مخالفات ابن هشام هو احترام الرأى الآخر، وعدم تحطّته، أو تغليطه وتقبيحه، كما رأينا ذلك واضحاً عند الزّجاج أو النّحاس مثلاً.

ومّا بدا واضحاً -أيضاً- من رفقة مخالفات ابن هشام أنّه كان في أغلبها

موافقاً أبا العباس المبرّد، ومُتابعاً له في آرائه، من غير إشعارٍ بذلك. وعليه لا تُعدُّ مخالفاته تفرّداً به، وإنّ تميّز في بعضها، وفصل القول في بعضها الآخر.

الهوامش

- ١- ديوان زهير بن أبي سلمى: ص ٣١.
- ٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٨/٣-١٩.
- ٣- يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٠٦-١١٠.
- ٤- يُنظر: حاشية الصَّبَّان: ٣٠٦/٢.
- ٥- أوضح المسالك: ١٢٥/٤.
- ٦- يُنظر: كتاب البيان في شرح اللُّمع: ص ٤١٦.
- ٧- أوضح المسالك: ٢٨٩-٢٩١/١.
- ٨- شرح ابن عقيل: ٢٩٨/١.
- ٩- يُنظر: أوضح المسالك: ٢٦٥/١، يقول بفعليّتها، وفي صفحة: ٢٨٩، يقول بحرفيّتها.
- ١٠- يُنظر: المصدر نفسه: ص ٢٨٩.
- ١١- أوضح المسالك: ١٣٢-١٣٣/٤.
- ١٢- علل النحويّ ابن الورّاق، تح: د. محمود الدرويش: ص ٥٩.
- ١٣- أوضح المسالك: ١١١/١.
- ١٤- يُنظر: شرح الكافية: ٣٦٢-٣٦٣/٢.
- ١٥- ديوان الفرزدق: ٢٦٥/١.
- ١٦- أوضح المسالك: ٢٢٨-٢٢٩/١.
- ١٧- يُنظر: المقتضب للمبرّد: ١١٦-١١٧/٤، وأيضاً: الانتصار لسيبويه على المبرّد، لابن ولّاد: ١٣٩-١٤٠.
- ١٨- أوضح المسالك: ٢٢٩/١، الحاشية.
- ١٩- يُنظر: ردود القدامى والمحدثين النحويّة على سيبويه، د. عبد الزّهرة زبون: ص ١٨٦.

- ٢٠- الفعل زمانه وأبنيته، السامرائي: ص ٦٧.
- ٢١- يُنظر: ردود القدامى والمحدثين النحوية على سيبويه: ١٨٦.
- ٢٢- أوضح المسالك: ٣٠٢ / ١.
- ٢٣- يُنظر: آراء الأخفش في جمع الهوامع: ص ٧٢.
- ٢٤- يُنظر: المصدر نفسه.
- ٢٥- أوضح المسالك: ٥٥ / ٢.
- ٢٦- شرح ابن عقيل: ٣٩٧ / ١.
- ٢٧- المصدر نفسه: ٣٩٨ / ١.
- ٢٨- شرح ابن النّأظم: ص ٧٩.
- ٢٩- يُنظر: حاشية الصّبّان: ٣٨ / ٢.
- ٣٠- أوضح المسالك: ١٣٨ / ١.
- ٣١- المقتضب: ٨٩ / ٣.
- ٣٢- مغني اللّبيب: ٦٠ / ١.
- ٣٣- أوضح المسالك: ٢٠٣ / ٢ - ٢٠٤.
- ٣٤- يُنظر: سرّ صناعة الإعراب: ١٤٤ / ١.
- ٣٥- يُنظر: جمع الهوامع: ١٣٨ / ٢ - ١٣٩.
- ٣٦- يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ص ٢٥٦.
- ٣٧- أوضح المسالك: ٦٦ / ٣ - ٦٧.
- ٣٨- حاشية أوضح المسالك: ٦٧ / ٣.
- ٣٩- يُنظر: اعتراضات الأزهرّي النحوية على ابن هشام: ١٣٨ - ١٣٩.
- ٤٠- حاشية أوضح المسالك: ٦٨ / ٣.
- ٤١- يُنظر: المصدر نفسه.
- ٤٢- أوضح المسالك: ٧١ / ٣.
- ٤٣- يُنظر: المصدر نفسه.
- ٤٤- يُنظر: حاشية المصدر نفسه.
- ٤٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١ / ١٦٣.

٤٦- المصدر نفسه.

٤٧- أوضح المسالك: ٢/ ٤٢-٤٣.

٤٨- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ١/ ١٦٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ١- الانتصار لسيبويه على المبرّد، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن ولّاد، دراسة وتحقيق: د. زهير عبد المحسن، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٢- الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت.).
- ٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف: الإمام أبي محمد، عبد الله جمال الدين ابن أحمد بن عبد الله بن هشام، الأنصاري، المصري، شرح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ت.).
- ٤- البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- ٥- البيان في شرح اللّمع، إملاء: الشريف عمر بن إبراهيم، الكوفي، دراسة وتحقيق: د. علاء الدين حمويه، دار عمّار - عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- ٦- حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧- الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمد عليّ النّجار، الهيئة العامّة المصريّة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.
- ٨- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ عليّ فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- ٩- ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ١٠- سرّ صناعة الإعراب، تأليف: إمام العربيّة أبي الفتح، عثمان بن جنّي، دراسة

وتحقيق: د. حسن هندراوي، (د.ت).

١١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة بعثت، قم.

١٢- شرح ألفية ابن مالك، لابن النّاطم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣- شرح كافية ابن الحاجب، لرضي الدين الاسترآبادي، تحقيق: يوسف حسن، مكتبة بارسا، قم، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٤- العلل في النحو، محمد بن عبد الله الورّاق، تحقيق: مها مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

١٥- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجبل، الطبعة الأولى، (د.ت).

١٦- المحتسب، ابن جنّي، تحقيق: عليّ النجدي وآخر، لجنة إحياء كتب السّنة، ١٩٩٤م.

١٧- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، (د.ت).

١٨- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

الرسائل والأطروحات الجامعية

١٩- آراء الأخفش في كتاب همع الهوامع للسيوطي - جمعاً وتوثيقاً ودراسة - رسالة ماجستير، سماح سمير سلمان، الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٠م.

٢٠- اعتراضات الأزهرية النحوية على ابن هشام في التصريح بمضمون التوضيح - رسالة ماجستير، غريب بن ياسين بن رشيد ودّاني، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السّعودية، ١٤٢٧هـ.

مُهَذَّبُ الدِّينِ البَصْرِيِّ
ومذهبه في دلالة الأمر بالمؤقت على الأمر به في خارجه
دراسة مقارنة

Muhadhib al deen Al basri
and his Creed in Indication of Accomplishment
Proof on Delayed Accomplishment of an
Obligation
(comparative research)

أ.م.د. محمود محمد جايد العيداني
جامعة المصطفى العالمية / إيران - قم المقدسة

Dr. Mahmoud M. Jayed Alaidani, assistant professor
Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

ملخص البحث

مهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، علم من علماء البصرة، لم يُحرز تاريخ ولادته ولا وفاته، ولكنه كان حيّاً عام (١٠٩٨هـ).

ترك المهذب بلاد العرب إلى بلاد الفرس، ومنها إلى بلاد الهند، بمختلف بلدانها، وحتى قراها؛ طلباً لصيانة ماء الوجه، وهرباً من الفقر، الذي لم يفارقه إلى آخر عمره الشريف.

والرجل نازحاً على علم في عالم العلم والمعرفة والبحث والتأليف؛ يشهد له كل من ترجم له، وقبل ذلك، تشهد له الجملة العريضة مما ثبتت نسبته له من نتائج راقية غاية في الجمال والدقة في مختلف العلوم، قاربت الخمسمائة، وكذا كان من تلامذة الحرّ العاملي صاحب الوسائل، الذي قرّض له أحد كتبه.

الطريقة الفنيّة لاستنباط الحكم التكليفيّ عندنا تقتضي الانطلاق من أصالة البراءة، التي تقتضي بدورها عدم وجوب القضاء لمن فاته الأداء، وأمّا المرحلة الثانية، فهي البحث عن دليل مُحَرِّزٍ على خلافها، وهنا بالضبط تأتي المسألة محلّ البحث، وهي مسألة (دلالة الأمر بالأداء على الأمر بالقضاء)، وبتبعية القضاء للأداء؛ وعليه، فالهدف من الكلام في هذه المسألة هو تأسيس قاعدة بالنسبة إلى وجوب الإتيان بالموقت في خارج الوقت إذا فات في الوقت اختياراً، أو لعذر،

تكون جارية في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط، بحيث تقطع العمل بالأصل العملي، وتكون مستفادة من دليل الأداء ليس إلا. ذهب مهذب الدين إلى عدم الدلالة في المقام، مبيناً ذلك عبر خطوتين، سرد في أولاهما أدلة القائلين بالدلالة والاقتضاء، وفي الثانية أدلة القائلين بخلاف ذلك، راداً لأدلة القول الأول، واصلاً إلى النتيجة.

وقد كان دليل القائلين حسب المهذب أمرين: أولهما: قياس ما نحن فيه على الدين وقضائه، وثانيهما: دلالة الأمر بالموقت على تعدد المطلوب. وأمّا الردّ، فالأول قياس مع الفارق، والثاني مجرد دعوى لم يقم عليها دليل، بل الفهم العرفي خلافها، ولم تثبت مصلحة في القضاء بنفس دليل الأداء تقتضي التشريع على أساسها.

وأمّا الآخوند الخراساني، فقد ذهب إلى عين ما ذهب إليه المهذب؛ إذ لا دلالة للأمر بالموقت بوجه من وجوه الدلالة، لا لغة، ولا عرفاً على وجوب القضاء، بل لو كان دليل التوقيت متصلاً، لتوجه ثبوت عدم الوجوب؛ عملاً بمفهوم الوصف.

نعم، لو كان التوقيت بدليل منفصل، لم يكن له إطلاق على التقييد بالوقت، وكان لدليل الواجب إطلاق، لكان قضية إطلاقه ثبوت الوجوب بعد انقضاء الوقت، إلا أنّ هذه القيود غير متحققة في المقام، فلا دلالة.

ومع عدم الدلالة، فقضية أصالة البراءة عدم الوجوبها خارج الوقت، ولا مجال لاستصحاب وجوب الموقت بعد انقضاء الوقت؛ لانتفاء الموضوع، ولا أقل من الشك في بقاءه.

إنَّ المقارنة بين نتائج العلمين في المسألة محلّ البحث طبق معيار مستويات المجال المعرفي السّتّة، تُظهر تفوّقاً لهذا العَلَم في بعض الموارد، ولذاك العَلَم في أخرى، وكذا تظهر تشابهاً مرّاتٍ أُخرى.

Abstract

Muhadhib Al deen, Ahmed bin Abdurridha is one of basrah's many well-qualified scientist in many sciences, his date of birth is un known, but we know that during the 1098th hijri he was alive.

Muhadhib al deen was one of the most famous researchers in various sciences, his history and many books that he wrote witness this very clearly, as was wrote by one of his teachers (Al hur Al amili) in one of his books.

The logical method of deduction of Islamic rules demands starting whith the insurer principle that proves permissibility, whice means that when the time of a rule has past, we have no obligation or commitment to do it out of that time whithout an Ijtihadic proof which comes in the second step of deduction method.

In this specific step (the second one)Muhadhib Al deen's

magnificent researches come, aiming to establish a general rule for indication or no indication of accomplishment proof on delayed accomplishment of an obligation with or without an epic excuse.

Muhadhib Al deen have chosen not to indicate here, proving that by two steps: in the first step he listed in evidences of those who chose indicating, in the second one he listed in the evidences of those who chose not to indicate, by the end; he revoked all the first list, choosing not to indicate, as the same result that Akhond Khurasani chose in his famous book (kifayat Al osool).

Comparing between two scientists in this specific issue depending on the six known levels of knowledge reveals a kind of superiority of one in some levels and the other in other levels, there are also a similarity in some of those levels.

مقدمة

يُعَدُّ مَهَذَّبُ الدِّينِ البَصْرِيِّ مِنْ جُمْلَةِ أَمْزَجِ الشَّخْصِيَّاتِ البَصْرِيَّةِ عَلَى مَرِّ تَارِيخِ البَصْرَةِ، وَهُوَ -بِالتَّأَكِيدِ- مِنْ جُمْلَةِ أَمْزَجِ شَخْصِيَّتَيْنِ بَصْرِيَّتَيْنِ تَعَاَصَرَتَا فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ، وَأَمَّا الشَّخْصِيَّةُ الْأُخْرَى، فَهِيَ شَخْصِيَّةُ السَّيِّدِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْجَزَائِرِيِّ (رَضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ).

بُرُوزُ شَخْصِيَّةٍ مِثْلَ شَخْصِيَّةِ مَهَذَّبِ الدِّينِ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا غَيْرَ طَبِيعِيٍّ أَبَدًا؛ بَلْ كَانَ أَمْرًا طَبِيعِيًّا لِلْغَايَةِ؛ حَتَّمْ ذَلِكَ مَا تَمَتَّعَ بِهِ الرَّجُلُ مِنْ طَاقَاتٍ وَقَابِلِيَّاتٍ، وَفَنُونٍ، وَأَخْلَاقِيَّاتٍ، يَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا كَوْنُهُ فَقِيهًا مُعْتَرَفًا بِهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ. وَلَمْ يَكُنْ **فَقِيهًا** مَبْرَزًا فَحَسَبَ، وَلَمْ يَكُنْ مَنَّ بَرَزَ وَأَلَّفَ فِي الْعُلُومِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِالْفَقْهِ وَعَالِمِ الْفَقَاهَةِ فَحَسَبَ، بَلْ تَعَدَّتْ فَنُونُهُ إِلَى مَا لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِذَلِكَ الْعَالَمِ أَبَدًا، فَكَانَ مُتَخَصِّصًا فِيهِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ، بَحِثَ أَلْفَ فِيهِ وَدَرَّسَ، وَنَاقَشَ. الطَّبُّ، وَالْخَطُّ، وَالرِّيَاضِيَّاتُ، وَالْهَنْدَسَةُ، وَخَوَاصُّ الْأَعْشَابِ، وَالطَّبِيعَةُ، وَالْأَخْلَاقُ، وَالْآدَابُ، وَالشُّعْرُ، وَالْأَدْعِيَّةُ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، كُلُّهَا تَشْهَدُ لَهُ بِالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّخَصُّصِ؛ ذَلِكَ عَبْرَ مَا أَلَّفَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْعُلُومِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَوْلاَفَاتٍ تَرَكَهَا لَنَا مَبْعَثَ فَخْرٍ وَتَقْدِيرٍ عَظِيمَيْنِ، حَتَّى أَتَّهَا جَاوَزَتْ الْخَمْسِمِائَةَ مَوْلاَفٍ كَمَا سِيَّاتِي بِالتَّفْصِيلِ.

إنَّ من اللازم الافتخار بشخصية بصرية من هذا الطراز، ويأتي على رأس هذا الافتخار الاستفادة العملية من تراثٍ ثرٍّ تركه لنا الرجلُ العلامة، فيلزم على أهل العلم خاصّة مراجعة نتاجات هذه الشخصية العلمية الراقية، والاستفادة من الخبرات والتجارب والنتائج التي تركتها لنا.

ومن الواضح أنَّ مراجعة التراث شيء، وتناول هذا التراث بصورة مقارنة شيء آخر؛ إذ يُعدُّ المنهجُ المقارنُ القمّة في الاستفادة والعرض والدراسة. ومن جملة أهمّ ما تركه المهذب هو كتاب (التحفة العزيزة) في علم الأصول؛ إذ ضمّنه من الأفكار الدقيقة المهمة الجميلة الشيء الكثير، فوقَّع الاختيار على أنموذج من هذه الأفكار، وعرضها، ودراستها دراسة مقارنة، ولهذا الهدف اخترنا أن تكون الشخصية الثانية هي شخصية من الطراز الأوّل في علم الأصول أيضاً، وهي شخصية الآخوند الخراساني صاحب الكفاية، الأستاذ المبرز في هذا العلم.

ولما لم يكن من الممكن المقارنة في كتابٍ كاملٍ بين العلمين، فقد اخترنا واحداً من أهمّ المطالب الأصولية التي خاض في بحثها العلمان، وهو ما يسمّى عند المتأخّرين بمسألة (تبعيّة القضاء للأداء)، واتخذناها أنموذجاً للمقارنة بينهما. ولما كان من الواضح أنَّ المقارنة لابدّ لها من معايير ومقاييس ومحكّات معيّنة محدّدة، ومع الأخذ بنظر الاعتبار الناحية التعليمية والاستفادة العملية من التراث، فقد وقع الاختيار على مستويات المجال المعرفي الستّة المعروفة، من المعرفة، والفهم، والتطبيق، والتحليل والتركيب، وأخيراً التقييم، لتكون معايير للمقارنة بين الأفكار التي جاد بها العلمان في المسألة محلّ البحث.

وأما المنهج الذي سنتَّبعه في هذا البحث بالإضافة إلى أصل المنهج المقارن، فهو المنهج الوصفي التحليلي؛ فإنه المناسب تماماً لما نريده من الهدف. من الواضح أننا لن نحتاج إلى التعريف بشخصية الأخوند الخراساني؛ فهو مَنْ لا يحتاج إلى التعريف، ولهذا، سيقصر التعريف على شخصية المهذب؛ إذ هو شخصية غير معروفة مع الأسف.

المبحث الأول

التعريف بمهذب الدين وبكتابه (التحفة العزیزة)

المطلب الأول: التعريف بمهذب الدين البصري

أولاً: الاسم والكنية واللقب

هو مهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، البصري.

أمّا (مهذب الدين) على وزن اسم الفاعل لا المفعول كما قد يشتبه على البعض، فهذا ما ذكره هو نفسه في جملة عريضة من كتبه التي ألفها طي سنين متعددة من عمره الشريف^(١).

وأما اسمه (أحمد)، فلم يستشكل فيه أحد، وجميع كتبه ورسائله شاهد على ذلك.

وأما اسم أبيه، فالوارد في جميع كتبه ورسائله التي ألفها بنفسه هو (عبد الرضا)^(٢)، وهو خير شاهد على ذلك، وأمّا ما ورد على لسان البعض من كونه (رضا)، كما في نجوم السماء^(٣)، وفي الذريعة في بعض الموارد^(٤)، وفي غيرهما^(٥)، أو كونه (الرضا) بالالف واللام، كما في تراجم الرجال للحسيني^(٦)، أو كونه (محمد رضا)^(٧)، أو (عبد الرضي)^(٨)، فلم يقدّم عليه أي دليل معتبر في عالم التحقيق^(٩).

وَأَمَّا (البصريُّ)، فهو الوارد في جميع ما ذكر نسبته ممَّا تقدَّم من الكتب، ومن كُتِبَ تَرْجَمَتٌ للمؤلَّف.

وفي مرآة الأخبار (الحليُّ) في المتن، و(الحليُّ، البصريُّ) في الهامش، ولم أعرف له مستنداً حَجَّةً حتَّى في ما ذكره في الهامش من مصادر، فلاحظ^(١٠).

والذي يقوى أَنَّهُ اشتبه عليه الأمرُ كما اشتبه على غيره^(١١)؛ فخلطَ بَيْنَ مؤلِّفنا (مهذَّبُ الدِّين، أحمدُ بنُ عبد الرضا)، وبين (مهذَّبُ الدِّين بنُ أحمد بن عبد الرضا)؛ فهذا الأخير (حليُّ) كما ذكره آغا بزرك الطهرانيُّ في طبقاته^(١٢).

وفي بعضها الآخر زيادة (الهنديُّ الخراسانيُّ)^(١٣)، أو (الخراسانيُّ)^(١٤)، أو غير ذلك؛ تبعاً للبلدان التي حلَّ بها المصنَّف، وهي كثيرة كما يظهر ممَّا ختم به كتبه المختلفة، التي يأتي الإشارة إلى بعضها.

وَأَمَّا (البصريُّ)، فقد جاء ذكره في كتاب (نامه دانشوران)، وهو كتاب نُشر في زمن حكومة ناصر الدِّين شاه في الدَّولة القاجاريَّة، تحت إشراف عليِّ قلي ميرزا (اعتضاد السِّلطنة)^(١٥).

وكذا صرَّح أحدُ معاصريه، ممَّن التقى به، وممَّن يمكن عدُّه من رفاقه، ومن المقرَّبين منه، بأنَّه (نشأ في البصرة)، أعني بذلك: العالم، الفاضل، المعروف بالآخوند، الفريد، السَّعيد، الشَّيخُ با يزيد؛ وذلك في قصيدة له باللُّغة العربيَّة غاية في الجمال، قرَّض بها كتابَ مصنِّفنا (العِبرَةُ الشَّافية والفِكرة الوافية)، الذي انتهى من تأليفه في حيدر آباد في سنة (١٠٨٥ هـ)، طبق تقريض مولانا ميرزا مُحَمَّد الاسترآباديِّ آخر الكتاب؛ إذ جاء فيها:

تَمَيَّنْتُ قَدَمَا أَنَّ أَزُورَ مُوَالِيَا لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْحُبِّ فِي الْحَشَا

فَيَسِّرْ لِي رَبِّي لِقَاءَ سُمَيْدَعٍ بِطَوْسٍ أَنْتَمَى عِلْمًا بِبَصْرَةٍ قَدْ نَشَا
أَبُو الْفَضْلِ وَالتَّقْوَى الْمَهْدُبُ أَحْمَدُ مَزَايَاهُ أَعْلَامٌ بِهَا صَيْتُهُ فَشَا^(١٦)

وهو واضحٌ صريحٌ في كون الرجل قد نشأ في البصرة، فلا يُسمع لما قد يظهر من تردّد البعض في ذلك^(١٧).

ثانياً: الولادة والوفاة

أمّا بالنسبة إلى تاريخ ولادته، فهو لم يتطرق لذلك في أيّ من تأليفاته الكثيرة، وذكر في تحقيق كتابه (المُقْنَعَةُ الْأَنْبِيَاةُ وَالْمُغْنِيَةُ النَّفِيسَةُ) لعلّي رضا هزار، الموجود ضمن عدّة رسائل في دراية الحديث من إعداد أبو الفضل الحافظيان والبابلي: «وُلِدَ سَنَةَ (١٠٢٠ ق)، وتوفي سنة (١٠٨٥ ق)»^(١٨).

والحق: أنّه ليس لذلك أيّ مستندٍ صحيحٍ موثوقٍ اطلعنا عليه، شأنه في ذلك شأن ما جاء في تحقيق كتاب (فائق المقال) من قبل غلام حسين قيصريه ها، نقلاً عن مستدرك أعيان الشيعة^(١٩)، بل الثابت خلافه بالنسبة إلى سنة وفاته؛ كما سيأتي بعد قليل^(٢٠).

وأمّا بالنسبة إلى تاريخ الوفاة، فلم يحدّد أيضاً، إلّا أنّ الثابت أنّه كان حيّاً سنة (١٠٩٠) من الهجرة؛ وذلك لما جاء في خاتمة كتابه (نقد جامع) من قوله: «اتَّفَقَ الفراغ من مشقّة مشقّها، وتأدية حقّها، في السّاعة الأولى، من اليوم الثّالث، من الأسبوع الأوّل، من الشّهر الثّاني، من السّنة العاشرة، من العُشر التّاسع، من المائة الأولى، من الألف الثّاني من الهجرة النّبويّة، على مهاجرها أفضل الصّلاة وأتمّ التّحيّة، على يد مؤلّفها المذنب أحمد، المشتهر بالمهدّب بن عبد الرّضا،

عُوملاً بالعفو والرِّضا، في محروسة حيدر آباد، صينت عَن الفتن والفساد إلى يوم التَّنَاد^(٢١)».

ولو تأمَّلنا هذه الكلمات، لرأينا أَنَّ التاريخ سيكون الثالث من صفر عام (١٠٩٠) من الهجرة.

وكذا نقل في (مرآة الكتب) أَنَّ المصنِّف كان حيًّا في شهر ربيع الأوَّل سنة تسعين بعد الألف من سنة (١٠٩٠هـ)، وهو تاريخ ختم كتابه (ريحانة روضة الآداب)، بدون أَنْ يدَّعي أَنَّهُ آخر كتابٍ له^(٢٢)، خلافاً لما ادَّعاه البعض^(٢٣). وبهذا، يكون ما ذهب إليه بعض المحقِّقين مِنْ أَنَّ «آخر كتاب وقفنا عليه ممَّا كتبه هناك [حيدر آباد] هو كتاب (فاتق المقال)؛ فقد فرغ من تأليفه سنة (١٠٨٥هـ)، وهو آخر تاريخ وقفنا عليه في مؤلَّفاته^(٢٤)»، غير وجيه.

هذا، ويمكن أَنْ يُقال بأنَّ المهذَّب كان حيًّا سنة (١٠٩٨هـ)؛ اعتماداً على ما جاء في تعريف قصيدة للآخوند الشَّيخ با يزيد؛ ففي تعريف هذه القصيدة المذكورة آخر كتاب (العبرة الشَّافية والفكرة الوافية) جاء ما نصُّه: «بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم. الآخوند، الفريد، السَّعيد، المعروف بالشَّيخ با يزيد، وفَّقَه الله لما يُريد، في أورنكباد سنة ١٠٩٨ هـ»، ثُمَّ بدأ بنقل القصيدة التي تقدَّم نقل مطلعها وشيءٍ منها، ثُمَّ بعد أَنْ انتهى من نقل القصيدة كُلِّها، قال: «وقال تُرابُ أقدام المُهتدين، أَحْمَدُ، المُشتهر بمهذَّب الدِّين، عند استماع هذا القول المتين: إذا قيل: مَنْ ساوتُ تصانيفُ فضله...» إلى آخر القصيدة ذات الثلاثة أبيات. ونقل غيرها للمصنِّف أيضاً^(٢٥).

والإنصاف: أَنَّ هذا القول قويٌّ، نعم، هو يحتاج إلى ثبوت أَنَّ القصيدة قد

قيلت في سنة (١٠٩٨) كما هو واضح، وهذا ما لربما يكون ظاهر التاريخ المثبت في التعريف بها.

ثالثاً: الحالة الاجتماعية

لم يُسَعِفْنَا المؤرِّخون ولا المترجم له نفسه في الوقوف على الحالة الاجتماعية له؛ فعلى الرغم من المكانة المرموقة التي كان عليها **فَتَّشٌ**، وعلى الرغم من كثرة ما كتبه من كتبه ورسائله، وعلى الرغم من علاقاته الكثيرة المتشعبة في بلاد العرب والفرس والهند، ولربما غيرها، لم نقف على شيء من حالته الاجتماعية إلا بمقدار النزر اليسير الذي نثره هنا وهناك في مجموع كتبه.

لم يتحدث مهذب الدين عن زوجة، ولا عن أولاد، ولا عن عددهم، ولا حتى عن مكانهم، بل غاية المنثور هنا وهناك من مؤلفاته، وهو أنه كان في بلاد العرب، فتركها وهاجر إلى بلاد الفرس، ومنها إلى بلاد الهند بمختلف بلدانها، وحتى قراها؛ طلباً لصيانة ماء الوجه واللُقمة الحلال، وهرباً من الفقر، الذي لم يُفَارِقْهُ إلى آخر عمره الشريف، ولهذا، نرى كثرة تألمه من الغربة والهَمِّ الذي كان لا يُفَارِقْهُ بسببها، وهذا هو حال كثير من الأعلام إلى يومنا هذا مع الأسف الشديد.

قال في (فائق المقال في الحديث والرجال)، بعد أن ذكر أنه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث بلا إسنادٍ، وألفاً ومائتي حديثٍ مع الإسناد: «وسببُ القصورِ والتقصيرِ، والتفريطِ والتدميرِ، ابتلائي بدواهي، بالملوك الزائفين عن السلوك، والكذب على العيال، والأسرى والأطفال، وارتكاب الأسفار البعيدة،

وتواترِ المصائبِ الشَّديدة، والآلامِ النفسانيَّة، والأمراضِ الجسديَّة، والاشتغالِ
بمزخرفاتِ الدُّنيا الدَّنيَّة وزيناتها التَّموييَّة، والانهماكِ باللذاتِ البدنيَّة.
وبالجملة: لو أنَّ بقيتُ ببلادِ العربِ الكرامِ، لصرتُ شيئاً متَّصفاً بما يُحَاكي
التَّمام، ولكنَّ هواءَ القدرِ والوجد، ألْقاني في هوالِكِ الهند. والحمدُ لله المتعالِ على
جميعِ الأحوال^(٢٦).

وقال في (الحجَّة المَوْجِزة): «خَطَرْتُ حَالَ أَلْمِي واضطرابي، وقلقي واكتئابي،
وشدَّة وحشتي غربتي، ومحنة غرابة وحشتي، وتفكُّري في مَصَائِبِ الزَّمان،
وتحيري في نوائبِ الحَدَثان، في البلدة العظيمة، والدَّائرة القديمة... هرات»^(٢٧).
وقد بلغَ الرَّجُلُ في تأوُّهاته وشكواه الغاية في ما أَلْفَه من رسالة سَمَّاهَا
(السُّؤاليَّة الحبيبة، والنَّوَالِيَّةُ المَجيبة)؛ التي انتهى منها في بِشاور سنة (١٠٨٠)؛
فقد بَثَّ فيها من الآهات ما يحرقُ القلوب، ويُجْري المَقْلَ^(٢٨).

رابعاً: السَّيْرَةُ العِلْمِيَّةُ

١ - المنزلةُ العِلْمِيَّةُ

الرَّجُل - كما ذكرنا - نازَّ على عِلْمٍ في عالمِ العِلْمِ والمعرفة والبحث والتأليف؛
يشهدُ له كُلٌّ من ترجم له، وقبل ذلك، تشهدُ له الجملة العريضة مما ثبتت نسبته
له من تأليفات، التأليفات الرَّاقية الغاية في الجمال والدَّقة في مختلف العلوم،
أنتجها على مرِّ عمره الشَّريف.

وهو الشَّيْخُ الأَجَلُّ، الحافظُ، من أَجَلَّةِ تلاميذِ المحدثِ الحُرِّ العاملي صاحبِ
الوسائل، وكان فقيهاً، أصوليّاً، محدِّثاً، رجاليّاً، متقناً لعلَمي المعاني والبيان،

والفلكيّات، وكذا الطّب، والفلسفة، والقرآن، والتجويد، والرياضيّات، والخطّ، وغيرها من العلوم الجليلة الدّقيقة^(٢٩).

وكان من شدّة قربهِ لأُستاذهِ صاحب الوسائل، الحرّ العامليّ، أن كان من أجلة تلاميذه، بحيث كان له شرف تقريض أُستاذهِ لكتابه (الدّرّة النّجفيّة)^(٣٠). وكان من حفاظ الأحاديث؛ فقد كان يحفظ اثني عشر ألف حديث بلا إسناد، وألفا ومائتي حديث مع الإسناد، صرّح بذلك في كتابه (فائق المقال في الحديث والرّجال)^(٣١).

وتُستفادُ منزلة المهذب العلميّة ممّا قيل في مؤلّفاته من بعض معاصريه؛ من ذلك ما قرّض به بعض العلماء المعروفين ذلك الزّمان كتابه (العبرة الشّافية والفكرة الوافية)، منهم: من تقدّم ذكره، وهو الأخوند، الفريد، السّعيد، المعروف بالشيخ بايزيد؛ وذلك في قصيدة له باللّغة العربيّة، أوردنا بعض أبياتها فيما تقدّم، إلى أن يقول فيها:

وقالوا كما قد عاينوا باجتهاده وذلك فضل الله يؤتيه من يشا^(٣٢).

٢- الأساتذة

على الرّغم من كثرة ما ألّفه المهذب من الكتب والرّسائل وغيرهما، كما سيأتي بعد قليل، إلّا أنّه لم يُشر إلى من تلمذ على يديه، ونال شرف تلقّي العلم عليه إلّا ما ندر، وهو أمرٌ غريبٌ جدّاً، لا سيّما مع تعهّده بذكر التواريخ الدّقيقة لمؤلّفاته، حتّى أنّه كان يُشير في بعضها إلى أنّه انتهى منه في السّاعة الأولى من اليوم المعين مثلاً.

وكذا مع تعهده ودقته وموضوعيته وفنه في ذكره لمقدمة مناسبة لجميع ما ألفه وأنتجه من كتبٍ ورسائل.

ومع ذلك، فإنَّ مما يُطمأن به في هذا المجال ثلاثة أمور:

الأول: أنَّه تلمَّذ على يدي العلامة الخبير، الشيخ الحرَّ العامليِّ صاحب الوسائل؛ فقد جاء في كتابه (فائق المقال) قوله: «إنَّ أكثرَ ما نقلتُ الحديثَ الشريفَ، وأوفرَ ما رويتُ من الخبرِ المنيف، عن ثقةِ المحدثين، وفقهه المسلمين، وقُدوةِ المؤمنين، وزُبدةِ المتكلمين، وقبلة العلماء، وأُسوةِ الحكماء، شيخي، وملاذي، وأستاذي، ومن إليه في العلوم الشرعيَّة استنادي، الشيخُ الجليل، الفاضلُ النبيل، الشيخُ مُحَمَّد ابن الشيخ حسن، الحرَّ العامليِّ، أعلى الله قدرَهُما ومقامَهُما...»^(٣٣).

الثاني: تقرُّبُ الشيخ الحرَّ العامليِّ لكتاب (الدَّرة النّجفيَّة) في أصول الفقه، في سنة (١٠٧٥هـ)، ونسخة الكتاب في مكتبة الحاج السيِّد مُحَمَّد الزنجاني المتوفى سنة (١٣٥٥هـ)، كما في الذريعة^(٣٤).

الثالث: أصل وجود الكتاب المتقدِّم الذكر، أعني: الدَّرة النّجفيَّة؛ الواضح في أنَّه قد أُلِّف في النّجف الأشرف.

٣- المؤلَّفات والمصنَّفات

نظرة خاطفة في عالم مؤلَّفات ومصنَّفات مُهَذَّب الدِّين، تضع إصبعَ المحقِّق الباحث على كثير من الحقائق المميَّزة في ما يرتبط بهذا المجال، منها: الوفرة والتنوع؛ فقد بلغ عدد مؤلَّفاته (٥٠٥) مؤلَّفاً؛ جاء ذلك على لسان بعض من مدحه على جزيل عطائه العلميِّ، من قبيل ما نقلناه من شعر عن الآخوند،

الشيخ بايزيد؛ فإن قوله:

تصانيفه أعداد شهر تسائرَت مسيرة عام سير أجود من مشا

يشير - عن طريق حساب الحروف إلى العدد (٥٠٥)، وهي مجموع أعداد حروف كلمة (شهر) (٣٥).

وكذا أشار المهدب نفسه إلى هذا العدد؛ بقوله بعد سماعه القصيدة التي جاء البيت المتقدم في ضمنها:

إذا قيل من ساوت تصانيف فضله عداد رشاد رُشدها في الحشا مشا
وطيب مزايها كروح فيوضها لدى الكل في كل الوري كالنشافشا
فقل فائض الفضل المهدب أحمد وذلك فضل الله يؤتيه من يشا (٣٦)
ويشير البيت الأول إلى العدد (٥٠٥) أيضاً؛ إذ هو مجموع حروف كلمة (رشاد).

وكذا أشار المهدب إلى مجموعة كبيرة من مصنفاته أول كتابه (العبرة الشافية والفكرة الوافية) (٣٧).

وإليك بعض ما اكتشف لحد الآن من تأليفاته:

١ - الوجيزة الحقية.

وهي بحث استدلاي محوره التغني بالقرآن، وأنه حرام، ورد ما استدلل به القائلون بالجواز، وقد ألفها في هراة سنة (١٠٧٩هـ).

٢ - آداب المناظرة. ألفه في حيدر آباد الهند سنة (١٠٨١هـ).

٣ - عمدة الاعتماد في كيفية الاجتهاد. ألفه في كابل سنة (١٠٨٠هـ).

٤ - العبرة الشافية والفكرة الوافية في الكلمات الحكمية والنكات الأخلاقية.

- ٥- العبرة العامة والفكرة التامة في المواعظ والحكم من الخطب والأشعار والتواريخ والآثار.
- ٦- التحفة الصفوية في الأنباء النبوية.
- ذكر فيه أنه ألفه بقندهار بالتماس بعض علمائها، ذكر فيه الأحاديث المختصرة المروية عن النبي ﷺ، على ترتيب حروف المعجم، فرغ منه سنة (١٠٧٩هـ).
- ٧- التحفة العلوية في الأحاديث النبوية.
- ٨- التحفة العزيزة. وهي في علم الأصول.
- ٩- الزبدة في المعاني والبيان والبدیع.
- ثم ألف بعدها خلاصتها باسم (خلاصة الزبدة).
- ١٠- رسالة في القيافة.
- ١١- التنزيديّة في المسائل التجويدية. انتهى منها سنة (١٠٧٤هـ).
- ١٢- فائق المقال في الحديث والرجال.
- وهو في الحديث والرجال كما هو واضح من عنوانه. فرغ منه سنة (١٠٨٥هـ) بحيدر آباد الهند.
- ١٣- غوث العالم في حدوث العالم وردّ القائلين بالقدم.
- ١٤- حبيبة الأحاب في الضروري من الآداب.
- انتهى منها في قرية (قرنين) سنة (١٠٧٩هـ).
- ١٥- الرسالة الفلكية في الهيئة.
- ألفها بقرية (أدكان)، التابعة لمشهد الرضا ﷺ سنة (١٠٧٧هـ).
- ١٦- السؤالية الحبيبة والنوالية المجيبة.

- ألفها في (بشاور) سنة (١٠٨٠هـ).
- ١٧- تحرير كلام لتقرير مرام.
- وهو بحث فقهي استدلائي، تناول فيه المصنف مسح الرجلين في الوضوء.
- ١٨- الدرّة النجفيّة في علم الأصول.
- وهي في علم الأصول، وهي التي عليها تقرّظ أستاذه محمد بن الحسن الحرّ صاحب الوسائل، بتاريخ (١٠٧٥هـ).
- ١٩- الوجيزة في الخمس والزكاة. ألفها في هرات سنة (١٠٧٩هـ).
- ٢٠- تحفة ذخائر كنوز الأخيار في بيان ما يحتاج إلى التوضيح من الأخبار.
- ٢١- العبريّة الأنيسة المعطوفة على الجوهرة النفيسة.
- وهي مجموعة من النصائح الأخلاقية، انتهى المصنف من تأليفها سنة (١٠٨٥هـ) في حيدر آباد الهند، وهي محفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران برقم (٤٩٤٤٤١).
- ٢٢- الاعتقاديّة. انتهى منها في قرية (أدكان)، التابعة لمشهد الرضا (عليه السلام) عام (١٠٦٨هـ).
- وله رسائل عديدة تقدّم اسم بعضها في الهامش مع أماكن وجودها.
- ٢٣- رسالة في العلم الفرائض.
- انتهى منها في مشهد الرضا (عليه السلام) عام (١٠٧٠هـ).
- ٢٤- اللامعة الوفيّة في الذهاب بمذهب الصوفيّة.
- وقد ألفها على حدّ قوله: «في البلدة الموسومة بالغراء، أمّ الأخيار، المحفوفة برحمة العزيز الغفار، على يد مسطرّها، فوق جناح السّفر إلى ناحية الهند بحكم

القدر»، وكان ذلك سنة (١٠٧٩هـ) حسب ما جاء في آخرها^(٣٨).

٢٥- إحدى وثلاثون مسألة شائعة.

انتهى منها في قرية (شاه انديز)، التابعة لمشهد الرضا عليه السلام، عام (١٠٧٧هـ).

٢٦- قطعة في الآداب.

انتهى منها في مشهد الرضا عليه السلام عام (١٠٦٥هـ).

٢٧- الحجية الموجزة.

تناول فيها **فدّش** مجموعة من مسائل الحجّ. يقول في آخرها: «خَطَرَتْ حَالُ الْمَلِيّ واضطرابي، وقلّقي واكتئابي، وشِدَّةٌ وَحْشَةٍ غُرْبَتِي، وَمِحْنَةٌ غَرَابَةٍ وَحْشَتِي، وَتَفَكُّرِي فِي مَصَائِبِ الزَّمَانِ، وَتَحْيِيرِي فِي نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ». وقد ألّفها في هرات سنة (١٠٧٩هـ).

٢٨- في مشكلات الصحيفة الكاملة. ألّفها سنة (١٠٨٨هـ).

٢٩- كتاب نقد جامع.

وهو في الطبّ والعلاج وما يرتبط بهما، والموجود في المجموعة الخطيّة المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى بطهران هو الجزء الثاني من هذا الكتاب، وفي الصفحة الأخيرة منه، جاء أنّه انتهى منه في حيدر آباد في سنة (١٠٩٠هـ).

٣٠- المنهج القويم في تفضيل الصّراط المستقيم، عليّ أمير المؤمنين، على

سائر الأنبياء والمرسلين بالتعميم، سوى نبيّنا ذي الفضل العظيم.

وقد حُقّق على يد الأستاذ مُحَمَّد حسن الأَرْكَانِيّ البهبهانيّ، وطُبِع من قبل

مجمع الذّخائر الإسلاميّة في إيران، في سنة ١٣٩٢هـ. ش.

٣١- الرسالة المدحية.

وهي شرح لما قاله المصنف في مدح الإمام الحسين عليه السلام من بيتين من الشعر. وقد انتهى من تأليفها سنة (١٠٦٣هـ) (٣٩).

إلى غير ذلك من الكتب والرسائل الكثيرة في مختلف العلوم، التي تقدّم أنّها جازت الخمسمائة مؤلف وكتاب (٤٠).

المطلب الثاني: التعريف بكتاب (التحفة العزيزة)

كتاب (التحفة العزيزة) من الكتب الأصولية الدقيقة المختصرة، ولم أر للكتاب نسخة مطبوعة إلى هذا اليوم، على الرغم من بحثي عدة مرّات في مظانّ الكتب والمكتبات، فهو لا يزال كتاباً مخطوطاً إلى هذا اليوم.

المخطوطة تقع ضمن مجلد واحد ضمّ مجموعة من مؤلفات مهذب الدين، وهي محفوظة في مكتبة ملك في طهران، برقم (١٠٣ / ٠٣٥٧٢، ٠٤، ١٣٩٣)، وإليك معلومات هذا الكتاب:

اللغة: العربية.

عنوان المخطوطة: التحفة العزيزة

المؤلف: أحمد بن عبد الرضا البصري.

تاريخ الكتابة: ١٠٨٦ قمري (القرن ١١).

قياس الصفحة الواحدة: الطول: (٩، ٢٤) سم. والعرض: (٢، ١٦) سم.

وأما بالنسبة إلى الخطّ، فقد كتبت النسخة بخطّ النسخ، بصورة جميلة جداً وواضحة.

وقد شرعت كل رسالة - ومنها الرسالة محل البحث - بصفحة يُمنى جديدة، زينتها لوح مزدوج مُذهَّب ومرصع بكتيبة بقلم الذهب، عدا القصيدة التي نظمها المهذب في الصفحة (٢٦٦) اليسرى؛ فقد كانت بدون ذلك. وقد أطرت جميع الصفحات بإطار من جملة خطوط بالألوان: الذهبي واللاجوردي، والزنجفري^(٤١)، والأسود.

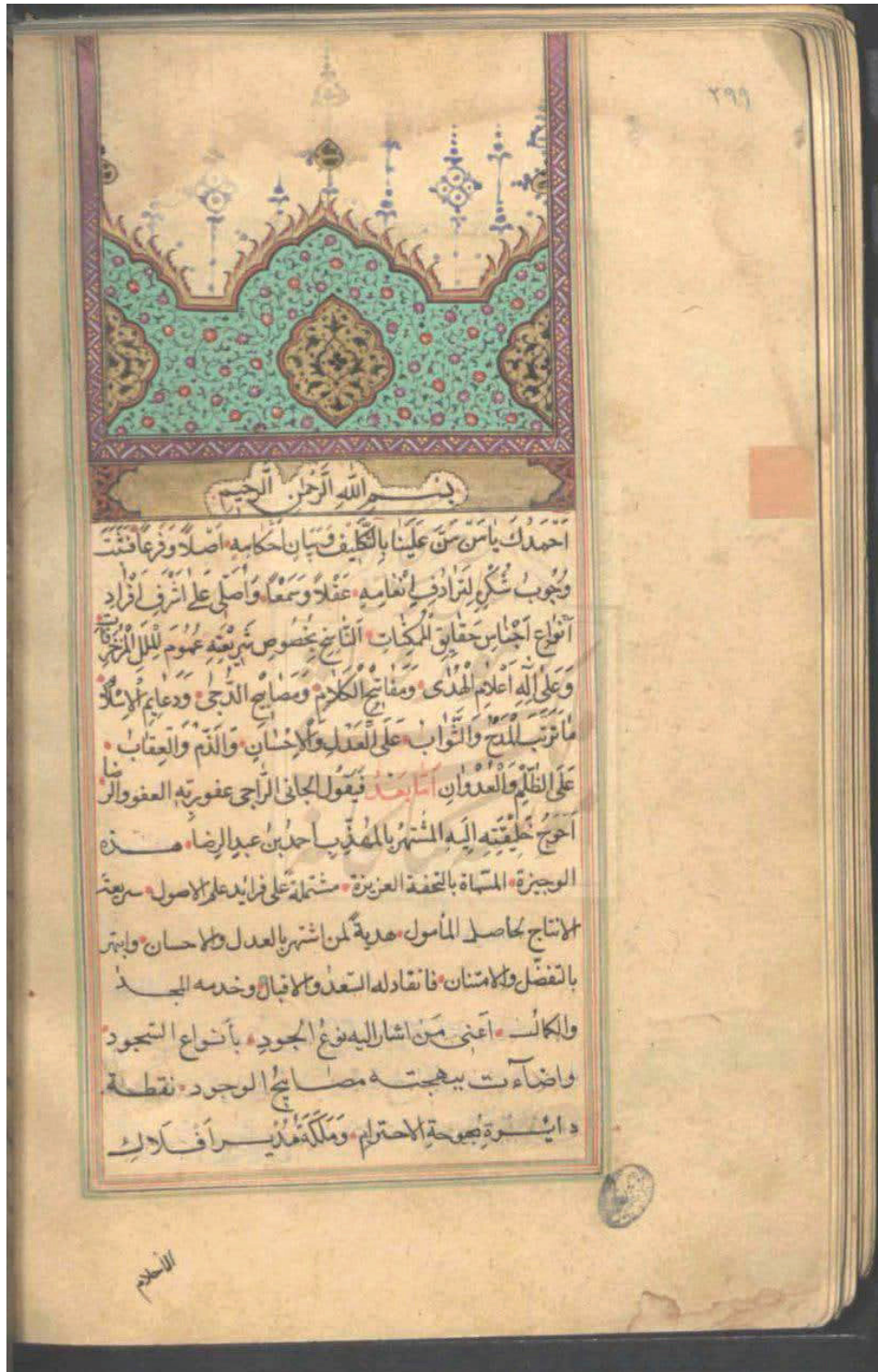
وأما نوع الورق المستخدم، فهو حمضي وحنّي اللون، معالج يدوياً للكتابة.

وبدأ الكتاب بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم

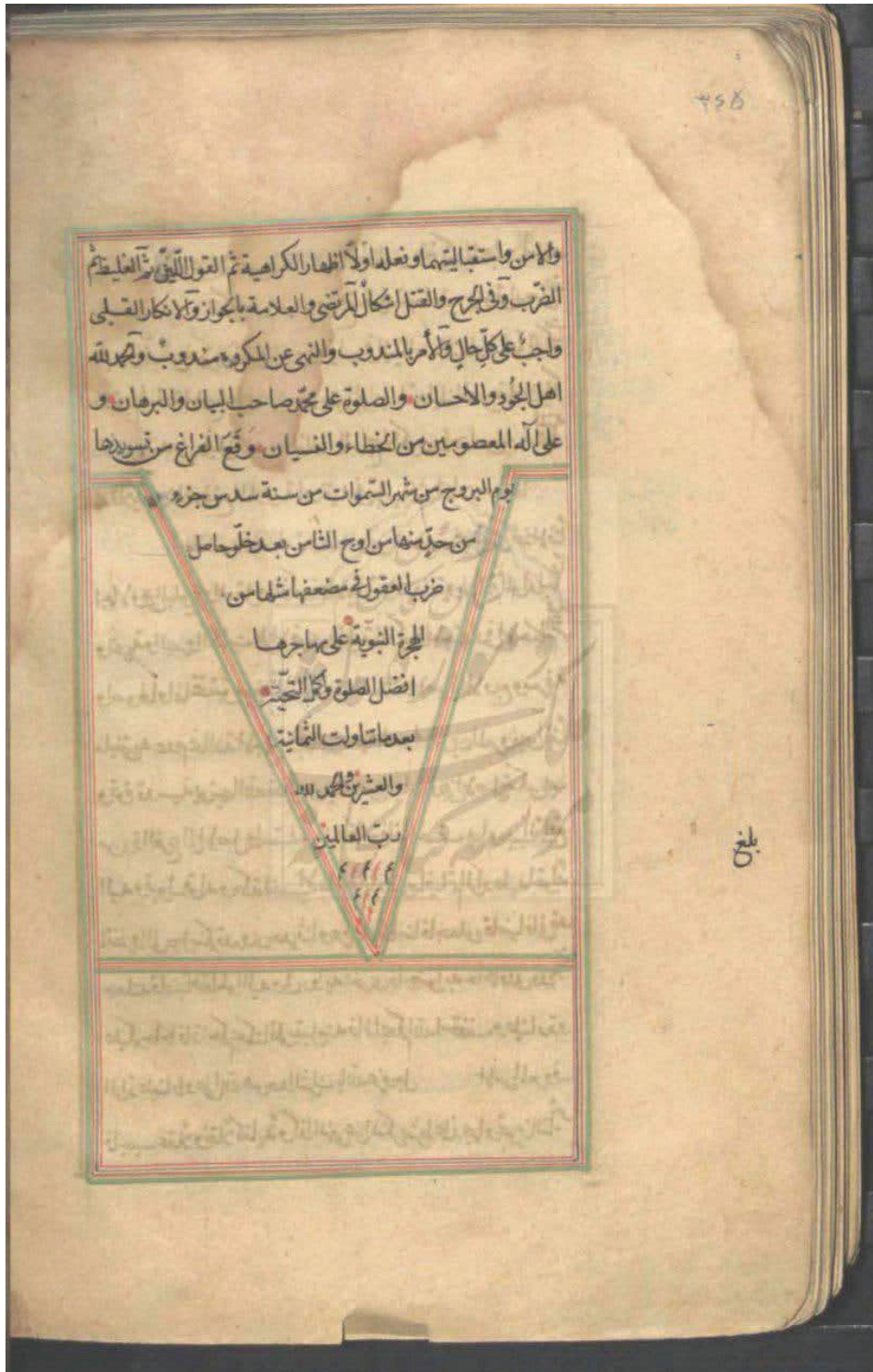
أحمدك يا مَنْ مَنْ علينا بالتكليف وبيان أحكامه، أصلاً وفرعاً، فثبت وجوب شكره لترادف إنعامه، عقلاً وسمعاً، وأصلي على أشرف أفراد أنواع أجناس حقائق الممكنات، الناسخ بخصوص شريعته عموم الملل المزخرفات، وعلى آله أعلام الهدى، ومفاتيح الكلام، ومصابيح الدجى، ودعائم الإسلام، ما ترتب المدح والثواب، على العدل والإحسان، والذم والعقاب، على الظلم والعدوان، أمّا بعد، فيقول الجاني الراجي عفوره العفو والرضا، أحوج خليقته إليه، المشتهر بالمهذب أحمد بن عبد الرضا، هذه الوجيزة المسماة بالتحفة العزيزة، مشتملة على فرائد علم الأصول، سريعة الإنتاج لحاصل المأمول...»^(٤٢).

وأما المطلب محل البحث والدراسة المقارنة، فقد جاء في الصفحة رقم (٣٢٣) من النسخة الخطية من الجهة اليمنى، ونصه: «نزهة قيل الأمر بالموقت يقتضي القضاء، واستدل بأن الوقت كأجل الدين في عدم السقوط بتأخيره وبلزوم أدائه وتسويته لولاه، وبالمطلق والمخصّص بالوقت، ولا يلزم من فوات الثاني فوات الأوّل بالضرورة، والحق أنه لو فات لا يكفي في وجوب قضائه، بل يحتاج إلى

دليل آخر، وفاقاً للشيخ وأكثر المتكلمين والفقهاء؛ لعدم دلالة صم يوم الخميس على صوم غيره بوجه منطوق أو مفهوم، واحتمال اختصاص جهة حسنة به فتفوت، وضعف الاستدلال بلزوم التسوية أو الأداء بين كما نبّه عليه البهائي وغيره، وجواز تقديمه قبل أجله، وعدم الإثم بتأخيره، واشتغال الذمة فارق، واستدراك ما فات يمنع كونه أداء، وعدم التعدّد خارجاً كزيد لا ريب فيه^(٤٣).



الصَّفْحَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَخْطُوطَةِ



الصفحة الأخيرة من المخطوطة

المبحثُ الثاني

اقتضاءُ الأمرِ بالمَوْقُوتِ وجوبُ القضاء

المطلبُ الأوَّلُ

بيانُ المسألة محلَّ البحث، والوجوه والأقوال فيها طبق الطريقة الفنيَّة

للاستنباط

من الواضح أنَّ الكلام لما كان في حكمٍ تكليفيٍّ، فإنَّ الطريقة الفنيَّة للاستنباط تقتضي الانطلاق من أصالة البراءة، فهي المرحلة الأولى من مراحل العمليَّة في المقام وغيره كما نعلم، فالأصل على هذا يقتضي عدم وجوب القضاء لمن فاته الأداء.

نعم، لما كانت البراءة أصلاً عملياً، كان اللازم في المرحلة الثانية من مراحل عمليَّة الاستنباط البحث عن دليل مُحَرِّز على خلافها، وإلَّا، ماكانت حجة كما نعرف، ولهذا، كانت المرحلة الثانية من مراحل عمليَّة الاستنباط هي البحث عن هكذا دليل.

وهنا بالضبط يأتي محلُّ البحث، وتبرز المسألة محلَّ التحقيق، كما يأتي:
تُسمَّى هذه المسألة في كلماتهم بدلالة الأمر بالأداء على الأمر بالقضاء، وبتبعيَّة القضاء للأداء، وغير ذلك من العناوين المشابهة^(٤٤).

والهدف من الكلام في هذه المسألة هو تأسيس قاعدة بالنسبة إلى وجوب الإتيان بالموقت في خارج الوقت إذا فات في الوقت اختياراً أو لعذر، تكون جارية في المرحلة الثانية من مراحل عملية الاستنباط، بحيث تقطع العمل بالأصل العملي.

من الضروري الانتباه إلى أن الكلام هنا في مقتضى هذه القاعدة مع قطع النظر عن الدليل الخاص الدال على القضاء خارج الوقت؛ إذ من الواضح أن الدليل الخاص إذا ورد بوجوب القضاء في مورد ما، فإن من اللازم الأخذ بهذا الدليل؛ باعتباره الدليل الخاص في المورد، فهو الحجة المقدمة على الأصل العملي (البراءة)، وعلى القاعدة التي سنؤسسها هنا، على فرض الوصول إلى عدم دلالة الأمر بالأداء على الأمر بالقضاء خارج الوقت، وهو ما ذهب إليه أكثر المحققين^(٤٥)؛ فإن غاية ما سيثبت هنا هو (عدم الدلالة)، أو (عدم الاقتضاء)، وهذان لا يعارضان دليلاً خاصاً، بل حتى ولا عاماً مطلقاً دالاً على وجوب القضاء.

نعم، لو قلنا بأن دليل الأداء يدل على عدم وجوب القضاء خارج الوقت، لا مجرد عدم اقتضائه للوجوب، فإن المعارضة ستقع بين هذا الدليل والدليل الدال على القضاء، ويجب حينئذ تشخيص الموقف من التعارض، وتكون الفتوى على طبق هذا التشخيص.

وفي المسألة محل البحث أقوال:

الأول: دلالة الأمر بالأداء على وجوب القضاء مطلقاً.

الثاني: عدم دلالة الأمر بالأداء على وجوب القضاء مطلقاً.

الثَّالثُ: التفصيل في الدَّلالة؛ بين ما إذا كانت القرينة على التقيُّد متَّصلة، وبين ما إذا كانت منفصلة، فإذا كانت متَّصلة، فإنَّ كانت القرينة بصورة قضية شرطيَّة، كما لو قال: «إذا زالت الشَّمس، فصلَّ»، فتدُلُّ على عدم وجوب القضاء في خارج الوقت، وأمَّا إذا كانت بصورة قضية وصفية؛ كما في قوله: «صلَّ ما بين الزَّوال والغروب»، فدلالة هذه الجملة على القضاء خارج الوقت، تعتمد على دلالة القضية الوصفية على المفهوم وعدم دلالتها عليه.

وأمَّا إذا كان التقيُّد بقرينة منفصلة، فيدُلُّ الأمر بالأداء على القضاء^(٤٦).
ما تقدَّم كان زبدة الزُّبدة في محلِّ الكلام والوجوه أو الأقوال المطروحة فيه، إلَّا أنَّ المهمَّ في المقام هو بيان قول مهذَّب الدِّين في المقام، ثمَّ بيان رأي صاحب الكفاية، ثمَّ المقارنة بين الرَّاين كما هو واضح.

المطلبُ الثاني

مهذَّب الدِّين وموقفه من المسألة محلَّ البحث

أمَّا المحقِّق مهذَّب الدِّين، فقد ذهب إلى عدم الدَّلالة في المقام، تابعاً في ذلك الشَّيخ الطوسي في العدة^(٤٧)، والبهائي في الزُّبدة^(٤٨)، وأكثر الفقهاء والمتكلِّمين^(٤٩)، مبيناً ذلك عبر خطوتين، سرِّد في أولاهما أدلَّة القائلين بالدَّلالة والاقضاء، وفي الثانية أدلَّة القائلين بخلاف ذلك^(٥٠)، رادّاً لأدلَّة القول الأوَّل، واصلاً إلى نتيجة هي عدم الاقتضاء.

وإليك التفصيل:

أولاً: دليل القول بالاعتضاء في المقام

أمّا دليل القائلين بالاعتضاء، فهو دليلان، كالآتي:

الدليل الأول: إنّ الوقت كأجل الدين في عدم السقوط بتأخيره وبلزوم أدائه وتسويته لو فات.

فإنّه لو فات أجل الدين ووقته، فمن الواضح أنّه لا يسقط؛ لوضوح أنّه حقّ ثابت في ذمّة المدين، وليس من جملة المسقطات فوات الأجل والوقت كما هو واضح، وما نحن فيه من هذا الباب؛ فإنّ الأمر بالمؤقت يُثبت حقّاً لله تعالى في ذمّة المكلف، وهذا الحقّ لا فرق - عرفاً - بينه وبين ثبوت الدين في الذمّة في عدم السقوط بفوات الوقت، فإذا ثبت الحقّ بدليل المؤقت، ثبت في الذمّة.

وإذا ما شككنا في سقوطه بفوات الوقت أو عدم فواته، فإنّه يكفي في هذه الحالة الاستصحاب كما هو واضح؛ وهو يثبت بقاء الحقّ في الذمّة وعدم سقوطه بمجرد فوات الوقت، فيجب القضاء بعين دليل وجوب الأداء، نعم، ببركة الاستصحاب؛ فإنّ دليل الأداء يُثبت الحقّ في الذمّة ليس إلّا.

الدليل الثاني: إطلاق دليل الأداء

وأمّا الدليل الثاني على الاعتضاء في المقام، فهو إطلاق دليل الأداء، وإليك التفصيل:

إنّ دليل الأداء في الوقت، كقوله: «صُم يوم الخميس» مثلاً، إنّما هو أمرٌ واحد ينحلّ في الحقيقة والتأمل إلى أمرين، أولهما: الأمر بالصيام، والآخر: الأمر بتخصيص ذلك الصوم بأن يكون يوم الخميس.

وعلى هذا، فإذا سقط الأمر الثاني بعدم الإتيان بالصوم في وقته المأمور به،

فإنه لا داعي لسقوط الأمر الأول.

وبعبارة أخرى: إنَّ دليل التقيُّد (القرينة) لا يمنع عن إطلاق الدليل الدالّ على وجوب الواجب مطلقاً في الوقت وفي خارجه؛ ما يعني: أنّه على الرُّغم من الدليل الدالّ على التقيُّد، فإنَّ المفهوم عرفاً منه يبقى هو تعدّد المطلوب، بمعنى: كون الفعل مطلوباً مطلقاً، ومطلوباً في الوقت؛ فإذا لم يأتِ المكلف به في الوقت، فعليه أن يأتي به في خارج الوقت، وهذا معنى تبعيّة القضاء للأداء.

وبعبارة ثالثة: الأمر بصلاة الظهر كاشفٌ عن كون الأمر بالأداء على نحو تعدّد المطلوب؛ بكون الإتيان بالمأمور به مطلوباً، وإتيانه في وقته مطلوباً آخر، وعند فوت إتيانه في وقته، يكون إتيانه على نحو الإطلاق مطلوباً بالأمر الأول؛ بدلالة الأمر بالقضاء عليه، حينئذٍ.

وإلى هذا الدليل أشار المهذّب بقوله: «وبالمطلق والمخصّص بالوقت، ولا يلزم من فوات الثاني فوات الأوّل بالضرورة».

ثانياً: دليل القول بعدم الاقتضاء في المقام

والحقّ - عند المهذّب - أنّه لو فات وقتُ الأداء، فإنَّ دليل الأداء لا يكفي في وجوب قضاء الواجب الذي فات خارج الوقت، بل يحتاج إيجاب القضاء إلى دليل آخر؛ وفاقاً للشيخ الطوسي وأكثر المتكلِّمين والفقهاء؛ وذلك لما يأتي:

الدليل الأوّل: عدم دلالة مثل قوله: «صم يوم الخميس» على صوم غير هذا اليوم قضاء لما فات، لا من حيث المنطوق؛ كما هو واضح، ولا من حيث المفهوم، هذا إذا لم نقل طبعاً بمفهوم الجملة المتقدّمة في عدم وجوب القضاء خارج الوقت، وإلّا، كان المفهوم بنفسه دليلاً آخر على عدم وجوب القضاء، لا

لمجرد عدم الدلالة عليه من قبل دليل الأداء.

الدليل الثاني: احتمال اختصاص جهة حسنة بالموثقة تفوت بفوات وقته وبيانه: أن الأحكام - كما هو الثابت - تابعة للملاكات والمصالح والمفاسد في متعلقاتها، فإذا جاء قوله مثلاً: «صُم رمضان»، فإن الظاهر - عرفاً - من هذا الدليل، هو تعلّق المصلحة بتمامها بصيام رمضان، وأمّا أن هناك مصلحة في قضاء الصيام، أي: في غير رمضان، فهذا لا يدلُّ عليه القول السابق، وما لم تثبت المصلحة، فلا وجوب، ولا قضاء.

من الواضح أنه يكفي احتمال اختصاص المصلحة بالعمل في الوقت؛ فإنه ممّا يلزم منه عدم إحراز المصلحة في القضاء، وهذا يكفي في عدم الحكم بوجوبه خارج الوقت.

الدليل الثالث: ضعف الاستدلال بلزوم التسوية أو الأداء

وأما الدليل الثالث للمهذب في المقام، فهو في الحقيقة تضعيف ما جاء في الدليل الأول من أدلة القول بالاقتضاء المتقدمة الذكر. وتفصيله: لو سلّمنا ما جاء في الاستدلال المتقدم الذكر بالنسبة إلى الدين، فإننا نمنع عدم الفارق بينه وبين ما نحن فيه من المسألة محلّ البحث؛ فإنّ هناك عدّة جهات مختلفة بين المقامين، وكلُّ تلك الجهات تُعدّ فارقاً بين الموردين؛ بحيث يحكم العرف بالفرق بينهما، ويمنع من تسوية ما جاء في الدين إلى ما نحن فيه من المسألة.

ومن هذه الجهات الفارقة:

١ - جواز تقديم أداء الدين قبل أجله ووقته.

إذ من الواضح أنه لا منع -فقهياً- من أداء الدين قبل حلول الأجل، بينما لا يجوز تقديم أداء الواجب المؤقت قبل الوقت؛ فصلاة الظهر لا يجوز تقديمها على الزوال، وهكذا الصَّيام.

من الواضح أننا لا نتكلّم عن جواز التقديم في بعض الموارد بدليل خاصّ على الجواز؛ فقد تقدّم أنّ الكلام إنّما هو في دلالة دليل الواجب المؤقت ليس إلّا. وهذا فرق فارق -عرفاً- بين الدين ما نحن فيه.

٢- عدم الإثم بتأخير أداء الدين.

إذ لم يثبت الإثم والعقوبة الأخروية على التأخير بالنسبة إلى الدين، وإن كان هناك عقوبة، فهي عقوبة وضعيّة ليس إلّا، إمّا بالحبس مثلاً، أو بإجباره على الأداء، أو بإعلانه مفلساً مثلاً، ويُحجر عليه لذلك، أو بغير ذلك من العقوبات، وأمّا الإثم والعقوبة الأخروية، فلا.

وأمّا ما نحن فيه، فمن الواضح أنّ المكلف إذا لم يؤدّ مع التمكن، فإنّه سيكون مأثوماً.

والفرق المتقدّم يكفي في حكم العرف بالفرق بين الدين وبين ما نحن فيه، فيمنع من تسرية أحكام الدين إلى المسألة محلّ البحث.

٣- اشتغال الذمّة بالدين.

وأمّا الفرق الثالث الفارق بين الدين وما نحن فيه؛ فهو أنّنا نعلم أنّ الذمّة في مورد الدين قد اشتغلت بالدين، وكذا نعرف أنّ الدين ليس من مُسقطاته عدم الأداء عند حلول الأجل، وبعبارة أخرى: نعلم بأنّ الذمّة قد اشتغلت بها لا يسقط لو لم يؤدّ عند الأجل، ولو شككنا في السقوط، فإنّ الجاري في هذه الحالة

الاستصحاب، الذي يقتضي بقاء الاشتغال، وعدم فراغ الذمة، فيجب القضاء. وهذا يختلف تماماً عما نحن فيه؛ فإن الذي نعلمه هو مجرد دخول صلاة الظهر في الذمة، ووجوبها أداء، ولا نعرف أن هذا الذي اشتغلت به الذمة من نوع الواجب الذي يبقى لو خلى وطبعه، بحيث لا يسقط عن الذمة إلا بعلة ما. وبعبارة أخرى: كل ما نعلمه هو ثبوت الواجب في الذمة في الوقت، وأما غير ذلك، فليس محرزاً بحيث لنا أن نستصحبه بعد انتهاء الوقت، فنوجب القضاء.

الدليل الرابع: الفرق بين الأداء والقضاء عرفاً

وأما الدليل الرابع على عدم دلالة دليل الأداء على القضاء، فهو الفرق بين الأداء والقضاء عرفاً؛ فإن الأداء هو الإتيان بالمطلوب في الوقت المحدد له، وأما القضاء، فهو يختلف عن ذلك تماماً؛ فإنه الإتيان بالعمل المطلوب خارج الوقت، أو عبر بقولك: هو استدراك لما فات في وقته، وهذا يختلف عن ذاك عرفاً؛ ولذا يسمونه (تداركاً)، لا (أداء).

فإذا دل دليل على وجوب الأول، فإنه لا يدل عرفاً على الثاني، بل ليس له أية إشارة إليه، فيكون من قبيل الاستدلال بالدليل الأجنبي على المطلب، فالاستدلال بدليل الأداء على القضاء استدلال بدليل أجنبي تماماً.

الدليل الخامس: عدم التعدد خارجاً لا ريب فيه

وأما الدليل الخامس في المقام، فهو في حقيقته أيضاً ردُّ للدليل الثاني المتقدم على الدلالة والاقضاء؛ إذ مردُّ ما ذكر هناك، والأساس الذي يقوم عليه ذلك الاستدلال كما اتضح في بيان الدليل، هو أن دليل الأمر المؤقت ينحلُّ إلى حصتين من الأمر، وهما: الأمر بالعمل في الوقت، والأمر به خارجه، وإن شئت، فعبر

بقولك: الأمر بالمؤقت يدلُّ على تعدُّد المطلوب.

وإذا تبَيَّنَ ذلك الأساس، اتَّضَحَ الطريقُ إلى ردِّ ذلك الاستدلال؛ فإنَّه في الحقيقة رفض الدَّلالة المتقدِّمة الذكر.

وليس ردُّنا لتلك الدَّلالة أمراً اعتباطياً أو ارتجالياً لا يقوم على أساس؛ فإنَّ من الواضح أنَّ النزاعَ في المقام لو وقع، فإنَّ المرجعَ فيه هو الفهم العرفي، ففي المثال الذي ضربناه للمقام، وهو «صم يوم الخميس»، العرف عندما ينظر إلى هذا الدَّليل، لا يفهم منه أبداً التعدد، وإنَّما يفهم أمراً واحداً بالمقيّد؛ فإنَّ التقييد بكون الصَّوم يوم الخميس يعين ذلك الفهم العرفي المزبور؛ فإنَّ ذلك التقييد يكشف عن المراد النَّهائيَّ من الدَّليل، وأنَّه خصوص المقيّد، فتكونُ النتيجة في المقام كما لو أمر أمرٌ بإكرام زيد؛ فكما أنَّه لا يدلُّ إلّا على الأمر بأمر واحد هو إكرام زيد لا غير، فكذلك في ما نحن فيه، ففي الخارج ليس هناك إلّا أمر واحد هو صوم يوم الخميس لا غير^(٥١).

وعلى هذا، فالموقف النَّهائيُّ للمهذَّب هو عدم الاقتضاء، وعدم دلالة الأمر بالأداء على القضاء خارجه، ما يعني: أنَّ الفتوى ستكون عدم القضاء؛ وذلك رجوعاً إلى أصالة البراءة، التي قلنا بأنَّها المنطلق للفقيه في الحكم التكليفي.

نعم، كما تقدَّم، فإنَّه لو جاء دليل خاصٌّ على القضاء في مورد من الموارد، فإنَّنا مع هذا الدَّليل؛ فإنَّه لن يدع محلاً لعمل الأصل العملي؛ برفعه للشكِّ كما هو واضح، إلّا أنَّه خروج بدليل خاصٍّ، ونحن نتكلَّم عن مقتضى القاعدة كما تقدَّم بيانه.

المطلب الثالث

صاحب الكفاية وموقفه من المسألة محل البحث

وأما الآخوند الخراساني، فقد اختار أنه لا دلالة للأمر بالوقت بوجه من وجوه الدلالة، لا لغة، ولا عرفاً على وجوب القضاء، فهو الموقف نفسه الذي اتخذته المذهب قبله.

وكما فعلنا مع المذهب، فنقلنا كلماته بنصها أولاً، ثم أوضحنا المراد، فإننا سنعمل ذلك مع الآخوند، فنقل لك كلماته بنصها هنا أولاً، ثم نعرض إلى التفصيل والتوضيح.

قال **فتاوى** في الكفاية: «ثم إنه لا دلالة للأمر بالوقت بوجه على الأمر به في خارج الوقت بعد فوته في الوقت، لو لم نقل بدلالته على عدم الأمر به. نعم، لو كان التوقيتُ بدليل منفصل، لم يكن له إطلاقٌ على التقييد بالوقت، وكان لدليل الواجب إطلاقٌ، لكان قضية إطلاقه ثبوت الوجوب بعد انقضاء الوقت، وكون التقييد به بحسب تمام المطلوب، لا أصله.

وبالجملة، التقييد بالوقت كما يكون بنحو وحدة المطلوب، كذلك ربما يكون بنحو تعدد المطلوب، بحيث كان أصل الفعل ولو في خارج الوقت مطلوباً في الجملة، وإن لم يكن بتمام المطلوب، إلا إنه لا بد في إثبات إنه بهذا النحو من دلالة، ولا يكفي الدليل على الوقت إلا في ما عرفت، ومع عدم الدلالة، فقضية أصالة البراءة عدم وجوبها في خارج الوقت، ولا مجال لاستصحاب وجوب الوقت بعد انقضاء الوقت، فتدبر جيداً^(٥٢)».

هذه هي الكلمات، وإليك بيانها، وتوضيح المراد بها:

إِنَّ التَّوْقِيتَ، تَارَةً، يَكُونُ بِدَلِيلٍ مُتَّصِلٍ، كَأَن يَقُولَ: «صَلِّ فِي مَا بَيْنَ دُلُوكِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا»، أَوْ كَمَا جَاءَ فِي مِثَالِ الْمُهَذَّبِ: «صُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ»، وَأُخْرَى، يَكُونُ بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، كَأَن يَقُولَ: «اغْتَسِلَ»، ثُمَّ يَرُدُّ دَلِيلًا عَلَى وَجوبِ الْغُسْلِ فِي وَقْتٍ خَاصٍّ، كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ مِثْلًا.

فَإِذَا كَانَ بِدَلِيلٍ مُتَّصِلٍ، فَإِنَّهُ لَا دَلَالَهَ لِلتَّوْقِيتِ عَلَى وَجوبِ الْقَضَاءِ؛ إِذْ لَا يَدُلُّ الْأَمْرُ عَلَى كَيْفِيَّةِ دَخْلِ الْوَقْتِ فِي الْمَصْلَحَةِ الْمَوْجِبَةِ لِلْأَمْرِ بِالصَّيَامِ؛ فَلَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ دَخِيلٌ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الصَّيَامِ؛ بَحِثْ لَا تَبْقَى آيَةٌ مَرْتَبَةً تَوْجِبُ الصَّيَامَ خَارِجَ الْوَقْتِ؛ وَلَا عَلَى أَنَّهُ دَخِيلٌ فِي بَعْضِ مَرَاتِبِهِ؛ بَحِثْ يَبْقَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ مَرْتَبَةٌ تَوْجِبُ تَشْرِيعَ الْوَجوبِ بَعْدَ الْوَقْتِ، وَتَكُونُ النَتِيجَةُ: إِنَّهُ يَشْكُ فِي الْوَجوبِ بَعْدَ الْوَقْتِ، وَالْأَصْلُ يَقْتَضِي عَدَمَهُ إِنْ لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى الْوَجوبِ، وَإِلَّا، فَهُوَ الْمَتَّبِعُ. هَذَا إِذَا لَمْ نَقْلُ بِمَفْهُومِ الْوَصْفِ، وَإِلَّا، فَيَدُلُّ التَّوْقِيتُ عَلَى عَدَمِ الْوَجوبِ بَعْدَ الْوَقْتِ؛ عَمَلًا بِالْمَفْهُومِ؛ فَإِنَّهُ انْتِفَاءُ سَنَخِ الْحُكْمِ عِنْدَ انْتِفَاءِ الْوَصْفِ كَمَا نَعْلَمُ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ التَّقْيِيدُ بِدَلِيلٍ مُنْفَصِلٍ، كَمَا فِي الْمَثَالَيْنِ الْمُتَقَدِّمَي الدِّكْرِ، فَلَا يَخْلُو الْحَالُ عَنْ أَرْبَعِ حَالَاتٍ:

الأولى: ثُبُوتُ الْإِطْلَاقِ لِكُلِّ مِّنْ دَلِيلِي الْوَاجِبِ وَالتَّقْيِيدِ.

أَمَّا إِطْلَاقُ دَلِيلِ الْوَاجِبِ، فَبِمَعْنَى: أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْوَجوبِ فِي الْوَقْتِ وَفِي خَارِجِهِ، أَوْ عَبَّرَ بِقَوْلِكَ: إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَعَدُّدِ الْمَطْلُوبِ.

وَأَمَّا إِطْلَاقُ دَلِيلِ التَّوْقِيتِ، فَبِمَعْنَى: دَخَالَةِ الْوَقْتِ فِي جَمِيعِ مَرَاتِبِ الْمَصْلَحَةِ، وَمَقْتَضَاهُ: الْوَجوبُ فِي الْوَقْتِ فَقَطْ، دُونَ خَارِجِهِ؛ لِفَرْضِ انْتِفَاءِ الْمَصْلَحَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْإِجَابِ بِخُرُوجِ الْوَقْتِ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ وَحْدَةِ الْمَطْلُوبِ.

والمُتقدِّم في هذه الحالة الأولى إطلاق دليل التقييد؛ من باب الحكومة، ما يعني: أنَّ النتيجة ستكون الحكم بعدم وجوب القضاء بعد الوقت.
الثانية: عدم إطلاق لشيءٍ من الدليلين؛ بأنَّ كانا مهمَّلين.
والمرجع في هذه الحالة الثانية الأصل العملي، وهو أصل البراءة عن وجوب القضاء.

الثالثة: إطلاق دليل الواجب، وإهمال دليل التوقيت.
الرابعة: عكس الحالة الثالثة؛ بأنَّ يكون دليل التوقيت مطلقاً، ودليل الواجب مهملاً.

والمرجع في هاتين الحالتين: الإطلاق، ففي الأولى، يحكم بالوجوب بعد خروج الوقت، وفي الثانية بعدم الوجوب بعده؛ لاقتضاء إطلاق دليل التوقيت انتفاء المصلحة رأساً، فلا موجب لوجوبه بعد الوقت.
ونتيجة الحالات الأربع المتقدمة الذكر، هو أنَّ التقييد بالوقت كما قد يكون بنحو وحدة المطلوب، كذلك قد يكون بنحو تعدُّد المطلوب.

إلا أنَّ ظاهر دليل التوقيت كسائر أدلة التقييدات هو كون القيد دخیلاً في جميع مراتب المصلحة، فبانتفائه، تنتفي المصلحة بتمام مراتبها، فيكون التوقيت من باب وحدة المطلوب، فدخل الوقت في بعض مراتب المصلحة بحيث يكون من باب تعدُّد المطلوب خلاف ظاهر دليل التوقيت، فلا بدَّ في الدلالة عليه من التماس دليلٍ آخر مستقلٍّ غير دليل التوقيت، ولا يكفي الدليل على الوقت لوحده.

ومع عدم الدلالة، فقضيَّة أصالة البراءة عدم وجوبه في خارج الوقت؛ إذ

مع عدم الدليل على تعدّد المطلوب، يُشكُّ في وجوبه بعد الوقت، فتجري فيه البراءة؛ لكونه من الشكِّ في التكليف.

فتحصّل ممّا تقدّم: أنّ الأصل مرجع إذا لم يكن هناك دليل على كون التقييد بنحو تعدّد المطلوب، ومعه، كما إذا كان لدليل الواجب إطلاق، وكان دليل التوقيت مهملاً، فيرجع إلى الإطلاق القاضي بوجوب القضاء في خارج الوقت، كما لا يخفى.

ولا مجال لاستصحاب وجوب الموقّت بعد انقضاء الوقت.

أمّا تقريب جريان الاستصحاب، فهو أن يقال: إنّ وجوب صلاة الظهر -مثلاً- كان قبل غروب الشّمس معلوماً، فيستصحب وجوبها بعد غروبها، فهذا الاستصحاب الحكميّ يثبت وجوبها بعد الوقت، ومعه، لا تجري البراءة؛ لحكومته عليها.

وأما عدم المجال لجريان الاستصحاب هنا، فوجهه: انتفاء الموضوع، وهو الوجوب المقيّد بالوقت، ولا أقلّ من الشكِّ في بقاءه، المانع عن جريان الاستصحاب؛ فإنّ التمسك بدليل الاستصحاب مع الشكِّ في بقاء الموضوع تشبّه بالدليل في الشبهة الموضوعيّة، وهو غير جائز على المشهور والمختار.

المطلب الرابع

المقارنة بين العَلَمين

بعد أن انتهينا من نقل الكلمات، وتوضيحها، تصل النوبة إلى المقارنة بين العَلَمين، ولما كانت المقارنة لا تتمّ بدون معايير ومقاييس ثابتة، ولاهتمامنا

بالجانب التعليميِّ التعلُّميِّ، فإنَّنا سنختار المجالَّ المعرفيَّ من مجالات التعلُّم الثلاثة المعروفة بمستوياته السِّتَّة، ليكون معياراً للمقارنة، ولما كان هذا الهدف ممَّا لا يمكنُ الوصولُ إليه وبيانه بياناً بحيث يستفيد منه المخاطب، ويكون له موقف واضح منه، بدون توضيح ولو مختصر لمجالات التعلُّم بصورة عامَّة، والمجال المعرفيِّ بصورة خاصَّة، فلا بدَّ من تعرُّض إجماليٍّ لهذا المجال، فنقول:

أولاً: مجالات التعلُّم

هناك ثلاثة مجالاتٍ للتعلُّم يجبُ الالتفاتُ إليها كلّاً أو بعضاً في أيَّة عمليَّة تعليميَّة:

١- المجال المعرفيِّ.

٢- المجال النفس حركيِّ (المهاريِّ).

٣- المجال الوجدانيِّ (العاطفيِّ، التربويِّ).

أمَّا المجال المعرفيِّ، فهو المجال الذي يُخاطب الجانب الإدراكيِّ عند المتعلِّم. وأمَّا المجال النفس حركيِّ، فيخاطب الجانب الحركيِّ أو المهاريِّ عند المتعلِّم. وأخيراً: المجال الوجدانيِّ يُخاطب الميول، والعواطف، والاتجاهات عند المتعلِّم.

والمجالات السَّابقة هي المجالات التي تُصاغ على أساسها الأهداف الثلاثيَّة للتعليم، ما يبرِّر ضرورة الاهتمام بها بجديَّة، وبناء عمليَّة التعليم على أساسها^(٥٣).

ثانياً: مجالات الأهداف السلوكيَّة

صنِّفت الأهداف السلوكيَّة (التعليمية) إلى ثلاثة أصناف؛ اعتماداً على طبيعة

المجال الذي تهتمُّ به، وهي حسبَ النقاطِ الثلاثةِ الآتية:

النقطة الأولى: المجال المعرفي

ويسمَّى أيضاً بالجانبِ العقليِّ، أو الإدراكيِّ؛ إذ تختصُّ الأهداف في هذا المجال بتطوير القدرات العقلية التي تستخدم المعلومات والحقائق والمصطلحات، فهي تهتمُّ بنتائج التعليم الفكرية، ويمثِّل العقل محورَ مُدخلاتها ومُخرجاتها. ويحتوي المجال المعرفيُّ على ستَّة مستويات، تبدأ بالقدرات العقلية البسيطة، وتنتهي بالمستويات الأكثر تعقيداً، وهي باختصار كما يأتي:

١ - المعرفة

وهي: القدرة على تذكُّر واسترجاع المعلومات الصحيحة، وتكرارها، أو التعرُّف عليها دون تغيير يذكر.

ويتضمَّن هذا المستوى جوانبَ معرفيةً مختلفةً، منها: معرفة الحقائق المحددة، مثل: معرفة تعريف الحكم الوضعيِّ أو التكليفيِّ للمعاملة مثلاً. ومعرفة المصطلحات الفنية المختلفة، وهو ما يعرف بـ (اللُّغة التخصصية)، وغير ذلك. مثل: معرفة مصطلح (النَّبويِّ)، أو (مبنى جبر السَّند بعمل الأَصحاب)، وغيرهما من المصطلحات.

٢ - الفهم والاستيعاب

وهو: القدرة على تفسير أو إعادة صياغة المعلومات التي حصلها الطالب في مستوى المعرفة بلغته الخاصَّة.

والفهم في هذا المستوى يشمل: الترجمة، والتفسير، والاستنتاج.

٣- التطبيق

وهو: القدرة على استخدام أو تطبيق المعلومات والنظريات والمبادئ والقوانين في موقفٍ جديدٍ. من قبيل: ما أكدنا عليه في مؤلفاتنا المختلفة، وهو تعليم عملية الاستنباط؛ من خلال بيان مراحلها في كل مسألةٍ مسألةٍ، وهو ما سمّيناه بالطريقة الفنية للاستنباط.

٤- التحليل

وهو: القدرة على تجزئة أو تحليل المعلومات أو المعرفة المعقدة إلى أجزائها التي تتكوّن منها، والتعرّف على العلاقة بين الأجزاء. وتتضمّن القدرة على التحليل بدورها ثلاثة مستويات: تحليل العناصر، وتحليل العلاقات، وتحليل المبادئ التنظيمية.

٥- التركيب

وهو: القدرة على جمع عناصر أو أجزاء لتكوين كل متكامل أو نمط أو تركيب غير موجود أصلاً، كجمع عناصر مختلفة من خلال استعراض التعريف اللغوي وتعريف مختلفة للفقهاء وما يرد عليها، وصولاً إلى تعريف نختاره للبيع مثلاً.

٦- التقويم

وهو: القدرة على إصدار أحكام حول قيمة الأفكار أو الأعمال والحلول وفق معايير أو محكّات (محكّات) معيّنة، من قبيل: تقويم عملية جمع بين روايات متعارضة، أو تقويم مبنى من المباني التي يتبنّاها أحد الفقهاء^(٥٤).

النقطة الثانية: المجال المهاريُّ

ويُطلق عليه أيضاً (النفس حركي)، و(الحسي حركي)، و(الأدائي)، ويُشير إلى: المهارات التي تتطلب التنسيق بين عضلات الجسم - كما في الأنشطة الرياضيَّة - للقيام بأداء معيَّن، بغية تطويرها وتنميتها. ويتكوَّن هذا المجال من مستويات متنوِّعة أيضاً، يشمل (مهارات التواصل)، التي تفيد الطالب في توصِّله إلى المعلومات، أو توصيله لها في المستقبل عندما يصبح أستاذاً^(٥٥).

النقطة الثالثة: المجال الوجدانيُّ

ويُطلق عليه أيضاً (المجال العاطفي)، و(المجال الإنفعالي). ويحتوي هذا المجال على النزعات النفسيَّة الانفعاليَّة الضَّروريَّة لتكامل نماء الشخصية البشريَّة^(٥٦)، وله مستويات متعدِّدة، هي: الاستقبال، والاستجابة، وإعطاء القيمة، والتنظيم حسب القيم مثلاً^(٥٧).

المقارنة على أساس المجال المعرفيِّ

ولنعد -الآن- إلى ما كان الهدف والغرض من بيان المجالات والمستويات المتقدِّمة الذِّكر، وهو المقارنة على أساس المجال المعرفيِّ بمستوياته المختلفة:

أولاً: على أساس مستوى المعرفة

أمَّا بالنسبة إلى هذا المستوى، فإنَّنا نرى أنَّ كلاً من العَلَمين كان له ما يختلف فيه عن الآخر؛ ففيما وجدنا أنَّ المَهْذَّب يُشير إلى مسألة الاستدلال بالدِّين، وقياس ما نحن فيه على تلك المسألة، ويهتمُّ بهذا الدَّلِيل كثيراً، لا نجد أيَّ ذكر

لهذه المسألة في كلام الأخوند.

وفي المقابل، نرى اهتماماً خاصاً من قبل الأخوند بمسألة لم ترد في كلام المهذب، وهي التفصيل الذي تعرّض له بالنسبة إلى ما يحقق التقيّد بالوقت؛ أقصد: كيفية التقيّد، من كونه مرّة بقرينة متّصلة، ومرّة بقرينة منفصلة.

ومن جملة ما يختلف فيه الأخوند في هذا المستوى عن المهذب، هو إشارته الواضحة إلى دور الأصل العمليّ، سواء أصالة البراءة، وهي المنطلق في عملية الاستنباط للحكم التكليفيّ كما مرّ، أو الاستصحاب، الذي أشار إلى عدم جريانه في المقام؛ لعدم تحقّق ركن اتّحاد القضية المتيقّنة والمشكوكة فيه.

لا أقول هنا: إنّ المهذب لم يُشر إلى أصل قضية الأصل العمليّ وأنّه البراءة، وإنّما أقول: إنّّه لم يُشر إلى ذلك بذلك الوضوح الذي كانت عليه عبارة الأخوند، كيف وقد جاء في عبارة المهذب أنّ نتيجة ما نحن فيه إنّ كانت عدم الاقتضاء، ولم يتمّ للمدّعين ذلك، فإنّ الموقف هو لزوم وجود دليل آخر لكي يجب القضاء؟! فإنّ هذا يُشير إلى أصالة البراءة.

إلا أنّ ما يُحسب للمهذب ونحن نتكلّم عن مستوى المعرفة، هو انتباهه إلى مسألة تبعيّة الأحكام للمصالح والمفاسد، وأنّ الحكم لكي يثبت، فلا بدّ من ثبوت ملاكه، وهو هنا المصلحة؛ فإنّه ما لم يكن مصلحة، فإنّه لا وجوب.

من الواضح أنّ الأخوند قد أشار إلى هذه المسألة أيضاً كما تقدّم بالتفصيل، إلّا أنّه لا بدّ من التوجّه إلى أنّ الأخوند ولد في (١٨٣٩م - ١٢٥٥هـ)، وتوفيّ عام (١٩١١م - ١٣٢٩هـ) بينما المهذب كما تقدّم توفيّ أواخر القرن الحادي عشر، فبين الرّجلين أكثر من قرن ونصف، تقدّم فيها علم الأصول وقفز قفزات شاسعة،

ويشمل ذلك مسألة حقيقة الحكم الشرعي، وتبعيته للملاكات، وعلاقة الأحكام فيما بينها، إلى غير ذلك من التفاصيل، التي لم تكن حاضرة أبداً زمان المهذب، وسيأتي بعض الكلام عن هذا الموضوع بعد ذلك.

وكذا يُحسب للمهذب تناوله للمسألة من وجهة نظر مقارنة؛ إذ لم يكتفِ بطرح نظره الخاص كما فعل الآخوند في المقام، وإنما تناول رأي الآخرين في المسألة، سواء أكانوا من المعارضين، الذين بيّن رأيهم وأدلتهم في المقام، أم الموافقين؛ فقد ذكر أنّ رأيه جاء موافقاً للشيخ وأكثر المتكلمين، وكذا ذكر ما ذهب إليه الشيخ البهائي في عدم صحّة الاستدلال بمسألة الدين وما يجري فيها وقياس ما نحن فيه على تلك المسألة.

ثانياً: على أساس مستوى الفهم

وأما المقارنة بين العلمين على أساس مستوى الفهم، فإنّ من المعروف ما عليه عبارة الكفاية في هذا المجال؛ فإنّها معروفة بالجفاف والتعقيد، وأنّها من العبارات التي تحتاج إلى توضيح، ثمّ إلى توضيح، وما نحن فيه من هذا القبيل؛ فإنّ العبارة التي تقدّم نقلها شاهداً واضحاً على ذلك.

وأما عبارة المهذب، فإنّها وإن لم تخل من احتياج إلى توضيح، إلا أنّها لا نسبة بينها وبين عبارة الكفاية في هذا المجال.

هذا بالنسبة إلى مستوى الفهم من زاوية المخاطب المتلقّي للمعلومة، وأما من زاوية المتكلّم، فإنّ الحقّ أنّ العبارتين تعكسان فهماً راقياً للمعلومات ذات العلاقة بالمسألة محلّ البحث، مع الأخذ بنظر الاعتبار المستوى الذي يعيشه كلّ من العَلَمَيْن كما تقدّم.

إلا أننا قد لا نبالغ إذا ما قلنا بأن ما تمتع به المهذب مع الأخذ بنظر الاعتبار ما كان يعيشه من ظروفٍ علميةٍ وغيرها، يتجاوز ما كان عليه الآخوند في المقام؛ فقد عكست عبارته في المقام فهماً عالياً، وإدراكاً دقيقاً، ووقوفاً تفصيلياً على ما كان عالمُ الأصول عليه في زمانه.

ثالثاً: على أساس مستوى التطبيق

قلنا: إنَّ المقصود بهذا المستوى: هو القدرة على استخدام أو تطبيق المعلومات والنظريات والمبادئ والقوانين في موقفٍ جديدٍ، ومن الواضح ما تمتع به العلمان في مجال مستوى التطبيق؛ إذ هو أمرٌ واضحٌ جداً من عبارتيهما على وجازتهما؛ فإنَّ كلَّ واحدةٍ منهما عكست كماً كبيراً من المعلومات التي هي تطبيق لمواقف علميةٍ مرَّ بها العلمان في ما نحن فيه من مسألة.

أمَّا بالنسبة إلى المهذب، فإنَّ عبارته مليئةٌ بالتطبيقات؛ منها: المنطقية، كمسألة الدَّالَّتين: المطابقة والالتزامية؛ حين تعرَّضه إلى عدم الدَّلالة في المقام لا من ناحية المنطوق، ولا من ناحية المفهوم مثلاً.

وكذا من الناحية العرفية والفهم العرفي؛ عندما أبرز من الاختلافات بين مسألة الدَّين وما نحن فيه من اقتضاء دليل الأداء لوجوب القضاء الكثير؛ مثبتاً بذلك حكمَ العرف بالفرق بين البابين، ما يقتضي الفرق في الحكم بينهما، وأنَّ ما يجري على أحدهما لا يمكن إسراؤه إلى الثاني؛ بسبب الفرق عرفاً.

وكذا من الناحية الأصولية؛ ويكفي في ذلك الإشارة إلى مسألة عدم دلالة الأمر بالمؤقت على تعدد المطلوب، وإنَّما هو مطلوب واحد في النهاية.

وأمَّا بالنسبة إلى الآخوند، فإنَّه لم يضعف عن مجارة صاحبه في المقام، بل

جاءت عبارته مليئة كأختها عبارة المهذب بتطبيقات من علوم شتى، وهي شبيهة بما عرضناه في عبارة المهذب، فلا نحتاج إلى الإعادة.

رابعاً: على أساس مستوى التحليل

وأما على أساس مستوى التحليل، فإن الإنصاف أن العلمين لم يقصرا فيه أبداً؛ فقد جاءت عبارة كل من الرجلين تنضح بالتحليلات الجميلة من صنوف مختلفة متنوعة؛ من قبيل: تحليل المسألة كلها إلى عناصرها الأوليّة، أعني: عناصر القياس الاستنباطي في المقام، وهي بصورة عامة المقدمات والنتيجة. فقياس ما نحن فيه على مسألة الدين القضية التي أشار إليها المهذب تشتمل على قياس كامل بعناصر كاملة كما مرّ في التوضيح.

وتحليل إمكان القول بالدلالة إلى قيوده أو شروطه الثلاثة عند الآخوند، مثال واضح لمستوى التحليل الذي نتكلم عنه هنا.

إلى غير ذلك من عمليات تحليل تتمتع بها الفكران الخلاّقان للمهذب والآخوند رحمهما الله تعالى.

إلا أن الإنصاف يقتضي هنا أيضاً أن نعترف للآخوند بأن له قصب السبق في المقام؛ فإن عبارته تعكس فكراً محللاً خلاّقاً من الطراز الأوّل؛ يكفي في ذلك ما طرحه من تحليل دقيق وهو يتناول كيفة التقييد؛ إذ قد يكون بقرينة متصلة كما يمكن أن يكون بمنفصلة.

وكذا يمكن الإشارة هنا إلى تعرّضه للأصلين العمليين في المسألة، أقصد: أصالة البراءة والاستصحاب، وهو ما لم يُشر إليه المهذب في عبارته إلا من بعيد كما تقدّم، بقوله: «والحق أنه لا يكفي في وجوب قضائه، بل يحتاج إلى دليل آخر»؛

فألزم بدليلٍ آخر في وجوب القضاء، ما يكشف عن أنَّ المرجع في هذه الحالة البراءة.

خامساً: على أساس مستوى التركيب

وأما مستوى التركيب، فقد كان حاضراً بقوة عند العلمين؛ إذ يأتي التركيب بين المطالب المتنوعة لتشخيص الموقف النهائي من المسألة محلّ البحث على رأس هذا المستوى، لتكون التطبيقات المختلفة للتركيب شاهداً آخر على ذلك.

ولربّما يكون التركيب بين المطلق والمقيّد لإنتاج التقييد هو الأنموذج الأبرز لعملية التركيب عند الآخوند، يتلوه في ذلك تركيب القياس الاستنباطي كما يعبرون من المقدمات عبوراً إلى النتائج، فعند المهذب قياس ما نحن فيه على الدّين غير صحيح؛ وإنّما كان ذلك نتيجة القياس التركيبي، والمفهوم بالمعنى الأصولي عند الآخوند إذا ما قيل به يُنتج اقتضاء عدم وجوب القضاء لا وجوبه، وغير ذلك من النماذج المختلفة للتركيب.

إلا إنّ الإنصاف هنا أيضاً يقتضي أن يكون الترجيح للآخوند؛ إذ يستحقّ ذلك بكلّ جدارة مع ما عكسته عبارته في المقام من عمليّات تركيبية غاية في الروعة، لربّما يكون على رأسها إعادة تركيب عناصر ثلاثة تمثّل القيود الثلاثة المتقدّمة الذكر للقول بالدّلالة في ما نحن فيه.

من الواضح أنّ النتيجة المتقدّمة الذكر قد لا تكون نتيجة تقصير في ما جادت به أنامل المهذب، وإنّما هي نتيجةٌ طبيعيّةٌ لتطوّر الفكر الأصولي من جهة، وتطوّر النظريّات الأصوليّة من جهةٍ أخرى، الظروف الطبيعيّة التي عاشها الآخوند، وميّزت فكره وعصره عن فكر المهذب وعصره.

سادساً: على أساس مستوى التقييم

التقييم أعلى مستويات المجال المعرفي كما تقدّم؛ فهو قَمّة عمليّات العلم العليا كما هو معروف لدى المتخصّصين بالعلم وعمليّاته.

وتأمّلاً سريعاً في ما تقدّم في تعريف هذا المستوى من جهة، وأثّه: القدرة على إصدار أحكام عن قيمة الأفكار أو الأعمال والحلول وفق معايير معيّنة، وفي العبارتين المتقدّمتين من العلمين مع توضيحهما من جهة ثانية، يضع بين يدينا كمّاً كبيراً من عمليّات التقييم التي جاءت في العبارتين على اختصارهما.

عمليّات تقييم مختلفة متنوّعة جاءت في العبارتين، يأتي على رأس ذلك ويُحسب للعلمين الموقف النهائي من المسألة محلّ البحث؛ إذ كلاهما رفض ما قد يُدّعى من اقتضاء الأمر بالمَوْقُوت وجوب القضاء كما عبّر المهذّب، أو دلالة الأمر بالمَوْقُوت على الأمر به في خارجه كما عبّر الآخوند، وما كان ذلك ليستقيم لأيّ منهما إلّا بالاستعانة بمجموعة تقييمات ومواقف فرعيّة قام بها كلّ منهما.

قياس ما نحن فيه على مسألة الدّين خطأ واشتباؤه عند المهذّب؛ إذ هناك عدّة اختلافات بين الباين تمنع من ذلك؛ إذ هي فروقات فارقة كما نعبر، تجعل من المسألتين باين مختلفتين، مَنْ يلج في أحدهما ليس له أن يلج في الآخر عرفاً، فلا يسري على ما نحن فيه ما يجري على الدّين.

وإذا ما عطفنا نظرنا إلى عبارة الآخوند، رأينا أنّ الدّلالة يُمكن لها أن تتمّ، ولكن، بشروط لا تنطبق في المقام، أعني: لو كان التوقيت بدليل منفصل، ولم يكن لهذا الدّليل إطلاق على التقييد بالوقت، وأخيراً: لو كان لدليل الواجب إطلاق في نفسه، وهذه القيود غير متحقّقة في ما نحن فيه، فلا دلالة في المقام تامّة

على المدّعى، فهو غير صحيح.

إلى غير ذلك من عمليّات التقييم عند العّلمين.

نعم، لا بدّ من الاعتراف هنا بأنّ عمليّات التقييم في (الكفاية) قد فاقت أخواتها في (التُّحفّة)؛ استدعى ذلك كمّ المعلومات والأفكار التي جاءت في الكفاية في مجال المسألة محلّ البحث، وهو ما تقدّم في مطاوي المطالب المتقدّمة. أخيراً: من اللافت أنّ عمليّات التقييم عند العّلمين كانت من النماذج التي يُتخذى بها من قبل الباحثين وطالبي الحقيقة؛ إذ لم تكن اعتباريّة ذوقيّة، وإنّما كانت طبق معايير ومقاييس ومحكّات واضحة عند العّلمين، حتّى لكأنّهما قد أمسكا بالمسطرة وجعلا يقيسان الأمور قياساً دقيقاً، فكانا نعم العّلم من هذه الناحية.

نكتتان مهمّتان يجدر الانتباه إليهما في المقام

بقيت هنا نكتتان مهمّتان لا بدّ من عدم إغفالهما في المقام؛ فإنّ لهما تمام العلاقة بتحقيق الهدف من هذا البحث:

الأولى: اللّغة المستعملة في البحث

من اللازم هنا الإشارة إلى اللّغة التي استخدمها كلّ من العّلمين؛ إذ هي الإطار العامّ الذي كان يُحيط بكلّ تلك الأفكار التي جاءت في عبارة كلّ منهما، وعكست المستويات المختلفة للمجال المعرفيّ كما تقدّم بالتفصيل؛ فإنّ من المعروف لدى المتخصّصين ما تعاني منه عبائر الكفاية من التعقيد والإغلاق، بينما جاءت عبارات المهذّب على العكس من ذلك تماماً، ولربّما كان ما يتمتّع

به المهذب من قابليات وفضل في الجانب اللغوي؛ بعد أن كان أديباً من الطراز الأول، هو ما أدّى إلى النتيجة التي نتكلم عنها هنا.

الثانية: التأثير بخبرات المتخصصين الآخرين

وأما النكتة الثانية، فنريد أن نُشير فيها إلى مقدار تأثر كل من العلمين بأفكار وآراء من عاصرها من الأعلام.

أما بالنسبة إلى المهذب، فيمكن القول بأن من عاصره من الأعلام كان الشيخ البهائي؛ فقد كان شخصية معروفة مشهورة في ذلك الوقت، وكان قد ولد سنة (٩٥٣هـ)، وتوفي سنة (١٠٣٠هـ)، ما يعني: أن العلمين قد تعاصرا تقريباً؛ نظراً إلى عدم علمنا بسنة ولادة المهذب بالدقة كما تقدّم.

وقد تناول البهاء المسألة محلّ البحث في كتابه (زبدة الأصول)؛ ذاهباً إلى أن الأمر بالموقت لا يكفي في وجوب قضائه لو فات^(٥٨)، تماماً كما هو موقف المهذب في ما نحن فيه.

واللّاف هنا، هو أن البهائي قد شخّص موقفه في المسألة محلّ البحث بطريقة هي الطريقة التي تقدّمت عن المهذب؛ فقد أشار إلى استدلال البعض بمسألة الدين، وأشار إلى أن هذا الاستدلال قياس مع الفارق، وكذا أشار إلى مسألة احتياج ثبوت القضاء إلى دليل آخر، بل أشار -أيضاً- إلى مسألة التمثيل بالأمر بصوم الخميس، وأنه لا يدلّ على وجوب صوم غيره من الأيام لو فات، بل وكذا أشار إلى مسألة تعدّد المطلوب وعدم تعدّده^(٥٩).

وأما بالنسبة إلى صاحب الكفاية، فإن الشخصية التي عاصرها هي شخصية الميرزا القمي، صاحب الكتاب المعروف في الأصول (قوانين الأصول)، وهو

الذي كان له دوره البارز في علم الأصول؛ باعتباره كان يمثل المرجع في هذا العلم، ويعدُّ نقلة نوعيّة في هذا العلم قبل كتاب (كفاية الأصول).

ولو رجعنا إلى هذا الكتاب في المسألة التي نحن فيها^(٦٠)، لوجدنا فيه الكثير ممّا جاء في عبارات الكفاية، كدلالة الأمر بالمؤقت في بعض الحالات على عدم وجوب القضاء، وهو ما تقدّم في عبارة الكفاية حين قلنا: إنّه بناء على ثبوت المفهوم للوصف، فإنّ الأمر بالمؤقت لن يقتصر الحال فيه على عدم الدلالة على وجوب القضاء، بل سيتعدّى ذلك إلى الدلالة على عدم الوجوب.

وكذا نشاهد هناك مسألة أنّ التقييد كما يُمكن أن يكون بقرينة متّصلة، فإنّه يُمكن أن يكون بقرينة غير متّصلة، المسألة التي أشار إليها الآخوند، وقلنا: إنّها نقطة فارقة بينه وبين المذهب، فيتبيّن ما تقدّم وإنّنا أشرنا إليه؛ من أنّ الظروف العلميّة والتطوّر في علم الأصول، هما اللذان حتماً هذا الفارق؛ وها نحن هنا نجد ذلك واضحاً؛ فإنّ المذهب تأثّر بمعاصريه في الاختصار على ما كان معروفاً في هذا المجال، أقصد: الاختصار في التمثيل على القرينة المتّصلة، فيما الآخوند أشار إلى المنفصلة أيضاً تبعاً لمعاصريه المؤثّرين في المشهد الأصولي في زمانه.

نعم، لربّما تكون الإشارة إلى إمكان دلالة الأمر بالمؤقت على الأمر بالعمل خارجه في حالة تحقّق القيود الثلاثة التي أشرنا إليها تبعاً للآخوند من جملة ما لم يُشر إليه في القوانين على حدّ فهمنا المتواضع لعباراته. والله العالم^(٦١).

الخاتمة

في خاتمة البحث، فلنذكر أهمَّ ما وصلنا إليه من نتائج:

- ١- مهذَّبُ الدِّينِ، أحمدُ بنُ عبدِ الرِّضا، علم من علماء البصرة، لم يُحرز تاريخ ولادته ولا وفاته، ولكنه كان حيًّا عام (١٠٩٨هـ).
 - ٢- كان مهذَّبُ الدِّينِ في بلاد العرب، فتركها وهاجر إلى بلاد الفرس، ومنها إلى بلاد الهند هرباً من الفقر، الذي لم يفارقه إلى آخر عمره الشريف.
 - ٣- الرَّجُلُ نازٌّ على علم في عالم العلم والمعرفة والبحث والتأليف؛ يشهد له أساتذته، ونتاجاته، وكذا كلُّ مَنْ ترجمَ له.
 - ٤- الطَّريقةُ الفِنيَّةُ لاستنباط الحكم التكليفيِّ تقتضي الانطلاق من أصالة البراءة، وهي تقتضي عدم وجوب القضاء لمن فاته الأداء، لتكون المرحلة الثانية البحث عن دليل مُحَرِّز على خلافها، وهنا بالضبط يأتي محلُّ البحث، وهي مسألة دلالة الأمر بالأداء على الأمر بالقضاء، وبتبعية القضاء للأداء.
 - ٥- ذهب مهذَّبُ الدِّينِ إلى عدم الدَّلالة في المقام، مبيناً ذلك عبر خطوتين، سرد في أولاهما أدلَّة القائلين بالدَّلالة والاقضاء، وفي الثانية أدلَّة القائلين بخلاف ذلك، راداً لأدلَّة القول الأوَّل.
- وأما الآخوند الخراساني، فقد اختار ما اختاره قبله المهذَّب أيضاً؛ إذ لا دلالة

للأمر بالموقت عنده بوجه من وجوه الدلالة، لا لغة، ولا عرفاً على وجوب القضاء، بل لو كان التوقيت متصلاً، لا حتملاً حتى ثبوت عدم الوجوب؛ عملاً بمفهوم الوصف.

نعم، لو كان التوقيت بدليل منفصل، فقد يُمكن بتوافر بعض القيود القول بالافتضاء في المقام، إلا أنها غير متوافرة، ومع عدم الدلالة، ففضيئة أصالة البراءة عدم وجوبها في خارج الوقت، ولا مجال لاستصحاب وجوب الموقت بعد انقضاء الوقت.

٦- المقارنة بين العلمين طبق معيار مستويات المجال المعرفي أظهرت الاختلاف بينهما في بعض الموارد، وسبق أحدهما للآخر، والتشابه في موارد أخرى.

الهوامش

- ١- كما في أوّل رسالته (التنزيديّة في المسائل التجويدية)، لاحظ: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢)، ص ١٨٥. وكذا في أوّل رسالته (في الآداب)، لاحظ: المصدر السابق: ٢١٩. وغيرهما.
- ٢- لاحظ: المصادر المتقدمة.
- ٣- لمحمد عليّ آزاد الكشميري، ولم يذكر أيّ دليل على ما أورده.
- ٤- وذلك في تعريفه بكتاب (فائق المقال في الحديث والرجال)، يُنظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٩١ / ١٦. وفي موارد أخر، قال: «عبد الرضا»؛ كما في تعريفه بكتاب المصنّف (غوث العالم في حدوث العالم): ٧٢ / ١٦. وتعريفه بكتابه الآخر (الفلكيّة في الهيئة): ٣١٤ / ١٦. وغيرهما من الموارد.
- ٥- كما في (مرآة الكتب) عن (نجوم السماء)، يُنظر: مرآة الكتب: ص ٢٧٣. وكذا في (أعيان الشيعة): ٥٨٩ / ٢ بدون أيّ مصدر، وكذا في (النصرة لشيعة البصرة): ص ٣١٠، الذي ذكر في الهامش أنّه ينقله عن أعيان الشيعة.
- ٦- تراجع الرجال: ٧٤ / ١، وفيه: «ونقول: اسم أبيه الرضا، لكنّه اشتهر بعبد الرضا؛ كما يقول المترجم له في آخر كتابه فائق المقال»، والظاهر أنّه فهم من قول المصنّف في آخر كتابه (فائق المقال) وغيره: «المشتهر بالمهذب، أحمد بن عبد الرضا»، أنّ الشهرة راجعة إلى اسم الأب أيضاً، وهو خلاف الظاهر جداً كما هو واضح. وكأنّ أفراد اللّجنة المشرفة على تأليف (موسوعة طبقات الفقهاء) قد تأثروا بما ورد في الكتاب، فقالوا: «أحمد بن الرضا (المشتهر بعبد الرضا)....»، يُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء: ٣١ / ١١.
- ٧- يُنظر: النصر لشيعة البصرة: ص ٣١٧. ولم يذكر المؤلّف لدّعاؤه أيّ دليل حتّى في هامش كتابه، واكتفى بقوله: «أحمد بن محمد رضا، مهذب الدين: هو أحمد بن رضا. تقدّم».
- ٨- وهو ما في تحقيق السيّد محمد جواد الجلايّي لكتاب عمدة الاعتماد، المنشور في مجلّة

- (فقه أهل البيت عليهم السلام) كما تقدّم؛ عندما ضبط الكلمة (وَالرَّضِيّ) بدل (وَالرُّضَا)، وهو أمر غريب حقاً غاية الغرابة.
- ٩- يُنظر لمزيد الاطلاع: مُصَفَّى الْمَقَال، رقم ٥٠-٥١. نزهُة الخواطر وبهجة المسماع والنواظر: ٤٧٨/٥، الفوائد الرضويّة: ٤٥/١، طبقات أعلام الشيعة: ٦٠٠/٥، ريجانة الأدب في تراجم المعروفين بالكُنية أو اللقب: ٣٩/٦.
- ١٠- مرآة الكتب: ص ٢٧٤.
- ١١- كما في الصّفحة التعريفية بكتاب (العبرة الشافية والفكرة الوافية) للمؤلف، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠).
- ١٢- طبقات أعلام الشيعة: ٥٠/٦.
- ١٣- أعيان الشيعة: ٥٨٩/٢.
- ١٤- رسائل في دراية الحديث: ١٦/١.
- ١٥- يُنظر: دائرة المعارف فارسي لغلّام حسين مصاحب، حرف النون: ص ٣٠٠٠.
- ١٦- يُنظر: العبرة الشافية والفكرة الوافية، للمصنّف، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠).
- ١٧- مُصَفَّى الْمَقَال، رقم ٥٠-٥١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٣٦٣/٣.
- ١٨- رسائل في دراية الحديث، إعداد: أبو الفضل الحافظيان والبابلي: ٩/٢.
- ١٩- فائق المقال في الحديث والرّجال للمصنّف: ص ٨، وقد نسبته إلى مستدرك أعيان الشيعة: ٨٨/٥. وقد راجعته فلم أجد أيّ ذكرٍ لذلك. كما أنّه لم يذكر الكتاب الذي اعتمده في مصادر تحقيقه. وكذا نسب محققاً فائق المقال في كتابها ذلك إلى قيصره نقلاً عن: مستدرك أعيان الشيعة: ٢٢/٦. ولو رجعنا إلى هذه النسخة التي أوردنا معلومات طباعتها في (ص ١١٩) من كتابها، لم نجد أيّ كلام عن ذلك، لا من قريب، ولا من أبعد البعيد!!!
- ٢٠- ومّا يُثير العجب، ما جاء عن العلامة المحقّق مُحمّد جواد الجلاّلي في مقدّمة تحقيقه لكتاب (عمدة الاعتماد في كفيّة الاجتهاد)؛ إذ يقول: «ولم يتعرّض أحد من مترجميه لمكان ولادته ونشأته الابتدائية، إلّا أنّ العلامة الطهرانيّ ذكر عند وصفه لكتابه أنّه ولد سنة ١٢٠١هـ»، وقد ذكر في الهامش أنّه استقى المعلومة المتقدّمة من: (طبقات أعلام الشيعة: ٥/٦٠٠)، ولو رجعت إلى هذا المصدر بطبعته، فإنّك لن تجد أيّ كلام عن تاريخ الولادة!!

- لاحظ: مجلّة (فقه أهل البيت عليه السلام) الصّادرة في مدينة قم المقدّسة: ص ١٧١، ٢١٢، من العدد ١٤، السّنة الرّابعة (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- ٢١- يُنظر: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذّب الدّين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى في طهران، برقم (٦٧٠٨)، الصّفحة الأخيرة.
- ٢٢- يُنظر: مرآة الكتب: ١/ ٢٢٦.
- ٢٣- يُنظر: تحقيق كتاب (المناهج)، مراجعة مركز تراث البصرة: ص ١٤.
- ٢٤- يُنظر: تحقيق كتاب (عمدة الاعتماد)، محمّد جواد الجلاي: ص ١٧٤.
- ٢٥- يُنظر: العبرة الشّافية والفكرة الوافية، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠)، آخر المخطوطة.
- ٢٦- فائق المقال في الحديث والرّجال، النّسخة المحقّقة من قبل غلام حسين قيصريه ها: ص ٨٥-٨٦. وهو في النّسخة الأصليّة المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى في طهران، برقم (٢٨٠٥٨): ص ١٩. وكذا لاحظ لذلك: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذّب الدّين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى في طهران، برقم (٨٩٢٢)، ص ٣٣٦، ص ٣٣٩ من المجموعة نفسها.
- ٢٧- يُنظر: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذّب الدّين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشّورى في طهران، برقم (٨٩٢٢)، ص ٢٤١. وكذا لاحظ: ص ٢٨٣ من المصدر نفسه.
- ٢٨- المصدر السّابق: ص ٢٥٣-٢٥٦.
- ٢٩- يُنظر: نجوم السّماء في تراجم العلّماء: ص ١٩٩.
- ٣٠- أعيان الشّيعة: ٢/ ٦٢٤. وفي طبقات أعيان الشّيعة: ٨/ ٦٠٠: «ألف كتاب الدرّة النّجفيّة في أصول الفقه، وكتب الحرّ بخطّه تقرّظاً عليه في ١٠٧٥هـ».
- ٣١- فائق المقال في الحديث والرّجال، النّسخة المحقّقة من قبل غلام حسين قيصريه ها: ص ٨٥-٨٦.
- ٣٢- لاحظ: المصدر السّابق.
- ٣٣- يُنظر: فائق المقال في الحديث والرّجال: ص ٣٦٣، النّسخة المحقّقة من قبل غلام حسين قيصريه ها.
- ٣٤- يُنظر: ٣/ ٣٦٢. وعلى الرّغم مما تقدّم، فقد شكّك في ذلك العلّامة الطهراني في

الذريعة بقوله: «وكان الشيخ مهذب الدين من المصنّفين قبل لقاء الشيخ الحرّ له بسنين، كما يظهر من تواريخ تصانيفه، فيبعد كونه من تلاميذ الشيخ الحرّ كما حكاه في نجوم السماء عن تذكرة العلماء»، يُنظر: ٣/ ٣٦٣.

٣٥- يُنظر: العبرة الشافية والفكرة الوافية، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزية ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠).

٣٦- يُنظر: المصدر السابق.

٣٧- يُنظر: العبرة الشافية والفكرة الوافية، أول المخطوطة.

٣٨- يُنظر: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢): ص ١٦٦.

٣٩- يُنظر: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢): ص ٣٣٦، وآخر الرسالة تجده في ص ٣٣٩ من المجموعة نفسها.

٤٠- للوقوف على هذه التأليفات وغيرها، يُنظر: المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢)، وبرقم (٦٧٠٨). نجوم السماء: ص ١٩٩. الطهراني، آغا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ٨/ ٦٠٠ - ٦٠١. الذريعة: ٢/ ٢٢٧، ١٦/ ٩١؛ أعيان الشيعة: ٢/ ٦٢٤.

٤١- مسحوق (الزنجفر) ذو لون أحمر ناصع مائل إلى الصفرة.

٤٢- يُنظر: مكتبة ملك في طهران، برقم (٠٣/ ٠٣٥٧٢، ٠٤، ١٣٩٣): ص ٢٩٩.

٤٣- المصدر السابق: ص ٣٢٣.

٤٤- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ١٧/ ٢٨٤. الفصول الغروية في الأصول الفقهية: ١/ ١١٧.

٤٥- زبدة الأصول: ص ٢٩٠-٢٩١؛ قوانين الأصول: ص ٩٩؛ غاية المأمول من علم الأصول: ١/ ٢٨٦.

٤٦- محاضرات في أصول الفقه (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي الأصولية): ٣/ ٢٥٠.

٤٧- العدة في أصول الفقه: ١/ ٢١٠.

٤٨- زبدة الأصول: ص ٢٩٠-٢٩١.

- ٤٩- لاحظ: العدة في أصول الفقه: ١/ ٢١٠.
- ٥٠- وهذا مذهب جمهور الأحناف، كالسرخسي، والبرزدوي، وابن الهمام، وأبي زيد الدبوسي، والسمرقندي، ومختار المالكية، والحنابلة، وبعض المعتزلة، وبعض أصحاب الشافعي، وعامة أصحاب الحديث. لاحظ: العدة في أصول الفقه: ١/ ٢١٠، الهامش، تحقيق العلامة محمد رضا النصاري القمي.
- ٥١- لاحظ: أصول الفقه، للمظفر: ١/ ٩٠.
- ٥٢- كفاية الأصول: ص ١٧٨.
- ٥٣- لاحظ: بلوم وآخرون، نظام تصنيف الأهداف التربوية: ١٤٠٥.
- ٥٤- لاحظ: بلوم وآخرون، نظام تصنيف الأهداف التربوية: ص ٣٥-٣٦؛ صيَّاح، أنطوان، كفايات التعليم والتعلم: ٣٧-٤٧. والأمثلة منّا للتطبيق.
- ٥٥- لاحظ: طويلة، عبد الوهاب عبد السلام، التربية الإسلامية وفنّ التدريس: ص ٣٢-٣٣.
- ٥٦- لاحظ: الدريج، محمد، تحليل العملية التعليمية (مدخل إلى عملية التدريس): ص ٤٢.
- ٥٧- لاحظ: بلوم، نظام تصنيف الأهداف التربوية: ص ٣٦، وما بعدها؛ تنمية مهارات التفكير في تعلم العلوم: ص ١٢-١٥.
- ٥٨- لاحظ: زبدة الأصول: ص ٢٩٠.
- ٥٩- لاحظ: المصدر السابق: ص ٢٩٠-٢٩٥.
- ٦٠- لاحظ: قوانين الأصول: ص ٩٩.
- ٦١- من الجدير بالذكر أنّ ما جاء في القوانين بدوره جاء قسم كبير منه في عدة الأصول للشيخ الطوسي. ما يعني: أنّ نقطة الالتقاء بين العلمين في المقام هو هذا الكتاب الشريف. لاحظ: العدة في الأصول: ١/ ٢٠٩-٢١١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- أصول الفقه، محمد رضا المظفر، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي حوزة علميه قم، الطبعة الرابعة، ١٣٧٠ ش.
- ٢- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٣- الثخنة العزيزة، مهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، البصري، مكتبة ملك في طهران، برقم (١٣٩٣، ٠٤، ٠٣٥٧٢ / ٠٠٣).
- ٤- تحليل العملية التعليمية (مدخل إلى علم التدريس)، محمد الدريج، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٤ م.
- ٥- تراجم الرجال، أحمد الحسيني، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤١٤ هـ.
- ٦- التربية الإسلامية وفن التدريس، عبد الوهاب طويلة، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٨ م.
- ٧- التنزيديّة في المسائل التجويدية، المجموعة الخطيّة لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢).
- ٨- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة، لبنان، بيروت، ١٩٨١ م.
- ٩- دائرة المعارف فارسي، غلام حسين مصاحب، الناشر: شركت سهامی كتابهای جیبی، طهران، ١٣٧٤ ش.
- ١٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، الناشر: دار الأضواء، الطبعة الثالثة، تاريخ النشر: ١٤٠٣ هـ.
- ١١- رسائل في دراية الحديث، إعداد: أبو الفضل الحافظيان، البابلي، الناشر: دار الحديث

- للطباعة والنشر، قم، إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢هـ.
- ١٢- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسّادات، محمّد باقر الخوانساري، الناشر: إسماعيليان، قم، إيران، ١٣٩٠هـ.
- ١٣- ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب، محمّد علي مدرّس، تبريزي، ناشر: كتابفروشي خيام، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٩ش.
- ١٤- زبدة الأصول مع حواشي المصنّف عليه، بهاء الدّين، محمّد بن حسين، العامليّ (الشيخ البهائي)، انتشارات دار البشير، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٥- شواهين، خير، تنمية مهارات التفكير في تعلّم العلوم، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٩م.
- ١٦- طبقات أعلام الشيعة (الروضة النّضرة في علماء المائة الحادية عشرة)، الشيخ آغا بزرك الطهراني، انتشارات: جامعة طهران، إيران، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ش.
- ١٧- العبرة الشّافية والفكرة الوافية، مهذب الدّين البصريّ، أحمد بن عبد الرّضا، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠)، آخر المخطوطة.
- ١٨- العبرة الشّافية والفكرة الوافية، مهذب الدّين البصريّ، أحمد بن عبد الرّضا، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠).
- ١٩- العبرة الشّافية والفكرة الوافية، مهذب الدّين، أحمد بن عبد الرّضا، مخطوطة محفوظة في المكتبة المركزيّة ومركز الوثائق في جامعة طهران، برقم (٣٦١٠).
- ٢٠- غاية المأمول من علم الأصول (تقريراً لأبحاث السيّد الخوئيّ الأصوليّة)، محمّد تقي الجواهريّ، تحقيق: مجمع الفكر الإسلاميّ، الناشر: مجمع الفكر الإسلاميّ.
- ٢١- فائق المقال في الحديث والرّجال، مهذب الدّين، أحمد بن عبد الرّضا، النّسخة التي حقّقها الأستاذ غلام حسين قيصريه ها. نسخة مكتبة ومتحف ملك الوطنيّين في طهران برقم (١٣٩٣-٠٤-٠٠١/٠٣٥٧٢)، ونسخة أخرى برقم (١٣٩٣-٠٤-٠٠٠/٠٣٥٦٧)، وكذا نسخة مكتبة مجلس الشّورى في طهران برقم (٢٨٠٥٨) وبرقم (٤٨٩٩٢٧).
- ٢٢- الفصول الغرويّة في الأصول الفقهيّة، محمّد حسين الأصفهانيّ (صاحب الفصول)، الناشر: دار إحياء العلوم الإسلاميّة، (د.ت).
- ٢٣- الفوائد الرّضويّة في أحوال علماء المذهب الجعفريّة، الشيخ عباس القميّ، تحقيق:

- ناصر باقري، بيدهندي، مؤسسة بوستان كتاب، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ ش.
- ٢٤- في الآداب، المجموعة الخطية لمجموعة رسائل مهذب الدين، المحفوظة في مكتبة مجلس الشورى في طهران، برقم (٨٩٢٢).
- ٢٥- قوانين الأصول، الميرزا القمي، المطبعة: حجرية قديمة.
- ٢٦- كتاب المناهج (المقنة الأنيسة والمغنية النفيسة)، مهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، تحقيق وتوثيق: توفيق الحجاج، وقاسم السكيني، مراجعة وتدقيق وضبط: مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ م.
- ٢٧- كفاية الأصول، محمد كاظم الخراساني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٢٨- كفايات التعليم والتعلم، انطوان صياح، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠١٢ م.
- ٢٩- مجلة (فقه أهل البيت عليه السلام) الصادرة في مدينة قم المقدسة، العدد (١٤)، السنة الرابعة (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٣٠- مجلة (فقه أهل البيت عليه السلام) الصادرة في مدينة قم المقدسة، في رحاب المكتبة الفقهية: عمدة الاعتماد في كيفية الاجتهاد لمهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، تحقيق: السيد محمد جواد الجلاي، العدد (١٤)، السنة الرابعة (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٣١- مجلة الموسم، العدد (١٦)، من سنة (١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ)، عمدة الاعتماد في كيفية الاجتهاد، تحقيق: السيد محمد سعيد الطريحي.
- ٣٢- محاضرات في أصول الفقه (تقريراً لأبحاث السيد الخوئي الأصولية)، محمد إسحاق الفياض، الناشر: مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، ١٤٢٢ هـ.
- ٣٣- مرآة الكتب، علي بن موسى بن محمد شفيع، التبريزي، تحقيق: محمد علي الحائري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ٣٤- مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
- ٣٥- مصفّى المقال في مصنفي علم الرجال، آغا بزرك الطهراني، عني بتصحيحه ونشره: ابن المؤلف، دار العلوم للتحقيق والطباعة والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.
- ٣٦- المناهج (المقنة الأنيسة والمغنية النفيسة)، مهذب الدين، أحمد بن عبد الرضا، نسخة

مكتبة ملك في طهران، برقم (٣٥٧٢ / ٢).

٣٧- موسوعة طبقات الفقهاء، تأليف ونشر: اللّجنة العلميّة في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف: الشّيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣٨- نجوم السّماء في تراجم العلماء (شرح حال علمائي شيعة قرنهای یازدهم و دوازدهم و سیزدهم هجری قمری)، مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ اَزَادِ الْكَشْمِيرِيّ، تصحيح: مير هاشم محدّث، (د.ت).
٣٩- نزّهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (يتضمّن تراجم علماء الهند وأعيانها من القرن الأوّل إلى القرن السّابع)، عبد الحّيّ بن فخر الدّين بن عبد العليّ، الحسنيّ، الطالبيّ، نشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٤٠- النّصرة لشيعة البصرة، نزار المنصوريّ، مركز البصرة للدراسات والبحوث، إيران، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثّانية، ٢٠٠٤ م.

٤١- نظام تصنيف الأهداف التّربويّة، بلوم وآخرون، ترجمة: محمّد محمّد الخوالدة وصادق إبراهيم عودة، دار الشروق، جدّة، ٢٠٠٨ م.

وسائل فهم النصِّ القرآنيِّ بين الجاحظ والرُّؤية
المعاصرة
مقاربةً لسانيَّةً

Methods of Understanding the Qur'anic
Text between Al-Jahedh and the
Contemporary Viewpoint:
A Linguistic Approach

م.د. حيدر عودة كاطع الدَّرَاجي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام البصرة

By

Dr. Hayder A. Gatea Al-Darraji

Imam Kadhém (PBUH) University College for Islamic
Sciences, Basra

ملخص البحث

تعتمد الرؤية التفسيرية لفهم مقاصد النصوص القرآنية على التوظيف اللغوي بوصفه واحداً من ميادين الوصول إلى الفهم القرآني، ولعلّ هذا التوظيف هو المعيار القصدي الذي يُسجّل حضوره عند كلّ المشتغلين في الميدان التفسيري قديماً وحديثاً.

فالجاحظ البصري المعتزلي كان ممن سعى إلى تطويع اللغة العربية لكي تحظى بخدمة النصّ القرآني في معظم كتاباته التي أراد فيها سبر أغوار النصوص القرآنية للوقوف على مرادات صاحب القرآن.

وما البحث إلا محاولة لبيان المقاربة التفسيرية بين الجاحظ وبين المعاصرين ممن شَمَّروا عن سواعدهم للإفادة من فهم المعارف القرآنية، وجعل الدرس القرآني ميداناً وضعوا فيه ما عندهم من قِليّات، لعلّهم يقفون فيه على فيوضات القرآن غير النافذة.

Abstract

The interpretive vision that seeks to understand the intention of the Qur'anic texts depends on the linguistic uses being one of the approaches to understand the Holy Qur'an. Such an approach is the intentional criterion adopted by all those working in the interpretive field, both in the past and now. Al-Jahedh, a Mu'tazely from Basra, has made an effort to adapt Arabic, in most of his Qur'anic studies, to serve the Qur'anic text.

This paper is an attempt to shed light on the interpretive approach between Al-Jahedh and contemporary scholars who are doing their best to understand Qur'anic knowledge.

مقدمة

للنصوص الدينية في حقول التواصل التخاطبي مع الأمم والمجتمعات الإنسانية حق الهيمنة الأسلوبية اللسانية في التعبير عن المقاصد الدينية، حين يسعى النص الديني الصادر من الجهة الرقابية إلى شحن الخطابات التوجيهية بالغطاء التأثيري في المتلقين؛ كي يندبهم إلى العمل بمضمون الخطابات الدينية وامثالها، ولا يخرج النظام الديني في خطابه الإجرائية القصديّة عن السليقة اللغوية الألسنية لعموم المخاطبين ولغتهم، فهو يوظف شروط التخاطب وحيثياته كأدوات تعبيرية لا مناص لتلك النصوص من احتذائها لمراعاة حال المخاطبين وأذواقهم، بوصفهم عناصر العملية التخاطبية ومتلقيها، لا حال المتكلم، بخاصة أن الخطاب الديني لا يعني مخاطباً بعينه، ولا متلقياً مقصوداً محدداً، بل هو خطاب موجه إلى عموم المتلقين، سواء من كانوا حاضرين في عصر نزول النص، أو لم يكونوا حاضرين، وإنما سمعوه أو قرأوه بعد حين، كون الخطابات السماوية تنطوي على البعد العالمي غير المقيّد بقيدي الزمان والمكان، فحق لها أن لا تتغي متلقياً معيناً؛ ولذا ذهب الأصوليون إلى أن تلك الخطابات تصدر من السماء على نحو القضية الحقيقية^(١)، أي إن الخطاب موجه لمن كان حاضراً في عصر نزوله، ومن سيحضر على طول الوجود البشري، وهو معنى

عالمية النص الديني؛ إذ يكون الخطاب شرعة لكل وارد، ومنهلاً لكل قاصد. وهذه الرؤية سجلت حضوراً واضحاً في النص القرآني؛ كونه خطاباً دينياً نزل في عصر الهيمنة البلاغية على أركان العقلية العربية -آنذاك-، وعليه، صدح النص القرآني بتوظيف اللغة العربية لتثوير الحقائق القرآنية كي تكون وجهاً لوجه من السامع والقارئ معاً، بعد أن صار النص القرآني بين يديهم يختارون منه أيّاً شاءوا ومتى شاءوا، فندبهم للتزود من سفره الخالد كي يحتدوا بآياته ويفهموا مقاصدها ويتفكروا فيها ويتدبروها؛ فيأخذ كل سالكٍ لسبيله بمقداره هو لا بمقدار القرآن ومكنوناته، ولا ريب في أن الدراسة المجدية للنص القرآني تلك التي تتوكل على أفهام المخاطبين وطبيعة مداركهم^(٢).

ومن هنا يتوجب على العملية التفسيرية في ميدان الخطابات القرآنية أن تُقدم بين يديها آليات التفسير للوصول إلى الفهم الصحيح لمراتب تلكم النصوص ومقاصدها، لا سيما أن وسائل الفهم الدقيق تعتمد ما توفره العملية التفسيرية من مقدمات الكشف التفسيري الناجح عند الجلوس بين يدي القرآن؛ لئلا يكون الفهم صدئاً للبيئة الاجتماعية التي عليها المشتغلون في تفسير النص القرآني، فيكون الفهم خاضعاً كل الخضوع إلى جدلية القبلية الذاتية لبيئة المفسر وظروفه بتقديم حاكمية البيئة على حاكمية النص، فتلوى أعناق النصوص القرآنية كي تأتي موائمة لبيئة المتصدي وقلبياته الزمكانية، وفي هذه الحالة يتعاور الفهم مع قبلات المتلقي، فكلما كان الفهم محكوماً بالبيئة التي عليها القارئ، كلما زاد الفهم انفلاتاً من بين يديه، والعكس صحيح، كما سيوضح في مطاوي البحث.

الفهم اللغوي والاصطلاحي

ذكر الخليل (ت ١٧٠هـ) توضيحاً لمعنى الفهم، بقوله: «فهمتُ الشيء [فهماً وفهماً]: عرفته وعقلته، وفهمتُ فلاناً، وأفهمته: عرفته»^(٣)، وأمّا الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، فقد ذكر في مفرداته: «الفهم: هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن، يقال: فهمتُ كذا، وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وذلك إمّا بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في روعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به. وأفهمته: إذا قلتُ له حتّى تصوّره. والاستفهام: أن يطلب من غيره أن يفهمه»^(٤)، وفيما يبدو أن المعنى المعجمي لمفهوم الفهم لا يُخصّص بالفهم المفرداني اللفظي، بل هو معنى عامٌ كما تدلُّ عليه الآية الشريفة التي استشهد بها الراغب، التي - كما تبدو - تدلُّ على تعدّد الفهم باختلاف المتلقين لا باختلاف الخطاب، فتعريف الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) للفهم بأنّه: «تصوّر المعنى من لفظ المخاطب»^(٥)، وإن كان مقارباً لفكرة الراغب التصوريّة، لكنّه يختزل الفهم في الميدان الدلاليّ للدلالة التصوريّة للفظ، التي تعني عنده - بوصفه من رواد التخصص العقليّ - هي دلالة الألفاظ المفردة في مرحلة البنية الصّرفيّة المسماة عند المناطقة بالدلالة التصوريّة ذات المدلول الإفراديّ الوضعيّ للفظ قبيل مرحلة الاستعمال السياقيّ، وهو ما يفهم من قيد التصوّر الذي تضمّنه تعريفه، وهذا يباين مذهب أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في الفروق اللغويّة، وهو قوله: «إنّ الفهم هو عبارة عن: العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصّة، ولهذا يُقال: فلان سيّء الفهم إذا كان بطيء العلم بمعنى ما يسمع، ولذلك كان الأعجميّ لا يفهم كلام العربيّ... وقال بعضهم: لا يستعمل

الفهم إلا في الكلام، ألا ترى أنك تقول: فهمتُ كلامه، ولا تقول: فهمت ذهابه ومجيئه كما تقول: علمتُ ذلك»^(٦)، فلو أردنا التوفيق بين المعطى اللغوي لمفهوم الفهم وبين وظيفته المعرفية في النص القرآني يمكن حده بأنه: توظيف لمجموعة من الوسائل المعرفية للوقوف على مقاصد النصوص القرآنية ومضامينها، وبما أن النص القرآني يُعدُّ فهماً بمعناه القرآني، فالوصول إلى فهم النص يُمكن تسميته بمعرفة المعرفة؛ ولذا فالخطأ الذي يحصل في عملية الفهم إنما هو خطأ في الاستدلال لا في المدلول، وذلك حين يُغفل المتصدّي للعملية التفسيرية قواعد التفسير المطلوبة، فإنه ستزلُّ قدمه عن الفهم الصحيح^(٧)، وسيُفسد أكثر مما يُصلح، وليس هذا فحسب، بل التحوّل العصريّ (العصرنة) هو تحوّل في فهم النصّ لا في النصّ نفسه، ولعلّ هذا المعطى - أعني: عصرنة النصّ الدينيّ - هو ما دعا له أمثال نصر حامد أبو زيد، بقوله: «من الطبيعيّ، بل من الضروريّ أن يُعاد فهم النصوص وتأويلها بنفي المفاهيم التاريخية والاجتماعية الأصلية، وإحلال المفاهيم المعاصرة، والأكثر إنسانيةً وتقدمًا، مع ثبات مضمون النصّ»^(٨)، والحقُّ أنني لا أريد مناقشة هذه الفكرة الآن كي لا أخرج عن مضمون البحث، فضلاً عن أن المناقشة المذكورة تُجانب فكرة الاختصار البحثي.

فيتوخّى طلاب الفهم العناية بالدلالة الصحيحة واللغة القرآنية ومعتقدات المخاطب للوصول إلى الفهم الصحيح أو الحدّ من الخطأ في فهم النصّ^(٩)، مع الجزم قطعاً أن النصّ ليس له فهم نهائيّ وثابت؛ كونه مزيجاً من البعدين: البعد الفكريّ والثقافيّ للمفسّر، وبعْد المعنى الذي ينطوي عليه النصّ، ولهذا يرى السيّد محمد باقر الصدر أن التناقض الذي قد يبدو حاصلاً بين حقيقتين قرآنيتين

يرجع إلى التفريق بين فهم اللفظ وفهم المعنى؛ إذ إن الآيات قد تبدو مفهومة من حيث الجنبه اللغوية، بيد أن الصعوبة تتضح في بيان مدلول الآية، فالعسر -إذا- في تفسير معنى اللفظ لا تفسير اللفظ نفسه^(١٠).

فهم النص القرآني- على وفق الدعوات القرآنية والسنتية للتعرف على الثقل الأكبر- ليس محجوباً عن مرديه، ولا عصياً على سالكيه، وإلا فلا قيمة للندبة في الاحتذاء المذكور، وحاشا الله ﷻ أن يُنزل قرآناً ليس لقارئه حظاً من الفهم والمعرفة فيما يقرؤون ويتلون، فلو كان لغزاً بين الله ﷻ والنبي ﷺ لما جاز أن تُعرض عليه أحاديث السنة ليكون لها معياراً أو ميزاناً للإيضاح^(١١)، وإن هذا الفهم المتوافر في النص القرآني ليس وقفاً على فئة معينة، أو بيئة خاصة مثلما تُشير إلى ذلك آيات التفكير والتدبر الواردة فيه، لذا فقرأنا قابل للفهم والتفسير، وهذا الفهم بحدود المستكشف، وبقدر طاقته الاستيعابية^(١٢)، لا سيما أنه وصف نفسه بالبيان والبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصولة، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل»^(١٣)، وإنه وصف نفسه بالنور المبين في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وهذا الوصف كناية عن الوضوح والظهور، فلا يُمكن- بهذا الوصف- أن يكون غير قابل للفهم^(١٤)، أي إن التزوّد من الخزين القرآني مباح للآملين، ولكنه تزوّد يحدّده المتلقّي لا المبدع؛ إذ لكل متلقّ حظّ من الفهم بمقداره هو ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، وفي

هذا المعنى يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): «ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل على أقدار منازلهم»^(١٥).

ومما لا شك فيه أن الحصول على الفهم القرآني المأمول إنما يحصل حين يكون البيان سُلماً يرتقي منه الطالبون للمعاني القرآنية، فتكون آياته واضحة الدلالة، وألفاظه بيّنة المعاني، وإلا فستنقطع الصلة بينه وبين المتزوّدين، ومن هنا يقول الجاحظ، مستشهداً بقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾: «لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهم. وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد»^(١٦)، يعني أن الفهم برزخ بين فاعلية الوضوح النصّي وبين قابلية التلقّي، ففاعلية الوضوح هو العطاء القرآني غير المحدّد إلا بمقدار قابلية المتلقّي على الفهم.

ومع أن العربية هي الميدان الرّحب الواسع الذي استمدّ القرآن الكريم مرجعيّته التوصيلية منها، لكنّه - مع هذا - عمل على نقلها من الوظيفة الإبلاغيّة الدلاليّة، وسار بها إلى علامات ومعانٍ ودلالات معقولة، فلم يكن القلب الشكليّ للمنظومة اللّغويّة ليضع النصّ القرآنيّ في بحبوحة القولبة اللفظيّة ذات المدلول اللّغويّ المسوّر؛ لأنّ المداليل القرآنيّة عصيّة على التسوير التقيديّ للألفاظ؛ إذ يمتلك الخطاب القرآنيّ كلاماً، وليس هو ممّا تنطقه اللّغة متى شاءت، لكنّه كلام في اللّغة، وله القدرة على تغييرها^(١٧)، وعليه، فالكفاية اللّغوية - كما يسمّيها تشومسكي «معرفة المحادث (المتكلّم والمخاطب) للغة النصّ»^(١٨) - ينبغي أن تكون حاضرة عند الوقوف على فهم مرادات النصّ القرآنيّ، كالمعرفة بقواعد اللّغة العربيّة وقوانينها ما دام القرآن قد نزل على لغة العرب وأساليبها

ووظائفها التركيبية، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة.
ربما اتضح فيما مضى مفهوم الفهم ووظيفته في العملية التفسيرية، ولكن ما
علاقة الفهم بالتفسير؟

وفي مقام الإجابة يُمكن القول: لما كان التفسير هو الإبانة والكشف والبحث
في المدلول الظاهري لمعاني الألفاظ القرآنية، فهو يمثل مرحلة التنظير المفهومي
للإجراءات المعرفية في الميدان الإفهامي؛ إذ يفسر لنا أن (الكوثر) تعني الخير
الكثير، وتأتي على وزن (فعل)، وهي مهمة متقدمة رتبة تمثل الجهة المفهومية-
في المقام- غير المرتبطة بالمصاديق؛ لأن التطبيق المصادقي يأتي بعد المدلول
اللغوي^(١٩) مستعيناً بآليات التوظيف التفسيري (المفردة، الجملة، الموضوع)،
وهذه الوظيفة الإجرائية هي باكورة الفهم القرآني، ويسمى (التفسير)، وهو
واحد من وسائل الفهم؛ إذ يمثل المقدمة الأولى له، في حين أن التأويل يمثل
المرحلة الثانية من مراحل، فالتأويل الباطني هو مرحلة أعلى من الكشف
التفهيمي، يأتي بعد التفسير الظاهري، فيستعين بالمعاني اللغوية والقولات
المستخدمة من عناصر السياق للوصول إلى المقصود؛ إذ المقصود النصي لا ينتج
المعنى اللغوي فقط^(٢٠)، بل تحققه القرائن اللغوية والسياقية من خلال التعكز
على أثنائي الفهم المعرفية الثلاث، هي: النص، والقارئ، والأدوات، ومن هنا
فالفهم والتفسير ليسا مترادفين.

وإن التأويل ليس رديفاً للفهم والتفسير، بل يشكل مع التفسير ترتباً طويلاً
للوصل إلى الفهم، فالوصول إلى الفهم يبدأ بالتفسير، وينتهي بالتأويل، الذي
يفضي إلى التأثر والانفعال والنزوح تجاه الفعل الذي تضمنه الخطاب نتيجة

الوقوع تحت هيمنة الوعي القرآني، ولا مانع من القول بأن التفسير يمثل البنية السطحية للمدلول القرآني، والتأويل يُمكن تمثيله بالبنية العميقة. ويرسم الجاحظ الملامح المعرفية تلك التي توافرها العملية الدلالية في التوظيف اللساني بغية تحقيق الأدنى من الفهم في العمل التخاطبي، ويمكن بيانها من خلال الآتي:

١- الدلالة اللفظية

ذكر الجاحظ «أنَّ حُكم المعاني خلاف حُكم الألفاظ؛ لأنَّ المعاني مبسوبة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة»^(٢١)، فيبدولي أنَّ كلامه جاء فيه:

١- الوفرة التي تشكّلها المعاني اللغوية لا تقف عند عتبة الألفاظ القرآنية، ولكنه حُكم عامٌّ جامع لكلّ الخطابات اللغوية؛ ذلك لأنَّ الحكم الذي ساقه يُشير إلى عمومية العجز الافتقاري للدلالات اللفظية.

٢- الجاحظ ليس في مقام بيان العجز الذي يعتري اللفظ في مرحلة الدلالة الصرفية أو التصورية غير الاستعمالية، أو قل: دلالة اللفظة المفردة قبل مرحلة التركيب السياقي، بل هذا العجز -ويبدو أنَّ الجاحظ قاصد- يتتاب الألفاظ وهي داخل التركيب السياقي، وهذا ما سيُتضح حين تقف الألفاظ اللغوية عقيمة عاجزة في التعبير عن الصور القرآنية، مع أنَّ الجاحظ لا يتوخى من اللفظ الدلالة فقط، بل يشترط في دلالاته الوضوح والظهور والبيان، كما في قوله: «وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقّة المدخل، يكون إظهار

المعنى، وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان الذي سمعت الله ﷻ يمدحه ويدعو إليه ويحثُّ عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم»^(٢٢).

وهنا أودُّ أن أقول: إنّ القلب اللَّفْظيَّ المستعمل في التعبير عن المعاني القرآنيّة لم يحتفظ -في كثير من الأحيان- بمعناه اللُّغويّ حين دخل حرم التركيب القرآنيّ، ولعلّ من الألفاظ ما تخلّى -تماماً- عن معناه المعجميّ للدّخول في صياغة استعماليّة جديدة، ف(السّائحون) حين دخلت الاستعمال القرآنيّ ألبسها النّصّ القرآنيّ ثوباً جديداً لتعطي معنى (الصّائمين)، وذلك في قوله ﷻ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، فقد أشارت كُتُب التّفسير إلى هذا المعنى الذي لم تُشر إليه المعجمات اللُّغويّة البتّة، وهكذا بالنّسبة إلى (توفّي) التي تعني الرّفْع والأخذ على التّمام، في حين أنّ بعض المعاجم ذكرت أنّ معناه الإماتة، مع أنّها تُعطي معنى الرّفْع في قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُلِ فِي الْوُحُوشِ مَعْ رَافِعَكَ إِلَيْنَا وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، ويُمكن القياس على هذا التباين بين المدلول المعجميّ والمدلول القرآنيّ في كثير من الألفاظ الدّاخلة في الاستعمال القرآنيّ منها معاني كلّ من: (الكلمة، الكتاب، التنزيل، المطر، القلوب.....)، ويُمكن القول بأنّ هذه الرّؤية تنسجم تماماً مع المدرسة القرآنيّة الإسلاميّة المعاصرة، التي ترى أنّ الألفاظ اللُّغويّة في التراكيب السّياقيّة القرآنيّة لا تحكمها البنية الصّرفيّة والمعجميّة في قلبها الصّرفيّ

الذي وُلدت فيه، وإنما مدلولات إجرائية في الوظيفة القرآنية، ما قد يُعطيها من المعاني التي قد تربو على معناها المعجمي إن لم تباينه - كما أشرت إلى ذلك - كي يحتفظ القرآن لنفسه بلغته التي تتسم بالفرادى التركيبية، وهي ليست أجنبية عن اللغة العربية، لكنها ليست صدّى لها، ولا محكومة بمعانيها وقوالها التراثية، بعدما أباح النص القرآني لنفسه أن يمتاح من المعاني ما يشاء وكيف يشاء لبيان جمالية التركيب القرآني في إطاره التشكلي الخاص. وقد ذكرت بعض المصادر التفسيرية القديمة والحديثة هذا التطور الدلالي القرآني في قولته الجديدة؛ فهل هو تضيق للدلالة اللفظية؟ أم هو نقل اللفظ من معناه الواسع إلى المعنى القرآني المحدد؟ أم تعني قابلية اللفظ أن يدلّ على كل معنى يُقاربه ما دام قابلاً لذلك في الاستعمال، بمثابة الوعاء الذي يستوعب ما يريد من المعاني، فيكون السياق اللغوي هو القرينة التي تضعه في الشكل المقصود للمتكلّم.

وليس عجباً أن نقول بذلك ما دامت الألفاظ محدودة كما يقول الجاحظ «وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة»، وأنّي للمحدود أن يحصي المعارف الإلهية غير المتناهية، فكان حريّاً أن ينتقل القرآن بالألفاظ كي يكسوها من معانيه ومعارفه وعطاياه حُللاً لا تنفد؛ ولذا كان للمفردة القرآنية ذوقها الخاص.

٢- الدلالة الإشارية

يختلف مفهوم الإشارة الجاحظية عن مفهوم الإشارة، أو (الدلالة الإشارية)، في المدرسة القرآنية المعاصرة، فدلالته عند الجاحظ تشكّل وسيلة استعمالية في

اللُّغة المنطوقة للتعبير عن معانٍ ودلالاتٍ حين يعجز النطق للتعبير عنها، فتكون بمنزلة الوسائل البديلة لإيصال مقاصد المتكلمين؛ ولذا يقول: «فأما الإشارة، فباليد، والرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب، وبالسيف، وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً»^(٢٣)، فهي توضيح دلالي يتوخى إيصال المعنى المقصود من المتكلم عبر الإشارة إلى المعنى، ولهذا المعنى أشار القرآن الكريم في قصة مريم عليها السلام حين جاءت تحمل مولودها وقد امتنعت عن التكلم، فيصور القرآن الموقف بقوله عليها السلام: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، فإشارتها تتضمن قصديّة الكلام مع المولود؛ ولذا فإنّ «الإشارة لا تكون إلّا بقصد المشير بذلك أنّه يُشير لا من جهة المشار إليه»^(٢٤)، ومنه قوله عليها السلام: ﴿قَالَ آيَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، أي: بالإشارة^(٢٥)، وكذا الفعل (أوحى) الدالّ على معنى الإشارة في قصة النبيّ زكريّا عليه السلام نفسها ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]؛ إذ إنّ زكريّا عليه السلام كان ممنوعاً من الكلام؛ ومن هنا فإنّ دلالة الإيحاء هنا تحمل معنى الإشارة، وعلى هذا التأويل الإشاري، فإنّ الإشارة عبارة عن إيحاء بالمعنى المقصود دون تحديد مقصود متعيّن كما يحصل في العبارة^(٢٦)، وإنّها -أيضاً- قد تبدو بمنزلة اللُّغة الباطنيّة للعبارة حين تكتسب استعمالها الدّيني بوصفها لغة إلهيّة^(٢٧). وهذا المعنى التأويلي المذكور يشكّل توسّعاً في الإشارة الصّامته إلى المنطوقة بالمعنى الاعتباري؛ نتيجة التقادم في العصور اللّغويّة، وللحاجة إلى التوسّع الدلالي، من دون التفريط بالمعنى المعجمي الذي لم أجد له

تحديداً قريباً من المعنى المستعمل، فكل الذي قالوه عن اللفظ أنه يعني (تحديد الأسنان)، ولكن صاحب المنجد ذكره مفصلاً بقوله: «التأشير هو في اصطلاح دواوين الحكومة وضع إشارة كالتوقيع على ورقة من الأوراق الرسمية دلالة على الاطلاع عليها»^(٢٨).

ولما كانت القصديّة في إيصال الخطابات الدنيّة حاضرة في النصّ القرآنيّ، فلا مانع من أن يكون المعنى الإشاريّ هو المدلول الالتزاميّ عينه في الدرس الأصوليّ، فدلالة الالتزام لا تعني خروج الخطاب عن القصديّة، ولكن تداوليّة الاستلزام الحواريّ التي يقول بها (غرايس) تترك مساحة للتفكير في الوصول للمعاني القرآنيّة ذات الدلالات غير المباشرة؛ لذا فهي معانٍ مقصودة استعمالاً وجداً، كما في قوله ﷺ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإنّه بطرح الحولين (٢٤ شهراً) من الثلاثين شهراً يكون الباقي ستّة أشهر، وهي المدة المسماة بـ«أقلّ مدة الحمل»^(٢٩)، وهذا المعنى المشار إليه من التوفيق بين الآيتين الشريفتين والمستلزم لغويّاً، لا شكّ أنّه مقصودٌ في نفسه، غاية ما في الأمر أنّ القصديّة فيه هي قصديّة إشاريّة، وليست مباشرة، ويُتوصّل إليها بالأعمال العقليّة في السياقات النصّيّة بعد التوفيق بين الآيات الحاكية عن موضوع واحد، كما هي المعاني القرآنيّة المستوحاة من التفسير الموضوعيّ، وهو خلاف مذهب الأصوليّين القائلين بعدم قصديّة المعنى الإشاريّ؛ لأنّه يفتقر للدلالة المباشرة على المقصود، فاللجوء للمعنى الإشاريّ (المستلزم لغويّاً) يُخرجه عن القصديّة، مستدلّين بالآية ذاتها، ويقولهم: «وجوب المقدّمة لوجوب ذي المقدّمة»^(٣٠)، أي

إنَّ مقدِّمة الواجب ليست واجبة في نفسها، وإنما صارت واجبة؛ لأنَّها قنطرة للواجب، فالوضوء في ذاته ليس واجباً، ولكنَّه لما صار مقدِّمة للصَّلاة الواجبة صار واجباً، فهو واجب غيري لا نفسي، وهذا لا يمكن قبوله في النُّصوص القرآنيَّة ألبتَّة؛ لأنَّ القصدية القرآنيَّة هي الدَّاعي وراء الخطابات الإِبلَغيَّة، وبدونها لا جدوى من الخطاب أصلاً، ولكنَّ اللُّجوء إلى المعاني الإِشاريَّة هو من القيم اللُّغويَّة العليا في النَّصِّ القرآنيِّ كي يُعطى للمتلقِّي مساحة من التفكير للوصول إلى المقاصد الإِلهيَّة، فالبحث فيه لا في اللُّغة، بل فيما وراء اللُّغة، «ومن هنا ينبغي التفريق بين المعنى اللُّغويِّ والمعنى المقصود؛ فالمعنى اللُّغويُّ هو المعنى المفهوم من طريق اللُّغة وحدها، والمعنى المقصود هو المفهوم من القولة المستخدمة في ظلِّ عناصر المساق»^(٣١).

ومع هذا، فالإشارة مع أنَّها مقصودة للمبدع، فهي تدخل في الفهم التَّأويليِّ الباطنيِّ، لا التفسيريّ الظاهريِّ، وإنَّ كانت قريبة من الفهم الطَّبِيعيِّ لرواد النَّصِّ ومتلقِّيهِ، لكنَّها - كما يتَّضح - فهم معرفيٌّ كُشفيٌّ إنَّما يتحصَّل بعد إمعان الفكر في الخطاب القرآنيِّ، فهو من المناشئ المعرفيَّة القريبة على الفهم الذوقيِّ، وهذا يقع ضمن أبجديَّات التَّأويل للمتصدِّين للعمليَّة التَّأويليَّة كواحدة من مقدِّمات الفهم القرآنيِّ، فلا فهم بلا قِليَّات إسقاطيَّة تُعطي المتلقِّي الفهم بمقدار قِليَّاته المعرفيَّة تلك ضمن مراتب ثلاث: الإشارة القريبة الفهم، واللَّطائف المتوسِّطة الفهم، والحقائق البعيدة الفهم^(٣٢).

وبعد هذه الرِّحلة الإِشاريَّة يقطع الجاحظ جازماً بتفضيل الدَّلالة الإِشاريَّة الصَّامتة على الدَّلالة الصَّوتيَّة المنطوقة، بقوله: «هذا، ومبلغ الإشارة أبعد من

مبلغ الصوت، فهذا -أيضاً- باب تتقدّم فيه الإشارة للصوت^(٣٣)، مع أنه يُعطي توضيحاً تعريفيّاً واضحاً عن الصوت الذي يعنيه حين قال: «الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يُوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً، إلاّ بظهور الصوت»^(٣٤).

ولعلّ معنى الإشارة ذات المدلول الالتزاميّ القرآنيّ قريبة من الإشارة التي ذكرها الجاحظ -فيما بعد- حين أراد أن يرسم علاقة الاشتراك بين اللفظ والإشارة؛ إذ قال: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخطّ»^(٣٥)، وهذا تصريحٌ منه إلى حيثيّات المبنى الإشاريّ في الرؤية المعاصرة لدراسة النصّ القرآنيّ المحمولة على الدلالة الالتزاميّة غير التصريحيّة، وهي دلالة أبلغ إلى ذهن المتلقّي حين يكون المتكلّم قاصداً، «فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وجليّة موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها في الإشارة بالطرف والحاجب، وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويُخفونها من الجليس وغير الجليس»^(٣٦)، وبعد ذلك يُعطي الجاحظ التلميح الإشاريّ فهماً فوقيّاً خاصّاً له ذوقه الفنّي في الاستعمال اللّسانيّ؛ إذ قال: «ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاصّ، ولجهلوا هذا الباب ألبتّة، ولولا تفسير هذه الكلمة يدخل في باب صناعة الكلام لفسرتها لكم»^(٣٧)، أي إنّها -عنده- لا تدخل في المعنى الخاصّ الذي عليه الدلالة التخاطبيّة في معظم مجالات التحوّل اللّسانيّ، لكنّها من الدلالة التي تطلب ما بعد المعنى، وقوله: «خاصّ الخاصّ» يُشير إلى ملمح من ملامح المفاهيم القرآنيّة الذي يمكن

تسميته بـ(نصّ النصّ) أو (فهم النصّ)، ولا محذور إذا سُمّي بـ(فهم الفهم)، الذي هو النصّ الإشاريّ الزائد على النصّ ولید له؛ كونه يحمل دلالة تصديقيّة نحويّة في التركيب السياقيّ تزيد على الاستعمال السياقيّ التي هي القصدية في الخطاب، بل تحمل معنىً يربو على القصدية الخطابية تُعرف بالقصد الجدّي غير القابل لترك العمل بمضمون الخطاب، وهي التي يسمّيها الأصوليون بالدلالة التصديقيّة^(٣٨).

ويبدو ممّا مرّ في تحديد الدلالة الإشاريّة أنّ استعملها فيها بعد عصر الجاحظ -أي: بعد القرن الثالث الهجريّ- أخذ مدلولاً واسعاً لم يقف عند فهمه لها، وهذا الفهم الجاحظيّ له اتجاهان:

١- دلالتها مقتصرة -عنده- على حركة الوجه والرأس واليد والثوب، وغيرها من الحركات التي يعملها المتكلّم.

٢- هذه الدلالة ليس لها تطبيق وحضور إلّا في السياقات النصّية المنطوقة، فلا وجود لها في النصوص المكتوبة، بدلالة أنّ الجاحظ كان قد علّقها على الكلام المنطوق حين وقفها على حركات الجسم، بيد أنّها صارت -فيما بعد- من الدوالّ الموصلة إلى المعنى المقصود للنصوص المنطوقة والمكتوبة.

ولا غرو من هذا التضييق الدلاليّ لمفهوم الإشارة؛ إذ إنّ هذا المعنى هو المستعمل في البيئة البصريّة التي كان الجاحظ واحداً منها يومذاك، ولكنّ التوسّع الدلاليّ للمصطلح نتيجة الحاجة إلى ذلك أعطاه معنىً جديداً فيما بعد.

٣- دلالة العقد الحسابي

تبدو هذه الدلالة من الدلالات المختصة بالبيئة البصرية التي كانت تكتنف الجاحظ ذا الفكر المعتزلي، فهي منشأ الآصرة الأبستمولوجية التي تربط الجاحظ بمذهب الاعتزال العقلي، ومدى تأثره بأفكار معتنقيه، وليس لهذه الدلالة - في البيئة المعاصرة - حضور في مجال الفهم في النصوص القرآنية، نعم، إن التطبيق الحسابي في الحياة البشرية في معظم مفاصل التعاملات الحياتية تتعكز على المنظومة الحسابية؛ إذ تشكّل المقادير الحسابية وظيفة للتعاطي مع كل ما يدخل في حياة البشر على المستويين المادي والمعنوي، ومن هنا يقول الجاحظ: «وأما القول في العقد، وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به، قول الله ﷻ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال جلّ وتقدّس: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ١-٥]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [يونس: ٥]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ [الإسراء: ١٢]»^(٣٩)، وبعد هذا التّطواف في النصوص القرآنية التي ساقها الجاحظ دليلاً على أنّ الدلالة الحسابية واحدة من الدلالات التي تنفع في فهم النصوص القرآنية وغير القرآنية يبقى الكلام - في فائدة هذه الدلالة - حكرًا على البيئة الزمكانية التي كان عليها الجاحظ، وهي البيئة التي كانت تعتمد الحسابات الفلكية وغيرها في معظم مناشئ حياتهم، ولذا، فوجودها هنا

من أجل معرفة معنى هذه الدلالة فقط من دون العمل بها في المجال الدلالي؛ لمحدوديتها، ولانتفاء الحاجة لها في العصر الحالي، ولكن قبل ذلك ينبغي معرفة المدلول المعجمي لهذه الدلالة، والتي منها الحسبان، وهو: «جمع حساب، سُمي الحساب في المعاملات حساباً؛ لأنه يُعَلَّمُ به ما فيه كفايةً، وليس فيها زيادة على المقدار ولا نقصان، وقد يكون الحساب مصدر المحاسبة»^(٤٠)، وقد تكفلت الكتب بدراسة ظاهرة حركة الشمس والقمر والأرض، وكيفية حصول التغير اليومي والشهري والسَّنوي لفكرة التزامين المادي على الحياة البشرية، فالشمس والقمر «مَجْعُولَانِ حُسْبَانًا، أو محسوبان حُسبانًا، ومعنى جعل الشمس والقمر حُسبانًا جعلهما على حُسبان؛ لأنَّ حساب الأوقات يُعلم بدورهما وسيرهما- والحُسبان-بالضَّم: مصدر حسب، كما أنَّ الحِسبان-بالكسر-مصدر حسب. ونظيره الكُفران والشُّكران»^(٤١)، هذا معنى الحُسبان، وأمَّا معنى الحساب، فقد ذكر الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في تفسيره (مجمع البيان)، قوله: «لتعلموا: بالليل والنَّهار عدد السَّنين والشُّهور، وآجال الدِّيُون، وغير ذلك من المواقيت، ولتعلموا حسنات أعماركم وآجالكم»^(٤٢)، وليس هذا فحسب، «بل إنَّ مقدار كثافة وجاذبية ومسافة كلِّ منهما (الشمس والقمر) عن الأرض، هي الأخرى محسوبة بدقَّة وحساب (وحُسبان)»^(٤٣).

ولا أدري ما علاقة هذه المعاني الدالَّ عليها مفهوم الحساب والحُسبان بالوفرة الدلالية التي عليها دلالة اللفظ المفضي إلى المعنى؟ بخاصَّة أنَّ هذه المعاني القرآنيَّة قد تعمل في المعارف غير اللُّغويَّة كذلك حتَّى في زمن الجاحظ نفسه، أعني بها كلَّ المعاني التي تنطوي على مقولة الحُسبان والحساب، وهذا من المداليل المحدودة

حتى في البيئة الجاحظية، ولذا لست أدري كيف وأنى له جعلها في مصاف المعاني التي يتوخاها الدليل اللفظي؟ بل وعدّها من الدلالات المنطوية على معارف جمّة، فالحساب -عنده- «يشتمل على معانٍ كثيرة، ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله ﷻ معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخطّ والجهل بالعقد فسادٌ جُلّ النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كلّ ما جعله الله لنا قواماً ومصلحةً ونظاماً»^(٤٤).

٤- الدلالة الخطيئة

تشكّل ركائز الأسلوبية في الدرس اللساني المحور الميداني للمنظومة اللغوية في الإطار التخاطبي التواصلية التي هي: الباث، والمتلقي (المستقبل)، والرسالة (النص، الخطاب)، ولعلّ الوظيفة التخاطبية بوصفها محوراً من محاور الاتصال تضع بين يدينا ركيزة رابعة تشكّل قنطرة يمكنها أن تجميعنا عن علّة الخطاب وسببه، وبعبارة أخرى تصلح للجواب عن (لم كان الخطاب؟) وهذه الركيزة هو الهدف من وراء الخطاب، أو ما أهميّة الهدف الذي يرنو إليه الخطاب؟ بيد أنّ الهدفية قد تبدو مستوحاة من العملية التخاطبية نفسها فما من داعٍ إلى عدّها ركيزة قائمة برأسها، فما دمنا نحلّل نصوصاً قرآنية، فهي تنطوي على نظرية العقلنة في التخاطب (أفعال العقلاء معلّلة بالأغراض)، ومن هنا، فيمكن الاكتفاء بركائز ثلاث، أو استبدال الهدف بوسيلة الاتصال، أو وسيلة التلقي وهي التي بها انتقل الخطاب إلى المخاطبين؛ إذ «لا تكتمل العملية التخاطبية إلّا بحضور عناصرها الأربعة، وهي: (المخاطب، المخاطب، الخطاب، المساق)»^(٤٥)، وهذه الركيزة

تتنوع وسائلها بتنوع الخطابات المنطوقة والمكتوبة؛ إذ ينتقل الخطاب القرآني من مرحلة: (أُتْلُ، وَذَكِّرْ، وَقُلْ، وَأَنبَأْهُمْ) إلى مرحلة (إِقْرَأْ)، وهذا التنوع الخطابي يستبطن في بعض الأحيان ويستلزم دعوة للحث على القراءة، فقد كان القرآن مسموعاً منطوقاً في عصر نزول النص حين كان يُتلى على الناس من النبي ﷺ وأصحابه الحافظين له في الصدور، ولكن التغير في ظروف النزول أخذ ينحى منحى آخر بعد ذلك، حين صار مكتوباً مقروءاً، وهذا ما يُعطي أهمية كبيرة لما سمّاه الجاحظ بالخطّ، أو الدلالة الخطيّة، التي جعلها واحدة من مباني الفهم الدلالي في النصوص القرآنيّة، لا سيّما أنّ الآيات الشريفة حثّت عليها، وندبت إليها في عدّة نصوص، ويذكر الجاحظ هذا المعنى بقوله: «فأمّا الخطّ، فمما ذكر الله ﷻ في كتابه من فضيلة الخطّ والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيّه ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، وأقسم في كتابه المنزل على نبيّه المرسل، فقال: ﴿ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]» (٤٦).

ومهما يكن من أمر، فإنّ القرآن يندب المسلمين للتفكير والتدبر في آياته ونصوصه من دون الاحتكار على تلاوته أو قراءته ما دامت الغاية قد تحصل بواحدٍ منهما أو بكليهما، فالتلاوة تعني أنّ يكون النصّ القرآنيّ مسموعاً منطوقاً، وهذا المعنى هو الأصل القرآنيّ الذي نزل فيه، فالأصل فيه هو القرآن المشافه بدلالة قوله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، ولكن يُمكن القول بأنّ القرآن المكتوب يقف بالمسافة نفسها مع المنطوق، لا سيّما بعد عصر النزول القرآنيّ؛ ولذا يذكر الجاحظ أقوالاً تعضد هذا التوجّه، منها «قالوا: القلم أحد

اللّسانين،...، وقالوا: القلم أبقي أثراً، واللسان أكثر هذراً»^(٤٧)، أي إنّ النصّ القرآنيّ تحظى لغته بمكانتين اثنتين - كما يرى محمد أركون - «مكانة شفهيّة، ومكانة كتابيّة... المكانة الشفهيّة أو التبليغ الشفهيّ الأوّل ضاع إلى الأبد»^(٤٨)، فلا يُمكن الحكم والقول على أنّ «لغة القرآن لغة كلاميّة عمليّة، وليست لغة كتابيّة»^(٤٩)؛ لأنّ هذا الحكم سيغيّب على المستفيدين من القرآن الكثير من المعاني التي يُمكن الوقوف عندها في النصوص المنطوقة، فيكون هذا التغييب خلاف قولنا: إنّها لغة عالميّة فطريّة؛ إذ سيقصر فهمه على السّامعين له في عصر النّزول فحسب، وليس كذلك، فالكتاب ممّا لا يخضع لتحديدات زمنيّة أو مكانيّة، كما هي حال القرآن المنطوق ذي التّحديد التفسيريّ بعصر نزول النصّ حينما يرتبط تفسيره بأسباب النّزول، لتكون تلك الأسباب بمنزلة التقييدات الدلاليّة المهيمنة على عالميّة النصّ القرآنيّ، فتجعله قابلاً تحت فرضيّة السّبب في النّزول من دون السّماح له أن يُستشرف في مداليل مستقبلية أُخر، وهذا النّوع من التقييد النصّي لا نجد له حضوراً في النصّ القرآنيّ المكتوب الذي تبقى آثاره ومعارفه في متناول مريده على طول الوجود البشريّ، فهو «يقرأ بكلّ مكان، ويُدرس في كلّ زمانٍ واللسان لا يعدو سامعه، ولا يتجاوزه إلى غيره»^(٥٠).

فالقرآن المدوّن - إذاً - يُطلب فيه - بوصفه نظاماً معرفياً دينياً - البحث والاستقراء في معارفه وترجمتها على الواقع البشريّ على طول الخطّ الإنسانيّ، فعلى المتصدّين أن يستلهموا هذه المدوّنة المعرفيّة للامتياح من كنوزها غير المنتهية، وذلك عبر الفهم والتفسير والتأويل والتدبر والتفكير، فكلّ هذه المعاني تفتح نوافذ معرفيّة في القرآن لا تقف عند حدود العقل البشريّ، لاسيّما أنّ الفهم

شريك معرفي بين العقل والقلب بعد توافر شروط الفهم لنيل المعارف الإلهية حين ينطلق التفسير القرآني بغية الوصول إلى الفهم من النص نفسه، متخلياً- أعني: المفسر- عن فرض الإسقاطات القبليّة المستوحاة من بيئته، كي تكون تلكم الإسقاطات بمنزلة الآلة التي تعمل على ليّ أعناق النصوص القرآنية كي تأتي منسجمةً وبيئة المتصدي للعملية التفسيرية، أي إنه يُحاول «أن يُخضع النصّ للواقع، بدلاً عن التفكير في تغيير الواقع على أساس النصّ»^(٥١)، ولعلّ هذا المحذور كان وراء التنوع التفسيري على مرّ الزمان لكلّ المشتغلين في الوصول إلى الفهم القرآني المتاح؛ إذ يأتي هذا التنوع خاضعاً لقبليّات المفسر وبيئته التي هو منها، زد على ذلك أن التنوع في الفهم يُعزى كذلك إلى طبيعة الكينونة القرآنية ذات المحتوى المتشكّل من حقائق ومراتب مختلفة^(٥٢).

ويمكن القول بلا مانعة من الفهم الاسقاطي بناءً على قبليّات المفسر وبيئته التفسيرية على أن يكون المعنى الذي يحظى به المفسر -آنذاك- هو فهم المتلقي، لا فهم المبدع، أو هو المعنى الذي استطاع المفسر أن يقف عنده، وليس هو الفهم الحقيقي للنصّ القرآني، فتبقى قراءة النصّ القرآني جدلية قائمة بين الفهم وحيثيّات النصّ بغية الوصول إلى الحد الأدنى من مقاصد صاحب النصّ القرآني من دون التوقّف عند حدود دائرة القارئ والمقروء، خاصّة أن الرؤية المعاصرة للمشتغلين في مجال الفهم القرآني ترفض هرطقة النصّ القرآني؛ بأن يفهم النصّ في ضوء النظرية (الهرمنيوطيقية) كما يسوّقها (شلاير ماخر) على وفق أسسها المعروفة القائمة على عزل النصّ عن مبدعه -تماماً- حتّى الوصول إلى ما نادى به النّاقد الفرنسي (رولان بارت) القائل: ب(موت المؤلّف)، حين يكون النصّ وجهاً

لوجه مع المتلقي فقط بعد عزله عن صاحبه، فيكون القارئ هو البطل الحقيقي للنص، إلا «إن الذين أعلنوا موت المؤلف لا يستطيعون إنكار أن النص تراث من تركته، وأن القارئ وارث لهذه التركة لا يثبت لنفسه حقاً في الاستمتاع بها إلا بعد أن يثبت صلته بالمورث»^(٥٣)، أي إن الذهنية الإسلامية ينبغي حضورها عند الوقوف بين يدي القرآن بوصفها صلة القربى بين النص والمتلقي، في حين أن دعاة التفسير الهرمنيوطيقي ذهبوا إلى أبعد من (موت المؤلف) حين نادوا بتعدد القراء، عندما تكون للنص القدرة على الإنفلات من بين يدي مؤلفه - كما يرون، فهو قابل على أن ينفلت من متلقيه إلى متلق آخر، وهكذا يزيد في عدد متلقيه، مُنزلين النص القرآني منزلة الكلام البشري، وبذا صرح الدكتور نصر حامد أبو زيد، بقوله: «النصوص دينية كانت أم بشرية محكومة بقوانين ثابتة، والمصدر الإلهي لا يُخرجها عن هذه القوانين؛ لأنها تأنسنت منذ تجسدت في التاريخ واللغة، وتوجهت بمنطوقها ومدلولها إلى البشر في واقع تاريخي محدد»^(٥٤)، وإن التركيز على البعد الغيبي في النص القرآني - كما يرى الدكتور نصر حامد أبو زيد - بعد إهدار بعده الإنساني يُحيل النص القرآني إلى أسطورة^(٥٥).

ولست هنا في مقام المقارنة بين الفكر الهرمنيوطيقي والفكر الإسلامي في دراسة النص القرآني، لكنني أستطيع القول بأن النظرية الهرمنيوطيقيّة لو قُدر لها صلاحية الفهم اللغوي للنصوص، فيمكن انسجامها مع النصوص النفعيّة البراجماتيّة، تلك التي تعتاش في كثير من أحيائها على زيادة عدد المتلقين، كي تحظى بإثراء النص وخصوبته؛ إذ إن ميدانه الوحيد - أعني النص النفعي - هو ما يقدمه المتلقي من نقد وتوجيه يسهمان في خصوبة النص المرسل وإثرائه، وهذا

المعنى بعيداً كل البعد عن النصّ القرآنيّ لأسباب:

- ١ - الباطُّ واحدٌ في النصّ القرآنيّ، وهو واحدٌ بلا مثلٍ أو قرين، فلا قيمة للثراء أو الخصوبة النّقدية في النصّ القرآنيّ لانعدام المماثل في النصّ والباطُّ معاً.
- ٢ - المساحة التفسيرية التي وهبها النصّ القرآنيّ للمتصدّين إنّما يتوخّى منهم فهم الخطابات القرآنية ليطبّقوا المقاصد التي تتضمّنّها تلك الخطابات لا لإثرائها، وهي الغاية التي يتوخّاها النصّ القرآنيّ، التي قد تغيب تماماً في كثيرٍ من النصوص البشرية التي تُكتب من أجل الكتابة فقط.
- ٣ - القرآنُ محكومٌ بنصّه التعبدّي غير المسموح لأيّ متلقٍّ الزيادة أو النقيصة فيه.

٤ - التّنوع الدّلاليّ الذي يتوصّل إليه المشتغلون يمثل معنى النصّ، لا النصّ نفسه.

وهذا التّنوع في فهم النصّ القرآنيّ يُمكن أن يتجلّى في التّاج التفسيريّ لمعظم المشتغلين في العملية التفسيرية؛ بغية الحصول على الفهم الراجح للنصّ القرآنيّ؛ إذ سنكتشف أنّ أغلب التفسيرات إنّما هي مزيج من: بيئة المفسّر الزمكانيّة + الذات المفسّرة (القبليّات الثقافية التي تكتنف المفسّر).

٥- دَلَالَةُ التَّفَكُّر

لا شكّ في أنّ الجاحظ ممّن كان للتأثيرات البيئية والظروف القبليّة حضور واضح له تجلّى في تلك الشذرات الدلاليّة التي أولاهها اهتماماً في فهم النصوص الدينيّة وغير الدينيّة، فقد انتقل من الدلالة اللفظيّة إلى دلالة السياقات الحاليّة،

بعد أن أشار إلى معنى التفكير مستعيناً بقرينة خارجية هي قرينة السياق الحالي، التي سماها (النَّصْبَة) أو الحال، فقال عنها: «أما النَّصْبَة، فهي الحال النّاطقة بغير اللَّفْظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السَّمَوَات والأَرْض، وفي كلِّ صامتٍ وناطقٍ، وجامدٍ ونامٍ، ومقيمٍ وظاعنٍ، وزائدٍ وناقصٍ، والدَّلالة التي في الموات الجامد كالدَّلالة التي في الحيوان النّاطق، فالصّامت ناطق من جهة الدَّلالة، والعجماء مُعَرِّبة من جهة البرهان، ولذلك قال الأوّل: سَلِ الْأَرْضَ فَقُلْ: مَنْ شَقَّ أَنْهَارَكَ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ، وَجَنَى ثِمَارَكَ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَاراً، أَجَابَتْكَ عِتْبَاراً»^(٥٦)، ويتّضح التّأثير العقلي المنطقي عند الجاحظ بمدرسة الاعتزال البصريّة من خلال المفاهيم المنطقيّة التي تضمّنها كلامه الآنف؛ لأنّ الدَّلالة المذكورة هي من مقتضيات الأعمال العقليّة بعد التفكير السّياحي في الآفاق الإلهيّة كي يكون هذا التفكير بمنزلة الدّليل العقليّ على الخالقيّة، وعلى وجود الصّانع، الذي لم يأت هذا الكون إلّا عنه، وهو ما يسمّيه علماء الكلام ببرهان النّظم، وهو من أيسر البراهين الوجدانيّة الدّالة على وجود الصّانع الحكيم لهذا الكون الفسيح، لا سيّما بعد التمعّن في الآيات الدّالة على هذه السّياحة الآفاقيّة كقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. فالفهم عند الجاحظ لا يقف عند الدَّلالة اللَّفْظيّة في السّياقات التركيبيّة الإجرائيّة التي تضمّنها النّصوص القرآنيّة، بل هو يتوسّل بكلّ القرائن السّياقيّة والحاليّة الموصلة إلى فهم النّص القرآنيّ، ولو كان ذلك الدّليل صامتاً، ومن هنا يقول: «ومتى دلّ الشيء على معنى، فقد أخبر عنه، وإن كان صامتاً،

وأشار إليه وإن كان ساكتاً. وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه في أفراط الاختلافات»^(٥٧)، ومن الملاحظ أن المعرفة التفكيرية (النسبة) ليست فهماً لكل ما جاء في القرآن، إنما هي معرفة مقيّدة للتعرف على خالق الكون عبر مخلوقاته، ولا شك في أن هذه المعرفة ليست حِكراً على التدبّر في النصّ القرآنيّ أو وقفاً عليه، بل هي حاصلة بأدنى تدبّر وتمعّن في الصّناعة الكونيّة القائلة بوجود الصّانع الحكيم، التي هي آيات للوصول إليه ﷻ، ووظيفة القرآن الكريم في ذلك هي الدّعوة إلى التفكّر، ومن هنا يقول الباقلانيّ (ت ٤٠٣ هـ) معقّباً على قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر: ١٣]: «فأمَرَ بالنّظر في آياته وبراهينه»^(٥٨)، وأمّا محيي الدّين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ)، فقد ربط بين مفهوم الإشارة، وبين المعرفة الآفاقيّة في الآية الشّريفة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣]، إذ قال: «يعني الآيات المنزلة في الآفاق، فكلُّ آية منزلة لها وجهان، وجه في أنفسهم ووجه يروونه فيما خرج عنهم، ويسمّون ما يرون في أنفسهم إشارة»^(٥٩).

ومهما يكن من أمرٍ، فليست هذه الدّلالة ممّا تُناسب مضمون هذه الدّراسة التي اقتفاها عنوان البحث؛ لذا سأكتفي بها المقدار من التّوضيح تاركاً المزيد لدراسةٍ تناسبها.

الخاتمة

- في ضوء ما تقدّم، أمكن القول بالوصول إلى النتائج الآتية:
- ١- يشكّل الفهم الأصل في الوصول إلى المقاصد القرآنيّة بشقيها: التفسيرية، والتأويلية، فهو المعطى الذي يتوخّاه طالب النصّ القرآنيّ.
 - ٢- الفهم ليس محجوباً عن طالبيه، بل هو بابّ مشرّع لكلّ قاصدٍ للتوضيح في معاني النصوص القرآنيّة.
 - ٣- الإشارة الجاحظيّة المقصورة على حركات الجسد لا تشكّل وحدها باباً للحصول على المعاني المقصودة، إلّا في حدود اللغة المنطوقة.
 - ٤- دلالة العقد أو الحساب الجاحظيّة ليس لها استعمال إلّا في حدود ضيقة من مجال الاستعمال اللغويّ وغير اللغويّ.
 - ٥- المشاكل التي تعترض طريق المفسّرين تنشأ من أمرين:
أ- الأحكام المسبقة التي يفرضها دارسو النصوص القرآنيّة، أي: القبلية الذاتية للمفسّر.
ب- الوقوف بين يدي القرآن بهيأة المعلم لا المتعلّم، فيقع الخلل في فهم النصّ -نتيجة ذلك- لا النصّ نفسه.
 - ٦- النداء الهرمنيوطيقي المطالب بموت المؤلف لا يحقّ له أن يحكم النصّ

- القرآني، أو يُحكم به؛ لأوحدية النص وأوحدية صاحبه.
- ٧- دلالة التفكر في الآفاق ليست وقفاً على النص القرآني، بل تعمل في كل آثار الخالق، غير أن القرآن يدعو إلى ترجمتها على الواقع من حيث التدبر والتفكر.
- ٨- ركائز النظرية الهرمنيوطيقية تنسجم مع النصوص النفعيّة، تلك التي يكون عنصر الجذب فيها متوسطاً بزيادة عدد المتلقين والنقاد.

الهوامش

- ١- يُنظر: دروس في علم الأصول، السيّد محمد باقر الصّدر: ١/ ١٥٠-١٥١.
- ٢- يُنظر: منطق الخطاب القرآني، دراسات في لغة القرآن، الدكتور محمد باقر سعيدي روشن: ص ٢٥٦.
- ٣- العين: ٤/ ٦١ (فهم).
- ٤- المفردات: ص ٥٧٥ (فهم).
- ٥- التعريفات: ص ١٣٩.
- ٦- الفروق اللّغويّة: ص ٨٧.
- ٧- يُنظر: علاقة اللّغة بالفكر وأثرها في فهم القرآن الكريم (بحث)، الدكتور محمد الربيعي: ص ٢٤٢.
- ٨- نقد الخطاب الديني: ص ١١٠.
- ٩- يُنظر: شخصيّة المفسّر وأثرها في تفسير القرآن الكريم (بحث)، محمد عليّ إيازي: ص ١٣١.
- ١٠- يُنظر: المدرسة القرآنيّة: ص ٢٩٧.
- ١١- يُنظر: تسنيم في تفسير القرآن، الشّيخ جواد آملّي: ١/ ١٢٣.
- ١٢- يُنظر: منهج فهم القرآن وإشكاليّة المحدّدات البنيويّة للتفسير (بحث)، الشّيخ محمد الحساني: ص ٦٤.
- ١٣- البيان والتبيين: ١/ ٦٠.
- ١٤- مراتب فهم القرآن، د. طلال الحسن: ص ١٥٩.
- ١٥- البيان والتبيين: ١/ ٧١.
- ١٦- المصدر نفسه: ١/ ١١.
- ١٧- يُنظر: الخطاب القرآنيّ دراسة في البعد التداولي، د. مؤيّد آل صوينت: ص ١٣.

- ١٨- يُنظر: المعنى وظلال المعنى/ أنظمة الدلالة في العربية، د.محمد محمد يونس: ص١٤٨.
- ١٩- يُنظر: الأخطاء التاريخية في عملية التفسير (بحث)، د.طلال الحسن: ص٢٢.
- ٢٠- يُنظر: المعنى وظلال المعنى / أنظمة الدلالة في العربية: ص١٤١.
- ٢١- البيان والتبيين: ١/ ٦٠.
- ٢٢- المصدر نفسه: ١/ ٦٠.
- ٢٣- المصدر نفسه: ١/ ٦١.
- ٢٤- الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي: ١/ ٣٣٦.
- ٢٥- يُنظر: المصدر نفسه: ١/ ٢٣٣.
- ٢٦- يُنظر: فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، نصر حامد أبو زيد: ص٢٦٧.
- ٢٧- يُنظر: المصدر نفسه: ص٢٦٨.
- ٢٨- المنجد في اللغة، لويس المعلوف: ص١٢ (أشر).
- ٢٩- يُنظر: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي: ٩/ ٢٧٥.
- ٣٠- يُنظر: أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر: ٢/ ٢٤٥.
- ٣١- المعنى وظلال المعنى: ص١٤١.
- ٣٢- يُنظر: الأخطاء التاريخية في عملية التفسير: ص٣٧.
- ٣٣- البيان والتبيين: ١/ ٦٢.
- ٣٤- المصدر نفسه: ١/ ٦٣.
- ٣٥- المصدر نفسه: ١/ ٦١-٦٢.
- ٣٦- المصدر نفسه: ١/ ٦١-٦٢.
- ٣٧- المصدر نفسه: ١/ ٦١-٦٢.
- ٣٨- يُنظر: أصول الفقه: ١/ ٢٣.
- ٣٩- البيان والتبيين: ١/ ٦٣.
- ٤٠- تاج العروس، محب الدين أبي الفيض الزبيدي: ١/ ٤١٨ (حسب).
- ٤١- الكشف، الزمخشري: ٢/ ٤٧-٤٨.

- ٤٢- مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢٦/٦.
- ٤٣- الأمثال في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢٧٣/٧.
- ٤٤- البيان والتبيين: ٦٤/١.
- ٤٥- المعنى وظلال المعنى: ص ١٥١.
- ٤٦- البيان والتبيين: ٦٣/١.
- ٤٧- المصدر نفسه: ٦٣/١.
- ٤٨- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: ص ٣٨.
- ٤٩- التوافق بين الفطرة ولغة الدين والقرآن (بحث)، رمضان علي تبار فيروزجاني: ص ١٥١.
- ٥٠- البيان والتبيين: ٦٣/١.
- ٥١- اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر: ص ٣٨٤.
- ٥٢- يُنظر: فهم القرآن دراسة في ضوء المدرسة السلوكية، د. جواد علي كسار: ص ٢٥٣.
- ٥٣- البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: ص ٤٨٩.
- ٥٤- نقد الخطاب الديني: ص ١١٠.
- ٥٥- يُنظر: المصدر نفسه: ص ١٠٦.
- ٥٦- البيان والتبيين: ٦٤/١.
- ٥٧- المصدر نفسه: ٦٤/١.
- ٥٨- إعجاز القرآن: ص ١٣.
- ٥٩- الفتوحات المكية: ٣٣٦/١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- الأخطاء التاريخية في عملية التفسير، د. طلال الحسن، مجلة المصباح، العدد التاسع والعشرون، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧.
- ٢- أصول الفقه، الشيخ محمد رضا المظفر، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (د.ت).
- ٣- إعجاز القرآن، أبو بكر، محمد بن الطيب، الباقلاني (٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، (د.ط)، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- ٤- اقتصادنا، السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.
- ٥- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٦- البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، الدكتور تمام حسان، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- ٧- البيان والتبيين، أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، ط ٢، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٨- تاج العروس، محب الدين، أبو الفيض الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٩- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط ١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.

- ١٠- تسنيم في تفسير القرآن، الشيخ عبد الله، الجواد، الطبري، أملي، تحقيق: الشيخ عبد المنعم الخافقي، تعريب: السيد عبد المطلب رضا، ط ٢، دار الإسراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ١١- التعريفات، الشريف علي بن محمد، الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ١٢- التوافق بين الفطرة ولغة الدين والقرآن، رمضان علي تبار فيروزجاني، بحث ضمن كتاب: لغة القرآن مسائلها وقضاياها، ترجمة: أحمد بكر، ط ١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٦م.
- ١٣- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، الدكتور مؤيد عبيد آل صوينت، ط ١، مكتبة الحضارات، بيروت-لبنان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- ١٤- دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر (ت ١٩٨٠م)، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١٥- شخصية المفسر وأثرها في تفسير القرآن الكريم، محمد علي إيازي، مجلة دراسات معاصرة، العدد (٣)، ٢٠١٦م.
- ١٦- علاقة اللغة بالفكر وأثرها في فهم القرآن الكريم، الدكتور محمد الربيعي، مجلة قراءات معاصرة، العدد (٣)، ٢٠١٦م.
- ١٧- العين، الخليل بن أحمد، الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط ٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.
- ١٨- الفتوحات المكيّة، محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ)، قرأه وقدم له: نواف الجراح، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ١٩- الفروق اللغويّة، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، حققه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، (د.ط)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- ٢٠- فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، الدكتور نصر حامد أبو زيد، ط ٥، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠٠٣م.
- ٢١- فهم القرآن دراسة في ضوء المدرسة السلوكيّة، جواد علي كسار، ط ١، مؤسسة العروج، إيران، ١٤٢٤هـ.

- ٢٢- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ٢٣- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر، الزمخشري، الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، رتبّه وضبطه وصحّحه: محمد عبد السلام شاهين، ط٣، دار الكتب العلميّة، منشورات محمد عليّ بيضون، بيروت-لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحقّقين الأخصائيّين، ط١، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٢٥- المدرسة القرآنيّة، السيّد محمد باقر الصّدر، ط٢، مطبعة شريعت، مركز الدّراسات التخصصيّة للشّهد الصّدر، قم، ١٤٢٤هـ.
- ٢٦- مراتب فهم القرآن، الدّكتور طلال الحسن، ط١، دار القارئ، لبنان، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- ٢٧- المعنى وظلال المعنى / أنظمة الدّلالة في العربيّة، محمد محمد يونس عليّ، ط٢، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٢٨- مفردات الراغب الأصفهانيّ، الحسين بن محمد بن المفضّل، الأصفهانيّ (٥٠٢هـ)، (د.ط)، دار المعروف للطباعة والنّشر، بيروت، (د.ت).
- ٢٩- المنجد في اللّغة، لويس معلوف، ط٢٦، دار المشرف، انتشارات إسماعيليان، بيروت، ١٣٦٢هـ.
- ٣٠- منطق الخطاب القرآنيّ، دراسات في لغة القرآن، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة: رضا شمس الدّين، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، بيروت، ٢٠١٦م.
- ٣١- منهج فهم القرآن وإشكاليّة المحدّدات البنيويّة للتفسير، الشّيخ محمد الحسّانيّ، مجلّة قراءات معاصرة، العدد (٣)، ٢٠١٦م.
- ٣٢- نقد الخطاب الدينيّ، الدّكتور نصر حامد أبو زيد، ط٣، المركز الثقافيّ العربيّ، المغرب، ٢٠٠٧م.

الحصارُ الفارسيُّ لمدينةِ البصرةِ عام (١٦٢٤-١٦٢٥)
وَفُق مشاهداتِ الرَّحَّالَةِ الإِيطاليِّ (ديلا فاليه)

The Persian siege of Basra (1624-1625)
According to Della Valle , the Italian Traveler

أ.م.د فاطمة فالح جاسم - م. فاطمة عبد الجليل ياسر
جامعة ذي قار/ كَلِيَّةُ التَّربِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ/ قِسمُ التَّأْرِيخِ

By

Dr. Fatima F. Jassem, Assistant Professor,

Fatima A.J. Yasser, Lecturer,

Department of History,

College of Education for Human Sciences,

Dhi Qar University

ملخص البحث

برزت كتابات الرّحالة الأجانب جوانب مهمّة من حياة المدن، سواء على الأصعدة السّياسيّة، أم الاقتصاديّة، أم الاجتماعيّة، وبهذا ساعدت على التعرّف على تلك الجوانب المهمّة من تاريخ المدن بشكل عامّ، وتعدّ كتابات الرّحالة الأجانب من المصادر المهمّة لدراسة تاريخ العراق إبّان العهد العثمانيّ؛ لأنّ أهمّيّتها تكمن لا في عددها الضّخم، وإنّما في مادّتها الغزيرة، ومنهجيتها التي درست جوانب مختلفة وممتعة من تاريخ العراق الحديث.

ومن خلال رحلة الرّحالة الإيطاليّ (ديلا فاليه) ومشاهداته للمناطق والمدن التي زارها، فقد ساعد ذلك على إعطاء صورة واضحة عن الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة لتلك المدن، ومنها البصرة؛ إذ إنّهُ أعطى وصفاً للوضع السّياسيّ في البصرة المتمثّل بالحصار الفارسيّ على المدينة من قبل الشّاه عبّاس الأوّل من أجل فرض سيطرته عليها، من خلال التطرّق لقوّة الجيش الصّفويّ من ناحية عدده، وموقف السّلطة الحاكمة والأهالي منه، فضلاً عن مساندة القوّة البرتغاليّة؛ إذ استعان بهم عليّ باشا أفراسياب في تأمين الحدود البحريّة للمدينة.

Abstract

The writings of foreign travelers help to highlight important aspects of cities from political, economic, and social perspectives. This has helped readers to be acquainted with the history of cities in general. These writings are of special importance to study the history of Iraq during the Ottoman Period. Also, these writings provide a rich material that covers various aspects of the modern history of Iraq. In this respect, the trip made by traveler Della Valle and his observations of many cities and places helped to draw a clear picture of the political, social, and economic aspects of these cities including Basra. He, for example, described the Persian siege of Basra by Shah Abbas the First who tried to occupy it. He touched on the power of the Safavid army, the attitude of the ruling authority and people towards it, let alone the support of

the Portuguese whom Ali Pasha Afrasiab asked for help to secure the marine frontiers of the city.

مقدمة

تُعَدُّ دراسةُ الرَّحلاتِ من الدِّراساتِ المهمَّةِ؛ إذ إنّها تمثِّلُ مادَّةً مهمَّةً في دراسةِ التَّاريخِ الحديثِ؛ كونها تُعَدُّ مشاهدةً مباشرةً للحدثِ التَّاريخيِّ، وإنَّها تُعَدُّ -أيضاً- دراسةً مهمَّةً للأحوالِ السِّياسيةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ للمدن التي زارها الرَّحَّالَةُ الأجنبيُّ، وإنَّ دراسةَ تلكِ الرَّحلاتِ تعطينا تصوُّراً واضحاً عن طبيعةِ حياةِ الإنسانِ في تلكِ الأزمنةِ التي حصلتُ فيها الرَّحلةُ، وإنَّها -كذلك- تُصوِّرُ لنا طبيعةَ الأحداثِ والتطوُّراتِ الحاصلةِ في بلدٍ ما عن طريقِ زيارةِ الرَّحَّالَةِ ذلكَ البلدِ.

والرَّحلةُ المعنيَّةُ في دراستنا المعنونة (الحصارُ الفارسيُّ لمدينةِ البصرةِ عام ١٦٢٤-١٦٢٥ وفقَ مشاهداتِ الرَّحَّالَةِ الإيطاليِّ ديلا فاليه)، امتازت بنقلها للإحداثِ السِّياسيةِ والاجتماعيَّةِ التي كانت سائدةً في البلاد؛ إذ إنّهُ كان يضعُ وصفاً عن الوضعِ السِّياسيِّ للبلدِ، فضلاً عن اهتمامه بشخصيَّاتِهِ الحاكمةِ، وخلال رحلتهِ إلى العراقِ أعطى لنا تصوُّراً واضحاً عن مدينةِ البصرةِ في أثناءِ الحصارِ الفارسيِّ من خلالِ توثيقهِ الحياةِ السِّياسيةِ والاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّةِ والحضاريَّةِ فيها، وهنا تأتي أهميَّةُ هذهِ الدِّراسةِ في كونها وصفُ الحالةِ أو الوضعِ السَّائدِ في مدينةِ البصرةِ بجميعِ جوانبها المختلفةِ.

تضمّن البحث ثلاثة مباحث ومقدّمة وخاتمة، تطرّق المبحث الأوّل إلى أهميّة دراسة الرّحلات وأهدافها من النّاحية التّاريخيّة، في حين جاء المبحث الثّاني ليقّش أسباب الحصار الفارسيّ للبصرة، وما رافقه من ظروف سياسيّة ساعدت على اتّخاذ الشّاه عبّاس الأوّل قرار احتلال المدينة، ودرس المبحث الثّالث مشاهدات الرّحالة (ديلاًفاليه) للحصار الذي أوضح في كتاباته الوضع السّياسيّ للقوى السّياسيّة في مدينة البصرة وموقفها من الحصار. اعتمد البحث على مجموعة من المصادر المتنوّعة، منها: كتاب رحلة (ديلاًفاليه) إلى العراق مطلع القرن السّابع عشر، فضلاً عن الرّسائل والأطروحات الجامعيّة، والكتب التّاريخيّة، والمجلّات الأكاديميّة، التي كان لها إسهام واضح في البحث.

المبحثُ الأوَّلُ

أهميَّةُ دراسةِ الرِّحالاتِ وأهدافها

تُعَدُّ كتاباتِ الرِّحالةِ الأجنبيِّ من المصادرِ المهمَّةِ لدراسةِ تاريخِ العراقِ إبَّانَ العهدِ العثمانيِّ؛ لأنَّ أهميَّتها تعودُ إلى مادَّتها الغزيرةِ ومنهجيتها التي درست جوانبَ مختلفةً وممتعةً من تاريخِ العراقِ الحديثِ، ولا نعرفُ بالضبطِ عددَ تلكِ الرِّحلاتِ، ففي الوقتِ الذي ذكر فيه لونكريك (٧٦) رحلةً أغلبها أوربيَّةٌ^(١)، قدَّرها بعضُ الباحثينَ العراقيينَ بما يقربُ من (٣٠٠) رحلةً^(٢)، وعلى الرُّغمِ من هذا العددِ، إلَّا أنَّه ما زالتْ معرفتنا قليلةً بتلكِ الرِّحلاتِ، ولعلَّ السَّببُ في ذلكِ هو إمَّا تعدُّدُ اللُّغاتِ التي كُتِبَتْ بها، أو صعوبةُ العثورِ عليها في أوربَّا لقدمها^(٣)، ونتيجةً لذلكِ أدَّى إلى صعوبةِ استحصائها، أو العثورِ عليها.

وتكمنُ أهميَّةُ الرِّحلاتِ في أنَّها اطَّلعتْ بشكلٍ مباشرٍ على أحوالِ المدنِ التي مرَّتْ بها؛ إذ إنَّها سجَّلتْ انطباعاتِ الرِّحالةِ الأوربيينَ عن الأوضاعِ السِّياسيةِ لتلكِ المدنِ من خلالِ تسجيلِ تلكِ الأحداثِ، وتطرَّقتْ إلى أوضاعها الاجتماعيَّةِ - كذلك - من خلالِ إعطاءِ نبذةٍ عن تركيبها الاجتماعيِّ، وبيَّنتْ - أيضاً - الأحوالِ الثَّقافيَّةِ والدينيَّةِ لتلكِ المدنِ، وبهذا تُعَدُّ من الدِّراساتِ المهمَّةِ في توضيحِ أو بيانِ تاريخِ العراقِ في العصرِ الحديثِ، إلَّا أنَّه يشوبها بعضُ الأخطاءِ بوصفها انطباعاتِ شخصيَّةٍ لرحَّالةٍ عن تلكِ المناطقِ التي زاروها.

مما لا شكَّ فيه أنَّ غايات وأهداف الرِّحالة الأوربيِّين كانت متباينة ومتعدِّدة، لكنَّها بالتأكيد تعكس الاهتمام الأوربيَّ بالعراق منذ مطلع القرن السَّادس عشر، ومن تلك الدَّوافع والأهداف هو الدَّافع الدِّيني الذي تمثَّل بنشر الدِّين المسيحي في المناطق البعيدة والنائية عن أوربا؛ إذ شجَّعت بعض الكنائس على إرسال الرِّحالة من أجل إعطاء وصف شامل لتلك المناطق، ما يُسهِّل عمليَّة إرسال الإرساليَّات التبشيريَّة، ولاسيَّما الكرملية^(٤).

ولم تكن الرِّحلات الأوربيَّة بعيدة عن الأهداف السِّياسيَّة؛ إذ أخذت الدُّول الأوربيَّة تنظر إلى هذه المناطق على أنَّها منطقة ذات أهميَّة استراتيجيَّة، وكان العراق جزءاً مهماً من هذه المنطقة، بوصفه مركزاً مهماً لطرق المواصلات البريَّة والنَّهرية بين أوربا والهند؛ إذ تأتي البضائع من الهند إلى البصرة، ومن ثمَّ إلى بغداد، ومنها إلى حلب، لتجد طريقها إلى أوربا، وظهر ذلك عندما بدأ الصِّراع والتنافس الأوربيَّ للسيطرة والتوسُّع في العالم الإسلامي، هذا التوسُّع الذي بدأه الهولنديُّون والبرتغاليُّون، ومن ثمَّ البريطانيُّون والفرنسيُّون، بوصفها قوى بحريَّة استطاعت الوصول إلى مناطق مختلفة من الدَّولة العثمانيَّة، ومنها العراق، موفِّرين - أي: الرِّحالة - معلومات تفصيليَّة ودقيقة ومهمَّة لحكوماتهم، أسهمت إلى حدٍّ بعيد في توجيه وبلورة سياسة تلك الدُّول نحو المنطقة^(٥)؛ لذلك سعت الدُّول الأوربيَّة إلى إيجاد موطئ قدم لها في المنطقة، وبخاصَّة في العراق؛ لذا، فقد سخرت إمكانيات الرِّحالة لهذه المهمَّة.

وكان للدَّافع الاقتصاديِّ دورٌ كبيرٌ في تحفيز هذه الرِّحلات؛ إذ رغبت الدُّول الأوربيَّة في السَّيطرة على تجارة الحرير والتَّوابل، من خلال البحث عن الطُّرق

المؤدية إلى الشرق، سواءً كانت طرقاً بريّةً أم بحريّةً، فكانَ اكتشافُ طريقِ رأس الرّجاء الصّالح والوصول إلى جُزر الهند الغربيّة والخليج العربيّ^(٦)، الدّافع الاقتصاديّ المهمّ الذي شجّع على البحث عن الطُّرق والمواصلات التجاريّة، وهذا نجده واضحاً من خلال كتابات الرَّحالة التي تناولت بشكلٍ مفصّلٍ للطُّرق التجاريّة في العراق بنوعيهما البرّي والنّهريّ.

ومن الدّوافع الأخر لتلك الرّحلات التي تمثّلت بالبعثات العلميّة التي تهتمُّ بالنّواحي العلميّة والاستكشافيّة، مثل: رحلة ليونهارت راوولف للعراق في عام ١٥٧٣^(٧)، التي هدفت إلى دراسة وجمع أنواع كثيرة من النّباتات والأشجار التي تنبت في العراق، والتحقّق من فوائدها الغذائيّة والطّبيّة^(٨). ومن الدّوافع الأخر التي اتّخذت سمةً علميّةً هي التنقيبات الأثريّة، فقد امتاز العراق بقاعدة حضاريّة واسعة بين الأمم؛ كونه موطن الحضارات السّومريّة والأكدية والبابليّة والآشوريّة، ثمّ أصبح مركزاً للحضارة العربيّة الإسلاميّة لقرون طويلة، ومن تلك الرّحلات رحلة ريج (Rich)، الذي ساعد على إلمام الآثاريّين من خلال مجموعته الأثريّة، ودراساته التي خرج بها من زيارته وتنقيباته للعديد من المناطق الأثريّة، التي جلبت انتباه الأوربيّين إلى الآثار الآشوريّة^(٩). وبهذا حاز العراق اهتمام الرَّحالة الأوربيّين بشكلٍ عامٍّ؛ لما يمتّع به من موقع جغرافيٍّ مهمٍّ، فضلاً عن امتلاكه لحضارةٍ عريقةٍ مثّلت جميعَ العصور.

ولم تقتصر غايات الرّحالة على هذه الدّوافع فقط، بل شملت -أيضاً- دوافع ذاتيّة من خلال حبّ المغامرة والاستكشاف والاستطلاع والاستمتاع، منها رحلة الرَّحالة الفرنسيّ (جي. دي. ثيفنو) (J.De Thevnot)، الذي زار العراق

عام (١٦٨٣)، وكان عاشقاً للشرق، راغباً في اكتشاف أسرارهِ، وأخذ يتجول في تركيا والشرق الأوسط، وانطلق إلى فلسطين ومصر وإيران والهند^(١٠).
ومما تقدّم نلاحظ اختلاف الأهداف والدوافع^(١١) التي حفزت الرّحالة على القيام برحلاتهم، بين الجوانب السّياسيّة، والاقتصاديّة، والدينيّة، والعلميّة، فضلاً عن حبّ الاستكشاف والمغامرة؛ إذ يُبيّن لنا مدى ارتباط هذه الدوافع مع التطوّر الحاصل في أوربّا المتمثّل بعصر النهضة الأوربيّة في القرن السّادس عشر، وغدا العراق من خلال موقعه الجغرافي، وما اشتهر به من الحضارات، سواءً كانت في العصور القديمة أم الإسلاميّة، محطّ أنظار الرّحالة الأوربيّين بشكلٍ خاصّ.

ومع أنّ رَحّالتنا (ديلاًفاليه)^(١٢) كان ذا توجّهاتٍ علميّةٍ بكلّ معنى الكلمة، فقد أراد الاطّلاع على الآثار الشّرقية، والتعرّف على لغتها وكتبها النّادرة، إلّا أنّه وُضع في حسابه التعرّف على بعض الشّخصيّات الحاكمة في الشرق^(١٣)، وبالذّات الشّاه عبّاس الأوّل^(١٤). وبهذا جمعتُ رحلة الرّحالة الإيطالي (ديلاًفاليه) بين المغامرة والاستكشاف العمليّ لمناطق عديدة من الشرق، ومنها: العراق، فقد زاره، وحاز على اهتمامه بشكلٍ كبيرٍ، فعَمَد إلى وصف المدن العراقيّة في كتاباته، ومن المناطق التي نالت اهتمامه هي مدينة البصرة.

حظيت البصرة باهتمام الرّحالة الأوربيّين في العصور الحديثة، ابتداءً من القرن السّادس عشر الميلاديّ وما تلى ذلك؛ بسبب كونها إحدى المحطّات التّجاريّة بحكم موقعها الاستراتيجيّ الواقع في رأس الخليج العربيّ، وفيها تلتقي القوافل القادمة من بلاد الشّام، أو من الهند ومناطق جنوب شرقيّ آسيا؛

إذ وَصَلَ إلى البصرة عددٌ كبيرٌ من الرَّحَّالَةِ الأوربيِّين في القرن السَّابع عشر، ففي مطلعِه كانت رحلة البرتغاليِّ (تكسيرا) إلى المدينة عام (١٦٠٤)، وتلاه الرَّحَّالَةُ الإيطاليُّ (ديلافالیه) عام (١٦٢٥)، وفي عام (١٦٢٩) زارها الأب (فيليب الكرملی)، وزارها الرَّحَّالَةُ الفرنسيُّ (تافرنيه) عام (١٦٣٨)، ورحلة (فنشنسو) عام (١٦٥٦)، ورحلة الأب اليسوعي البرتغاليِّ (مانويل غودنهو) عام (١٦٦٣)، وبعدها رحلة (تيفينو) عام (١٦٦٤)، ورحلة (سبستياني) عام (١٦٦٦)، والأب (كير) عام (١٦٧٢-١٦٧٤)، وغيرها كثير^(١٥)، ما ساعد على رسم الأحداث السَّياسیَّة والاقتصاديَّة والاجتماعیَّة لهذه المدينة في التَّاريخ الحديث.

ونتيجةً للشُّهرة الكبيرة التي بلغتْها مدينة البصرة، فقدُ دفعت العديد من الرَّحَّالَةِ الأوربيِّين إلى المجيء إلى العراق وزيارة تلك المدينة؛ لغرض الاطِّلاع على أوضاعها الاقتصاديَّة والسَّياسیَّة والاجتماعیَّة، والتعرُّف عليها بشكل مباشر، ومن بين هؤلاء الرَّحَّالَةِ الذين اهتمُّوا بزيارة هذه المدينة هو الرَّحَّالَةُ الإيطاليُّ (ديلافالیه)، وقد امتازت رحلته بنقل الأخبار والأحداث السَّياسیَّة المهمَّة التي حدثت في العراق تزامناً مع رحلته، وخصوصاً البصرة التي تعرَّضت إلى حصار من قبل الدَّولة الصَّفويَّة في زمن الشَّاه عبَّاس الأوَّل، وذلك في عام (١٦٢٥).

المبحث الثاني

أسباب الحصار الفارسي للبصرة

تعرّض الحكم العثماني في العراق لهزّات كثيرة، كانت ممهّدة لاحتلال فارسيّ ثانٍ، فإنّ بُعد العراق عن السّلطة العثمانيّة ومشاكلها الداخليّة، التي كانت تُعاني منها في بداية القرن السّابع عشر، ومن بينها كثرة تمردات الجيش الانكشاريّ، وتعاقب السّلاطين الضّعاف الذين أهملوا شؤون الدّولة والحكم، وتدخل النّساء في شؤونها، والأزمة الاقتصاديّة التي تمثّلت في انخفاض قيمة العملة، والعجز في ميزانيّة الدّولة، قد انعكس سلباً على هيبة السّلطة المركزيّة العثمانيّة في الولايات؛ إذ كثرت حركات العصيان فيها^(١٦)، ما أدّى إلى عدم استتباب الأمن في العراق، وما جعله عُرضة للاحتلال.

ونتيجة لذلك، وقع العراق في سلسلة من القلاقل الداخليّة الواسعة النّطاق، كثورة آل الطويل عام (١٦٠٣-١٦٠٨) في بغداد^(١٧)، وحركة بكر صوباشي عام ١٦٢٣^(١٨)، التي مهّدت لشاه عبّاس دخول العراق، وفرض سيطرته على بغداد، ما أدّى إلى محاولته فرض نفوذه على البصرة.

وفي المقابل، كانت بلاد فارس في أوج قوّتها في عهد الشّاه عبّاس الأوّل، إلّا إنّها كانت قبل حكمه تعيش أسوأ فتراتهما في جميع المجالات، سواء أوضاعها الداخليّة التي تمثّلت بالاضطرابات الشّديدة والفوضى والاعتقالات، أم تعرّضها المستمرّ لهجمات الأوزبك^(١٩) والعثمانيّين من الخارج، وتحقّق لبلاد

فارس في عهده الاستقلال السياسي التَّامَّ، وإنَّه اهتمَّ - وبشكلٍ كبيرٍ - على الجانب العسكريِّ بإدخال العديد من الإصلاحات على بنية الجيش، فقضى على تسلُّط القزلباش وطغيانهم، وعوَّضهم بجيشين جديدين^(٢٠) لا يَأْتَمِران إلَّا بأمره، وطوَّر في طرائق التَّدريب، وقام بتسليحه بأحدثِ الأسلحة النَّارية، واهتمَّ - كذلك - بالجانب الإداريِّ، فأنشأ طرائق كفلت له التحكُّم في جميع الأقاليم^(٢١). وشهدتْ بلاد فارس في عهده نهضة شاملة شملت جميع الميادين، ما ساعد على صبِّ اهتمامه على التوسُّع بأنحاء العراق.

إذن، من الأسباب التي مهَّدت للشَّاه عبَّاس فرض نفوذه على العراق بشكل عامٍّ، والبصرة بشكل خاصٍّ، هو استغلال الضَّعف الذي دَبَّ في جسد الدَّولة العثمانيَّة في بداية القرن السَّابع عشر، ومن الأسباب الأخرى التي دفعت الشَّاه إلى اتِّخاذ هذه الخطوة، هو الموقع الجغرافي الذي انمازت به البصرة؛ بسبب كونها إحدى المحطَّات التَّجاريَّة الواقعة في رأس الخليج العربيِّ، وفيها تلتقي القوافل القادمة من بلاد الشَّام، أو الهند، ومناطق جنوبي شرقيِّ آسيا، ما أدَّى إلى انتعاش تجارة البصرة، ومؤثِّراً تأثيراً مباشراً على تجارة المدن الفارسيَّة الواقعة على الخليج العربيِّ، فأثار ذلك الشَّاه عبَّاس الأوَّل، الذي قرَّر السَّيطرة على البصرة كي لا تتركز التَّجارة فيها^(٢٢).

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أهميَّة البصرة من الناحية التَّجاريَّة، وربطها لطرق المواصلات البحريَّة والبريَّة، ندرك تماماً قيمة الجري الحثيث للقوى الفارسيَّة في فرض سيطرتها على هذه المدينة، بصفةٍ أنَّ قضِيَّة السَّيطرة على الطُّرق التَّجاريَّة من القضايا المهمَّة في العلاقات الدَّوليَّة، ولها التَّأثير على العلاقات السياسيَّة

والاقتصادية.

وكان للعراق أهميّة استراتيجية وإقليمية بالنسبة إلى الشّاه عبّاس الأوّل؛ إذ مثّل المعبر المباشر للفرس إلى شواطئ البحر المتوسّط، وكذلك الطريق البحريّ الذي تسلكه القوّات عبر البصرة وصولاً إلى الأحساء فعُمان، ليُصبح الخليج بحيرة فارسيّة من جوانبه كافّة^(٢٣). إذن، كان للشّاه عبّاس الأوّل أطماع سياسيّة في فرض سيطرته على مناطق الخليج العربيّ كافّة، عن طريق فرض نفوذه على البصرة.

ومن أسباب تحرّك الفُرس صوبَ البصرة هو التواجد البرتغالي^(٢٤)؛ إذ ساعدت الإمكانيات البحريّة التي كان يمتلكها البرتغاليّون، فضلاً عن نفوذهم السّياسيّ والعسكريّ، على أن يُصبحوا من رواد حركة الكشوف الجغرافيّة في القرنين الخامس والسادس عشر؛ لذلك، فإنّ نفوذهم كان قبل معظم الدّول الأوربيّة في منطقة الخليج العربيّ^(٢٥)، وكان هذا التّواجد يمثّل تهديداً لمصالح الفرس في الخليج العربيّ سياسياً واقتصادياً.

ونتيجة لهذا الأمر، تعاون الشّاه عبّاس الأوّل مع البريطانيّين - الذين كان لهم دور في تثبيت أركان شركة الهند الشرقيّة الإنكليزيّة^(٢٦) في الخليج العربي منذ عام (١٦٠٠) - وذلك بسبب التقاء المصالح التجاريّة الإنكليزيّة مع مصالح الفرس ضدّ البرتغاليّين، ونتج عن هذا التعاون طرد البرتغاليّين من هرمز عام (١٦٢٢)^(٢٧)؛ لذلك توجّهوا نحو البصرة، ونقلوا إليها نشاطهم التجاريّ وحماستهم للتبشير، وأقاموا وكالة تجاريّة فيها^(٢٨)، وأصبحوا هم أصحاب السّيطرة على تجارة البصرة والقطيف والأحساء بحكم امتلاكهم أسطولاً

بحريًّا، وهذا ما يفتقده الفرس، فقد كان على الشَّاهِ إيقافِ النَّشاطِ البرتغاليِّ عبرِ حصارِ بريٍّ يُوقفُ التعاملَ معهم، في الموانئ كافَّةً، وبوجهٍ خاصٍّ البصرة^(٢٩). وبهذا، ونتيجةً لتمرُّدِ بكرِ صوباشي في بغداد، فقد تمهَّد الأمرُ للشَّاهِ عَبَّاسٍ لفرضِ سيطرته على معظمِ العراق، وكان عليه إكمالُ هذه السَّيطرة بمدِّ نفوذه على البصرة.

المبحث الثالث

مشاهدات الرحالة (ديلافاليه) للحصار

يُعدُّ (ديلافاليه) من أوائل الرحالة في بداية القرن السابع عشر، فقد كتب عن البصرة عدّة صفحات في الرسالة العاشرة والحادية عشر من الرحلة، تناول فيهما أموراً سياسية تخصّ الصراع العثمانيّ الفارسيّ^(٣٠).

ذكر (ديلافاليه) الوضع في البصرة خلال رحلته، فأشار إلى أنّ الشاه بعد أن استولى على هرمز^(٣١) أرسل سفيراً إلى باشا البصرة - وكان آنذاك أفراسياب باشا^(٣٢) -، قائلاً له: «إنّه لا يريد من البصرة شيئاً سوى أن تسكّ النقود باسمه، وأن يُذكر اسمه في خطبة الجوامع، وأن يُصليّ الشعب من أجله عوضاً عن ذكر السلطان العثمانيّ»^(٣٣)، أي: أن يعترف به اسمياً، وأخيراً طلب أن يتعمّم أهل البصرة على طريقة الفرس، ولقاء ذلك يبقى أفراسياب حاكماً مطلقاً على المدينة، يتوارثها أبناؤه من بعده، ولا يتدخل في شؤونه، ويدافع عنه ضدّ السلطة العثمانيّة، وضدّ أيّ تدخلٍ أجنبيّ، ولا يطلب منه شخصياً ضريبةً ما، ولا من أبناء شعبه، بل يترك لهم الحرّيّة التامّة^(٣٤). أراد الشاه عبّاس من هذه الرسالة ترغيب أفراسياب باشا من أجل الوقوف إلى جانبه، لتصبح البصرة ضمن ممتلكاته دون حاجةٍ إلى الحرب.

قابل أفراسياب باشا شروط الشاه عبّاس الأوّل بالرّفص، وأمر سفيره بمغادرة المدينة حالاً، والخروج من منطقته دون تأخّر؛ خوفاً من اتّصاله سرّاً

ببعض أكابر المدينة، الذين قد تكون لهم ميول إلى الفرس، فيتأثرون به، ويؤثرون بدورهم في الشعب، لقد كان رده حاسماً، وأكد أنه من أتباع السلطان، ويفضل الموت هكذا، وهو مستعدٌ للحرب^(٣٥) إذا ما أرادها الشاه^(٣٦).

وعلّل ديلا فاليه عدم اهتمام أفراسياب باشا بهذه الشروط بـ:

١- لم يُرد المغامرة بالمنزلة الرفيعة التي وصل إليها لقاء وعود الشاه غير الأكيدة.

٢- ثقته بالبرتغاليين^(٣٧) في تقديم المساعدات العسكرية في حال تقدّم قوات الفرس من خلال البحر أو شطّ العرب^(٣٨). وهذا يؤكّد مدى معرفة الباشا بقدرات القوات الصفويّة التي لم تمتلك القدرة على مواجهة الأسطول البرتغاليّ المتواجد في البصرة.

لما رأى الشاه أنّ هذه الطّرق لم تُجدِ نفعاً، أمر خان شيراز - كما ذكر ديلا فاليه - أنّ يجهّز حملة على البصرة، ويستولي عليها بالقوّة، فتقدّم جيش الخان، ولم أعلم أكان الخان نفسه على قيادته أم أناب عنه أحد قوّاده، وسار في طريق تستر، وانحدر إلى الحويّزة^(٣٩)، ودخل ولاية البصرة في الأراضي الواقعة على شطّ العرب إلى الشّرق من مجراه - أي: جهة فارس -، حدث كلّ ذلك قبل وصولي إلى البصرة أي: في نهاية عام (١٦٢٣)^(٤٠)، ومطلع العام التّالي؛ ولكنّه لم يُحاصر البصرة نفسها كما قيل لنا ونحن في غوا^(٤١)، ولم يقترب منها، بل اكتفى بمحاصرة قلعة على الحدود تُدعى قبان^(٤٢)، وكادت أن تسقط بيد الفرس، وبسقوطها تتعرّض البصرة للسّقوط المؤكّد، وكان الفرس يقاتلون بقساوة، وقتلوا عدداً كبيراً من أهالي البصرة، لكنّهم انسحبوا في آخر الأمر، فقد أمطرتهم مدافع البرتغاليين المثبّته

في السّفن بوابل من النّيران، فألحقوا بهم أضراراً جسيمة، فانكسر القزلباش^(٤٣)، وإنّ مدّة الحصار - كذلك - امتدّت طويلاً، فأنهكت قواهم، فولّوا عن المدينة^(٤٤). وممّا تقدّم يلاحظ أنّ سبب انسحاب الجيش الصّفويّ يرجع إلى الاستعدادات القويّة التي أعدّها أفراسياب باشا، التي حالت دون سيطرة القوّات الصّفويّة عليها^(٤٥)، وإنّ للمساعدات التي قدّمها البرتغاليّون لأهالي البصرة دوراً في إيقاف هذا الجيش، فضلاً عن مدّة الحصار الطويلة التي أنهكت قوّة الجيش الصّفويّ، ما أدّى إلى انسحابهم من البصرة، وانتهاء الحصار المفروض عليها. حاول حاكم البصرة عليّ باشا أفراسياب الحصول على موافقة الحكومة العثمانيّة في تقديم الدّعم لقوّاته لحمايتها من الفرس، إلّا أنّ قيام الفرس بقطع الطّرق على المدينة جعل من الصّعوبة وصول الدّعم الخارجيّ إليها، وكان عليّ أفراسياب وقوّاته يتوقّعون تعرّض المدينة عام (١٦٢٥) لهجوم من قبل الفرس؛ لأنّهم أبلغوا بتحرك القوّات الفارسيّة من الحويّزة باتجاه البصرة، وعلى الرّغم من قلة قوّات عليّ باشا، إلّا إنّ البرتغاليّين أعاروه خمس سفنٍ مسلّحة بعد أن دفع لهم أجرها^(٤٦).

وبهذا كانت نهاية الحصار الأوّل الذي فرضه الجيش الصّفويّ، إلّا إنّ الشّاه عبّاس الأوّل عاود الحصار ثانيةً، وذلك في عام (١٦٢٥)، كما ذكره (ديلاًفاليه)، بقوله: في السّنة التّالية، أي: في مدّة وصولي إلى البصرة، كرّوا على المدينة، وتوغّلوا في أراضيها، وكان الوالي الجديد عليّ باشا خارج المدينة وسط عساكره للقتال، تدعّمه ثلاث سفن برتغاليّة، أمّا في داخل المدينة، فقد عمّ الخوف؛ لأنّ عساكر الفرس كانت عظيمة عدّة وعدداً، أكثر بكثيرٍ من جيش البصرة^(٤٧).

وفي السَّادس عشر من آذار التقى (ديلافالیه) بالسَّيِّد (دون كونسالفو دي سلفيرا) القائد العامَّ للقوَّات البرتغاليَّة العاملة في البصرة، ويُعدُّ الأخير أحد المصادر التي استقى منها (ديلافالیه) معلوماته، وقد روى أنَّ الفرس يحاولون نقل سبع قطع مدفعية من أحد موانئهم إلى الدَّورق^(٤٨)، الذي يقع قرب الخويزة، لاستخدامها في ضرب البصرة، وهذه قضية مهمَّة ستغيِّر مجرى القتال، لذا قرَّر إرسال سفيتين^(٤٩) مع مركبٍ خفيفٍ سريعٍ في محاولة لخطف تلك القطع المدفعية^(٥٠). كانت غاية البرتغاليِّين من هذه الخطوة هو المحافظة على الوضع السَّياسي في البصرة، ومن ثَمَّ المحافظة على مصالحهم فيها، بصفة أنَّ البصرة مركز مهمٌّ لمصالحهم بعد خروجهم من هرمز.

تلقَّى (ديلافالیه) خبراً من الخواجا (نجم)، وهو أحد المقربين من الباشا عليِّ أفراسياب؛ إذ ذكر أنَّه: «أخبرني أنَّ جيش الفرس يُعدُّ ثلاثين ألف مقاتل يرأسهم سبعة خانات»^(٥١)، لكنِّي أشكُّ في قوله؛ إذ إنَّ خان شيراز وحده مع جيشه كاف لهذه الحرب، ومن المحتمل أنَّ يلتحق به أخوه الخان (داود)؛ لقربه منه، وكذلك خان لوجستان، فهو في تلك النواحي، أمَّا أنَّ تتحرَّك خانات المناطق النَّائية لمحاربة البصرة، فهذا أمرٌ مستبعدٌ، ولا ضرورة له^(٥٢). ولعلَّ السَّبب وراء شكوك (ديلافالیه) هو أنَّ هذا العدد هائل وكبير لغزو مدينة كالبصرة، ولعلَّ رواية الخواجا (نجم) في ذكر تعداد الجيش لغزو العراق بأكمله، وليس البصرة فقط.

وذكر (ديلافالیه) أنَّ البصرة تعرَّضتْ إلى فيضان، ما أدَّى إلى عرقلة سير القوَّات الفارسيَّة نحو البصرة، بقوله: «إنَّ فيضان المياه يحول الآن دون تقدُّم

الفرس إلى البصرة، فالنهر عريض، وقد أغرق أراضي شاسعة، والخنادق مليئة بالمياه، وهذه كلها مصدر قوّة للبصرة»^(٥٣).

إلا إن هذا الفيضان لم يحلّ دون تقدّم الفرس تجاه البصرة؛ إذ ذكر (ديلاّليه) أنّ هناك طرقاً عديدة يستطيع الفرس اتّخاذها للوصول إلى البصرة، وإحكام السيطرة عليها، سواءً كانت عن طريق الحلّة^(٥٤)، أم بغداد، بقوله: «ولكن عندما ينحسر الماء بعد ثلاثة أشهر، فعندئذٍ تكون الطامة الكبرى، ولن تُجدي السفن البرتغالية نفعاً إذا حاول الفرس عبور النهر بجسر مؤقت يقيمونه شمال البصرة، أو من جهة الحلّة، التي هي في قبضتهم الآن، أو من بغداد»^(٥٥) نفسها، فهذه المواضع كلّها بعيدة عن مدى مدافع البرتغاليين، وإنّ الطُّرق المؤدّية إلى البصرة كثيرة، وأعتقد أنّها لن تنجو من السُّقوط في أيدي الفرس، عاجلاً أم آجلاً، وبإمكان هؤلاء الاستعانة بالجيش الموجود في بغداد، فيسير إليها على الضّفة الغربيّة من النهر، حيث تقوم المدينة، فتلك الجهة وإن كانت صحراوية، لكن بإمكان الجيش بقليل من المؤن أن يقطعها بفترة قصيرة، وهذه الحملة ليست عسيرة على الجيش الفارسي، بينما لا تستطيع البصرة طلب النجدة؛ نظراً لبعدها، ولكون بغداد في قبضة الفرس»^(٥٦).

وتحدّث (ديلاّليه) عن طريقة واحدة تُساعد أهالي البصرة في النجاة من هذا الحصار، وهو طلب المساعدة من إمارة آل أبي ريشة^(٥٧)، التي كانت بزعامه الأمير (مدلج أبو ريشة)^(٥٨).

وذكر (ديلاّليه) تقدّم جيش عثمانيّ كبير صوب بغداد، بقوله: «بأنّ جيشاً تركياً جرّاراً تحرّك من الشّمال باتّجاه بغداد وبلاد فارس، فاستعاد الموصل

وكركوك، لكنني لم أصدق هذا الخبر، مع يقيني أنَّ هذا الأمر لا بدَّ أن يحدث، لكنَّه سابقٌ لأوانه؛ إذ ليس من الممكن هذا الزحف السريع واسترجاع الموصل وكركوك بهذه السَّعة»^(٥٩). واعتقدَ (ديلافالیه) أنَّ سببَ إشاعة هذا الخبر هو من أجل رفع وتقوية معنويات أهالي البصرة المحاصرون، من أجل الاستمرار في مقاومة الحصار.

وقام الحاكم (علي أفراسياب) باستعدادات كبيرة من أجل حماية المدينة من خلال إعلان الباشا في (١٣) آذار التجنيد العام في البصرة، وقد استجاب لهذا النداء كلُّ سكَّان البصرة، وأرسلوا المتطوعين لمساعدة القوَّات المتحاربة^(٦٠)؛ إذ ذَكَرَ (ديلافالیه): «عندما أُعلن التجنيد العام في البصرة كان على كلِّ بيت أن يُرسل رجلاً مسلَّحاً إلى معسكر الباشا لمعاوضته في الحرب ضدَّ الفرس»^(٦١).

وتجسَّد الموقف البطوليُّ لأهالي المدينة من خلال مبادرات طوعية لنصرة الباشا، وذكر (ديلافالیه) الشُّعور الوطنيَّ لأهالي البصرة ووقوفهم بوجه الحصار، بقوله: «في ١٩ آذار قام رجل من أكابر البصرة اسمه الشَّيخ عبد السَّلام العبَّاسيَّ^(٦٢)، فجمع حوله عدداً من أفراد أُسرته وأصدقائه وأتباعه، وتوجَّهوا إلى الجبهة لنجدة الباشا، وانطلق معه مائتين من الصَّابئة يحملون البنادق ومختلف أنواع الأسلحة، لكنَّ هؤلاء جميعاً لا يقارنون بقوة القزلباش واستعدادهم القتاليِّ»^(٦٣). على كلِّ حالٍ، تمحورت إسهامات أهالي مدينة البصرة في مواجهة الحصار من خلال التطوُّع والاشتراك في ميادين القتال، وهذا يمثل مدى رغبة الأهالي في التحرُّر والاستقلال.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد انسحبت القوَّات الفارسيَّة من البصرة، ولم تكن

أسباب ذلك الانسحاب السريع معروفة حتّى من قبل (ديلاًفاليه) نفسه، الذي كان وسط الحدث، وقد أرجع ذلك لأحد أمرين: «فإمّا أنّ موقع هرمز كان في خطر، أم أنّ أحداثاً جساماً كانت على وشك الوقوع من طرف العثمانيين، أو من جهة المغول؛ لأنّ الفرس سبق أن تحرّشوا بهؤلاء»^(٦٤).

وبهذه النتيجة انسحبت القوّات البصريّة من أرض المعركة، بعد أن زال الخطر الفارسي^(٦٥) عن المدينة، وعُملت احتفالات مهيبة، وعلت أصوات دويّ المدافع، كما وصفه (ديلاًفاليه)، قائلاً: «وفي ٧ نيسان عاد الباشا إلى البصرة مع جيشه بعد أن زال خطر الحرب بانسحاب الفرس، ودخل المدينة وقت الفجر باحتفالٍ مهيبٍ، وعلا أصوات دويّ المدافع»^(٦٦).

الخاتمة

من خلال دراستنا للحصار الفارسيِّ لمدينة البصرة عام (١٦٢٤-١٦٢٥) وفقَ مشاهداتِ الرَّحَّالَةِ الإيطاليِّ (ديلا فاليه)، تمَّ التوصلُ إلى جملةٍ من الاستنتاجات:

١ - ذكر الرَّحَّالَةِ (ديلا فاليه)، الذي زار مدينة البصرة، في كتاباته معلومات مهمة عن مختلف الجوانب السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وتلك المعلومات تُعدُّ مادةً مهمَّة وجيِّدة لتبيان المعالم التاريخيَّة لتلك المدينة خلال التَّاريخ الحديث؛ كونه شاهد عيان على معظم الأحداث التي كتب عنها.

٢ - أوضحتُ كتابتُهُ التَّحديات التي كانت تواجه مدينة البصرة من قبل حكام بلاد فارس، والمتمثلة بمحاولاتهم المتكرَّرة من قبل الشَّاه عبَّاس الأوَّل من أجل فرض سيطرته عليها، وأوضح دور أهالي مدينة البصرة من هذا الحصار، ومدى استجابتهم لمواجهته.

٣ - ويلاحظ - أيضاً - أنَّ الرَّحَّالَةَ (ديلا فاليه) كان ينقل الأحداث التي تجري في البصرة من بعض الشَّخصيَّات، أمثال: الخواجا (نجم)، والسَّيِّد (دون كونسالفو دي سلفيرا) القائد العامُّ للقوَّات البرتغاليَّة العاملة في البصرة، إلَّا أنَّه لم يكن فقط يذكر تلك الأحداث التي تصل إليه، بل قام - أيضاً - بالتعليق عليها

وتحليلها؛ من أجل إبراز الصّحيح والموثوق عن غيره من المعلومات، وهذا يوضّح لنا مدى قيمة ودقّة كتاباته؛ لأنّه كان حريصاً على نقل مجريات الأحداث في مدينة البصرة.

٤- أوضح أهميّة القوى الموجودة في هذه المدينة، التي كان لها موقف مساند لأهالي مدينة البصرة في مواجهة هذا التحديّ من أجل المحافظة على مصالحها في المدينة، وتمثّلت تلك القوى بالوجود البرتغاليّ في المدينة؛ إذ استعان بهم (عليّ باشا أفراسياب) في تأمين الحدود البحريّة للمدينة.

الهوامش

- ١- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ص ٣٣٧-٣٤٧.
- ٢- كوركيس عوَّاد، بيبلوغرافيا عن الرِّحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلَّة المورد، المجلَّد (١٨)، العدد (٤): ص ٢١٧-٢٤٥.
- ٣- عادل محمَّد عليَّ الشَّيخ حسين، رحلة ليونهارت راوولف إلى العراق، وما انطوت عليه من نبات وشجر، مجلَّة المورد، المجلَّد (١٨)، العدد (٤): ص ٩٧.
- ٤- للتفاصيل حول الموضوع، يُنظر: حيدر جاسم الرويعي، نشاطات الآباء الكرمليين في العراق حتَّى الحرب العالميَّة الأولى، مجلَّة القادسيَّة للعلوم الإنسانيَّة، مجلَّد (٨)، العددان (١-٢): ص ١٠٨-١٢٨.
- ٥- هشام سوادى هاشم، أربيل في كتابات الرَّحالة الأُجانب في العهد العثماني، مجلَّة التربية والعلم، مجلَّد (١٥)، العدد (٣): ص ٩٠.
- ٦- يوسف حبي، ديلافايه في العراق، مجلَّة آفاق عربيَّة، السَّنة الثالثة عشرة، العراق، آيار ١٩٨٨: ص ١٤٥.
- ٧- للتفاصيل حول الرِّحلة، يُنظر: ليونهارت راوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين سنة ١٥٧٣، ترجمة: سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الثَّقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
- ٨- عادل محمَّد عليَّ الشَّيخ حسين، المصدر السَّابق: ص ٩٧.
- ٩- للتفاصيل حول الرِّحلة، يُنظر: كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج في العراق، ترجمة: بهاء الدِّين نوري، ج ٢، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٠- للمزيد من المعلومات حول الرِّحلة، يُنظر: بطرس حدَّاد، مقتطفات من رحلة ثيفنو إلى العراق في القرن السَّابع عشر، مجلَّة بين النَّهرين، السَّنة الثَّانية، العدد (٨): ص ٢٨٧-٢٩١.
- ١١- للاطلاع على دوافع الرِّحلات، يُنظر: حيدر جاسم الرويعي، أهداف الرِّحالة

الأوربيّين وتوجّهاتهم إلى العراق، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، مجلد (١٥)، العدد، (٢): ص ١٣٧-١٥٩.

١٢ - ديلاًفاليه: ولد بيترو ديلاًفاليه في نيسان (١٥٧٦) من أسرة رومانيّة عريقة، شغف منذ نعومة أظفاره على اكتساب العلوم المختلفة، أحبّ فتاة في بداية حياته، لكنّها لم تبادله المشاعر، فأصيب بخيبة أمل هزّت كيانه، وجرحت كرامته، فقرّر الهرب من مجتمعه، والابتعاد عن وطنه؛ إذ قرّر الرّحيل إلى الشّرق للاطّلاع وتسجيل المعلومات، فوصل استانبول أولاً، ثمّ غادرها إلى مصر، وبعدها إلى بيت المقدس، ثمّ ارتحل إلى حلب، وهناك التقى شخصاً حدّثه عن فتاة بغداديّة فاتنة الجمال، فقرّر الدّهاب إلى بغداد، فوصلها عام (١٦١٦)، وخلال تواجده في بغداد تزوّج تلك الفتاة المسيحيّة، واسمها (معاني بنت حبيب جان جوريدة)، وسافرت معه إلى إيران، لكنّ حظّه العاثر أدّى إلى وفاتها بعد إصابتها بمرض الملاريا، فقرّر حملها معه، ودفنها في روما؛ إذ قام بتحنيطها، واستمرّت رحلة عودته أربع سنوات وهو يحمل جنازة زوجته معه، إلى أن وصل إلى بلاده، ودفنها بمقبرة أجداده، وكان خلال تلك الرّحلة الطويلة يُعطي وصفاً دقيقاً ومسهباً عن المناطق التي مرّ بها، وألّف عدّة مؤلّفات، منها: الحفلة التّأينيّة للسّت معاني، معلومات عن بلاد جورجيا، أحوال الشّاه عبّاس الفارسيّ، رحلة إلى الشّرق، وغيرها من المؤلّفات، توفيّ في عام (١٦٥٢)، يُنظر: ديلاًفاليه، رحلة ديلاًفاليه إلى العراق مطلع القرن السّابع عشر، ترجمة وتحقيق: بطرس حدّاد: ص ٧-١٠.

١٣ - ديلاًفاليه، المصدر السّابق: ص ٨.

١٤ - الشّاه عبّاس الأوّل: شاه إيران الملقّب بالكبير، تسلّم السّلطة بعد أبيه الشّاه محمّد خدابنده عام (١٥٨٨)، غنيّ بالتنظيمات العسكريّة وقمع الثّوار والعصاة داخل مملكته، نقل عاصمته من قزوین إلى أصفهان، استولى على بغداد عام (١٦٢٢)، وعلى الحلة عام (١٦٢٣)، وتوفيّ عام (١٦٢٩)، للتفاصيل، يُنظر: بديع محمّد جمعة، الشّاه عبّاس الكبير ١٥٨٧-١٦٢٩: ص ٢٩.

١٥ - طارق نافع الحمدانيّ، المصدر السّابق: ص ٢٣.

١٦ - خليل عليّ مراد، الموصل بين السّيطة العثمانيّة وقيام الحكم الجليلي (١٥١٦-١٧٢٦)، موسوعة الموصل الحضاريّة، المجلّد (٤): ص ١٧.

١٧ - إبراهيم محمّد ساجت، ثورة آل الطويل في بغداد (١٦٠٣-١٦٠٨)، مجلّة كليّة

الإسلاميّة الجامعة، المجلّد (٢)، العدد (٤١): ص ٥١١-٥٣٦.

١٨- للتفاصيل حول حركة بكر صوباشي، يُنظر: علي شاكِر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٧٥٠): ص ٢٩-٣٢.

١٩- الأوزبك: قبيلة تركيّة كانت قد استولت على الأمر في تركستان بزعامة محمّد شيباني، الذي تمرّس بفنّ القتال في الحروب التي نشبت بين أمراء المغول في تلك البلاد، وفي عام (١٤٩٤) قضت هذه القبيلة على بقايا التيموريّين في خراسان وهرّاة، لتُصبح بذلك متاخّة للدولة الفارسيّة، وأخذت تُهدّد حدودها الشرقيّة تهديداً متواصلاً، يُنظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة: ٢/ ١٢٤.

٢٠- بنى الشّاه عبّاس الأوّل جيشين جديدين، وفق رؤيته الشّخصيّة، وهما: جيش القورجيين، وتكوّن من رعايا الدّولة الصّفويّة من غير المسلمين، ويضمّ أبناء الكرخيين والأرمن والشّركس، ويتقاضون رواتبهم من خزينة الشّاه، وهو جيش خاضع لأوامر الشّاه مباشرة، وأوكلت لهذا الجيش مهمّة الدّفاع عن الشّاه وحراسة قصوره؛ الجيش الثّاني الشّاهسون، وتشكّل من رعايا الشّاه المخلصين الذين ينتسبون إلى طوائف الشّعب المختلفة، الشّيء الوحيد الذي يربط بينهم هو الالتفاف حول الشّاه عبّاس، والتّفاني في خدمته، وتنفيذ أوامره، والدّفاع عن أرض إيران ضدّ أعدائها، وقد أُطلق على هذا الجيش اسم (شاهسون)، أي: حماة الملك، أو حماة الشّاه، يُنظر: عبّاس إسماعيل صبّاغ، تاريخ العلاقات العثمانيّة-الإيرانيّة الحرب والسّلم بين العثمانيّين والصّفويّين: ص ٢٦٥.

٢١- عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدّولة الصّفويّة وعلاقاتها الخارجيّة في عهد الشّاه عبّاس الأوّل (١٥٨٨-١٦٢٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة حمة لخضر (الوادي)، ٢٠١٥: ص ٥٦-١٠٤.

٢٢- طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطاليّ ديلافالبيه في القرن السّابع عشر الميلاديّ، مجلّة دراسات تاريخيّة، العدد (١٠): ص ٢٣، ص ٢٧.

٢٣- عبّاس إسماعيل صبّاغ، المصدر السّابق: ص ٧٣.

٢٤- لقد عرّف الأوربيّون البصرة للمرّة الأولى أثناء النّصف الأوّل من القرن السّادس عشر، ففي عام (١٥٢٩) قام البرتغاليّون بمساعدة حاكم البصرة الأمير راشد بن مغاس ضدّ شيخ آل عليّان في أهوار البصرة (القرنة)، مقابل وعد الحاكم لهم بتعطيل التّجارة

التركيّة، وفي عام (١٥٥٠) قام أسطول برتغاليّ مؤلّف من (١٩) فينة حربيّة بزيارة البصرة، بعد قيامه بطرد الأتراك من مدينة القطيف، والقيام ببناء حصن ومركز تجاريّ فيها، وبذلك أصبحوا جيراناً للبصرة، وتحوّلوا إلى خطر مباشر يهدّدها، لاسيّما بعد احتلال العثمانيّين لها عام (١٥٤٦)، يُنظر: ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخيّ: ١/١٦؛ ألكسندر آدموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتيّ: ص ١٥.

٢٥- حيدر صبري شاكر الخيقاني، كتابات الرّحالة الأوربيّين إحدى المصادر المهمّة في تدوين تاريخ مدينة البصرة (نماذج مختارة)، مجلّة آداب البصرة، مجلّد (٢)، العدد (٦٣): ص ٧٧٢.

٢٦- شركة الهند الشّرقيّة الإنكليزيّة: أُسّست في إنكلترا بموجب المرسوم الذي أصدرته الملكة إليزابيث الأولى في (٣١ كانون الأوّل عام ١٦٠٠)، الذي منحت بموجبه الحقّ لعدد من التجّار بالمتاجرة مع بعض المناطق في الشّرق، ولا سيّما مع الهند وجنوب شرق آسيا والخليج العربيّ، ومارست الشركة دوراً فعّالاً لخدمة المصالح الإمبرياليّة في الهند منذ القرن الثّامن عشر، وكان لها دور كبير في توسيع النفوذ البريطانيّ في الصّين أيضاً، للتفاصيل، يُنظر: حيدر صبري شاكر الخيقاني، المصدر السّابق: ص ٨٠٣-٨٠٤.

٢٧- للتّفاصيل عن الموضوع، يُنظر: عبد الحميد الأرقط، المصدر السّابق: ص ٢٢٠-٢٢٨.

٢٨- محمّد عبد الله العزّاوي، صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسيّة مع البصرة في العصر الحديث، مجلّة آداب البصرة، المجلّد (٢)، العدد (٢): ص ٥٦٨.

٢٩- عبّاس إسماعيل صبّاغ، المصدر السّابق: ص ١٦١.

٣٠- حسين عليّ عبيد المصطفى، البصرة في رحلات تيخيرا وديلاًفاليه والأب فيليب الكرملّي، مجلّة تراث البصرة، المجلّد الأوّل، العدد (١): ص ٢٤٥.

٣١- هرمز: جزيرة دائريّة الشّكل يبلغ طولها بين (٧/٢٤) كيلو متر، إلى (٨) كيلو متر، وتقع بين المدخل الذي يفصل خليج عمان والخليج العربيّ، وكانت هرمز دولة غنيّة تسيطر على البحرين وجميع الجزر الواقعة في مضيق هرمز، وكانت لها تجارة واسعة مع الخارج، وقد بلغت هرمز هذه الدّرجة من الازدهار منذ بداية العقد الثّالث من القرن الرابع الهجريّ، واستمرّت في ذلك حتّى الغزو البرتغاليّ. كانت تحكم هرمز أسرة عربيّة منذ نهاية القرن العاشر الميلاديّ،

أسَّسها في الأصل شيخ عربيُّ يدعى (محمَّد درهم كوب)، وكان حاكمَ هرمز الأمير سيف الدين، وهو من سلالة (محمَّد درهم كوب)، للتفاصيل، يُنظر: جون غوردن لوريمر، دليل الخليج العربيِّ القسم الجغرافي، ج ٢، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر: ص ٩٣٨؛ سليم طه التكريتي، المقاومة العربيَّة في الخليج العربيِّ: ص ٤٦-٤٩.

٣٢- أفراسياب: هو أفراسياب بن ترك بن نورين بن فرديون، أمَّا الكعبي، فقد نسبته إلى آل سلجوق، وإنَّ أهل الديري أخواله، ولهذا عُرف بـ(أفراسياب الديري)؛ إذ قام في عام (١٥٩٦) بشراء مدينة البصرة من الوالي العثمانيِّ (علي باشا) بمبلغ قدره (١٠٠٠) قرش على أن لا يقطع اسم السلطان العثمانيِّ محمَّد الثالث (١٥٦٦-١٦٠٣) من الخطبة، واستطاع أن يجنِّد عدداً كافياً من الجند، ويضبط شؤون البلاد، فيؤسِّس سلالة أخذت تُعرف بـ(آل أفراسياب)، تسنَّى لها أن تحكم البصرة زهاء اثنين وثمانين عاماً (١٥٩٦-١٦٦٨م)، للتفاصيل، يُنظر: محسن عدنان صالح، إمارة أفراسياب ودورها السياسي في البصرة (١٥٩٦-١٦٦٨)، مجلة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة، العدد (٣٤): ص ٧٤٩-٧٦٩؛ حسين محمَّد القهوائي، صمود البصرة عبر التاريخ، مجلة الخليج العربيِّ، العدد (١): ص ٢٤٣.

٣٣- كان السلطان العثماني خلال هذه المدة هو السلطان مراد الرابع، ويعدُّ من السلاطين العثمانيين الأقوياء، تولَّى الحكم والدولة تمرُّ بمرحلة من الضَّعف والانحلال، وتمكَّن من تصفية الأمراء المستقلين في لبنان وسوريا، ونجح في استرداد بغداد عام (١٦٣٨) من أيدي الفرس، يُنظر: يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي: ص ٩٨-١٠٤.

٣٤- ديلاً فاليه، المصدر السابق: ص ١٢٤؛ حسين علي عبيد المصطفى، المصدر السابق:

ص ٢٥٦.

٣٥- وما إن أعلن رفضه هذا، حتَّى لجأ إلى جملة من التدابير، فنظَّم الحالة المعاشيَّة للمدينة، وسجَّل الأهلى ليتسنى له حجم إعالتهم، كما ضبط الأملاك، ورَتَّب المرافقين والحراس، وأجبر النَّاس على العمل الزراعيِّ، وحفر التَّرع، وعمل جاهداً على مكافحة الاحتكار؛ وذلك للحفاظ على أحوال النَّاس من النَّاحية السيِّكولوجيَّة، ثمَّ إنَّه -بحكم علاقاته الجيِّدة مع البرتغاليين- أمَّن مدينته من جهة البحر، يُنظر: عبَّاس إسماعيل صباغ، المصدر السابق: ص ١٦١.

٣٦- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٥.

٣٧- يعود تاريخ التواجد البرتغالي في الخليج العربي إلى عام (١٥٠٧)، عندما قامت حملة بحرية برتغالية تتكوّن من ستّة عشر سفينة بقيادة (الفونسو دي البوكيرك) بمهاجمة هرمز والسيطرة عليها؛ كونها تُعدّ أقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفت المنطقة، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي بوصفها منفذاً للخليج العربي. جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسّع الأوربي الأول (١٥٠٧-١٨٤٠): ص ٥٢.

٣٨- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٥.

٣٩- الحُويزة: وهي تصغير الحوزة، وأصلها مصدر (حاز)، بمعنى الحيازة، أو التملك، وكان العرب يستعملون هذا اللفظ دلالة على تملك الأرض دون سواها، ويُشِيرُون بها إلى الأرض التي اتَّخذها فرد ويَنّ حدودها، فاستحقَّها دون منازع، وخضع هذا الإقليم إلى دولة المشعشين العربيّة (إمارة الحُويزة)، التي استمرَّ حكمها زهاء ثلاثمائة عام (١٤٥٤-١٧٢٤)، عندما استطاع بنو كعب مدّ نفوذهم إلى هذا الإقليم، يُنظر: أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجامي، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفك (١٧٦١-١٨٦٩) دراسة في أوضاعها السياسيّة والاقتصاديّة، رسالة ماجستير غير منشورة: ص ٩.

٤٠- ذكر الأستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني: «يبدو أنّ خطأ وقع في هذا التاريخ، إذ إنّ النُّسخة الأصليّة في رحلة ديلاًفاليه تذكر عام (١٦٢٤)، وليس عام (١٦٢٣) كما ورد في النُّسخة المترجمة للأب بطرس حدّاد»، يُنظر: طارق نافع الحمداني، المصدر السابق: ص ٢٨.

٤١- غوا: هي إحدى مدن الهند، للتفاصيل، يُنظر:

<https://ar.wikipedia.org/wiki>

٤٢- قبان: وهي جزيرة صغيرة عند مصبّ شطّ العرب بالخليج العربي، وهي التّابعة للبصرة. يُنظر: عبد العزيز بن مساعد الياسين، كشّاف الألقاب معجم ألقاب الأسر الكويتيّة: ص ١٨٤-١٨٥.

٤٣- القزلباش: أو ما يُعرف بـ (حُمر الرُّؤوس، أو الرُّؤوس الحمراء)، وهو لباس عسكريّ امتاز به الجيش الصّفويّ، وعبارة عن قلنسوة حمراء اللّون، ذات اثنتي عشر شقّة، تيمّناً بالألّمة الاثني عشر، صارت شعاراً للجيش الصّفويّ، للتفاصيل، يُنظر: كامل مصطفى الشّبيبي، الطريقة الصّفويّة ورواسبها في العراق: ص ١٥.

- ٤٤- دِيَلَا فَالِيَه، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٢٥؛ حَسِينُ المَصْطَفَى، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢٥٦.
- ٤٥- طَارِقُ نَافِعِ الحَمْدَانِيِّ، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٢٩.
- ٤٦- سَتِيفِن هِيْمَسْلِي لُونَكْرِيك، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٣٢.
- ٤٧- دِيَلَا فَالِيَه، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٢٥-١٢٦؛ حَسِينُ المَصْطَفَى، السَّابِقُ: ص ٢٥٧.
- ٤٨- الدَّوْرُق: وَتَسَمَّى الفَلَاحِيَّةُ، وَأَيْضاً تَسَمَّى سَرَق، وَهِيَ مَرْكَزُ أُمْرَاءِ بَنِي كَعْبٍ فِي الْأَحْوَازِ قَبْلَ بِنَاءِ مَدِينَةِ المَحْمَرَّةِ، تَقَعُ عَلَى نَهْرِ الجَرَّاحِيِّ، يُنْظَرُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ كَرِيمُ اللَّامِيِّ، مَوْسُوعَةُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَحْوَازِ خِلَالِ حُكْمِ إِمَارَتِي المَشْعَشِيَّيْنِ وَالكَعْبِيِّيْنِ: ص ٢٥-٢٦.
- ٤٩- وَذَكَرَ دِيَلَا فَالِيَه: «فِي الحَادِي وَالثَّلَاثِينَ مِنْ آذَارِ عَادَتْ إِلَى البَصْرَةِ سَفِينَتَانِ بَرْتِغَالِيَّتَانِ كَانَا القَائِدَ العَامَّ قَدْ أَرْسَلَهُمَا لَخَطْفِ المَدَافِعِ الفَارِسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْتُ أَعْلَاهُ، لَقَدْ عَادَ البَرْتِغَالِيُّونَ بِخَفْيٍ حُنِينٍ؛ إِذْ لَمْ يَجِدُوا أَثَرًا لِلْمَدَافِعِ؛ لِأَنَّ خَبَرَ خُرُوجِ السَّفِينَتَيْنِ لِهَذِهِ الغَايَةِ بَلَغَ مَسَامِعَ الفَرَسِ، فَلَمْ يَحْرُكُوا المَدَافِعَ عَنِ المِينَاءِ، لَكِنَّ السُّفْنَ المَذْكُورَةَ وَضَعْتَ اليَدَ عَلَى ثَلَاثَةِ قَوَارِبَ فَارِسِيَّةٍ وَأَسْرَتَهَا، وَكَانَتْ مَحْمَلَةً بِالبُضَائِعِ، وَفِيهَا رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنْ ذَوِي الشَّأْنِ أُخِذَ رَهِينَةً، فَقَدَّمَ لِلْحَالِ فِدِيَةً لَخُلَاصَتِهِ أَلْفَ رِيَالٍ أَبُو طَاقَةِ، لَكِنَّهُمْ رَفَضُوا، وَقَتَلُوا جَمِيعَ الْأَسْرَى، مَا أَفْطَعَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ! لَقَدْ اعْتَادَ البَرْتِغَالِيُّونَ عَلَى أَفْعَالٍ كَهَذِهِ، وَقَدْ فَعَلُوا فِي الهِنْدِ أَفْطَعَ مِنْهَا»، دِيَلَا فَالِيَه، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٢٨-١٢٩.
- ٥٠- المَصْدَرُ نَفْسُهُ: ص ١٢٦.
- ٥١- خَان: تَعْنِي أَمِيرٌ أَوْ حَاكِمٌ، يُنْظَرُ: مَصْطَفَى بَرَكَانَ، الْأَلْقَابُ وَالوُظَائِفُ العُثْمَانِيَّةُ دِرَاسَةٌ فِي تَطَوُّرِ الْأَلْقَابِ وَالوُظَائِفِ مِنْذُ الفَتْحِ العُثْمَانِيِّ لِمِصْرَ حَتَّى إِبْغَاءِ الخِلَافَةِ العُثْمَانِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْأَثَارِ وَالوُثَائِقِ وَالمَخْطُوطَاتِ (١٥١٧-١٩٢٤): ص ٢١.
- ٥٢- دِيَلَا فَالِيَه، المَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ١٢٦.
- ٥٣- المَصْدَرُ نَفْسُهُ.
- ٥٤- الْحَلَّةُ مَدِينَةٌ تَقَعُ جَنُوبَ بَغْدَادَ، وَتَبْعَدُ عَنْهَا مَسَافَةٌ (١٠٠ كم)^٢، وَتَبْلُغُ مَسَاحَتَهَا (١٦٧ كم)^٢، وَهِيَ تَتَبِعُ مَحَافِظَةَ بَابِلَ. مُؤَيَّدٌ سَعِيدٌ بِسِيمٍ وَآخَرُونَ، الدَّلِيلُ الإِدَارِيُّ لِلْجُمْهُورِيَّةِ الْعِرَاقِيَّةِ: ٩٠/١.
- ٥٥- تَعَرَّضَتْ بَغْدَادُ عَامَ (١٦٢٤) لِلْإِغْتِلَالِ الفَارِسِيِّ عَلَى أَثَرِ قِيَامِ بَكْرِ صَوْبَاشِي فِي بَغْدَادَ، لِلتَّفَاصِيلِ، يُنْظَرُ: عَبَّاسُ الْعَزَاوِيِّ، تَارِيخُ الْعِرَاقِ بَيْنَ إِغْتِلَالَيْنِ: ٤/ ٢١١-٢٢٥.

- ٥٦- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٦-١٢٧.
- ٥٧- إمارة أبي ريشة: نشأت في أعالي الفرات ما بين الفلوجة جنوباً، والرقة شمالاً، ونواحي حلب غرباً، للتفاصيل، يُنظر: إبراهيم محمد ساجت، إمارة آل أبي ريشة، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة، المجلّد (١٥)، العدد (٢): ص ٢٠٠-٢٣٣.
- ٥٨- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٨.
- ٥٩- المصدر نفسه.
- ٦٠- طارق نافع الحمداني، صمود البصرة ومقاومتها للهجمات الفارسيّة المتكرّرة في العقد الثالث من القرن السّابع عشر، مجلة المؤرّخ العربي، العدد (٢٥): ص ١٢٨-١٢٩.
- ٦١- «ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٨؛ طارق نافع الحمداني، المصدر السابق: ص ١٣١-١٣٢.
- ٦٢- عبد السّلام العبّاسي: عميد الأسرة العبّاسيّة، ويسمّى عبد السّلام الكبير ابن الشّيخ ساري، جاء مع أبيه إلى البصرة الجديدة في المشرق والسّيمر، اشتهر بالزّهد والتقوى، يُنظر: حسين عليّ عبيد المصطفى، المصدر السابق: ص ٢٧١.
- ٦٣- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٨.
- ٦٤- طارق نافع الحمداني، المصدر السابق: ص ٣٠؛ ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٨.
- ٦٥- تعرّضت البصرة في عشرينيّات القرن السّابع عشر أيضاً لحصارٍ فارسيّ ثالث، وقع عام (١٦٢٨)، وهو الذي سمّاه الحويزيّ بذكرى نزول الخان على البصرة، وهو المسمّى بوقعة الرّباط، ولا تختلف الأسباب الدّاعية لحصار البصرة عام (١٦٢٨) عن أسباب الحصارات السّابقة؛ إذ إنّّه جاء نتيجة لعدم انصياع عليّ باشا أفراسياب في الخضوع للشّاه عبّاس. طارق نافع الحمداني، المصدر السابق: ص ٣١.
- ٦٦- ديلاًفاليه، المصدر السابق: ص ١٢٩؛ طارق نافع الحمداني، المصدر السابق: ص ٣٠؛ حسين عليّ المصطفى، المصدر السابق: ص ٢٥٧.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولاً: الكتب

- ١- بديع محمد جمعة، الشَّاه عَبَّاسُ الكَبِير (١٥٨٧-١٦٢٩)، بيروت، المطبعة العصرية، ١٩٨٠م.
- ٢- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج العربي القسم الجغرافي، ج ١، ج ٢، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر، الدوحة، ١٩٨١.
- ٣- جمال زكريّا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربيّة في عصر التوسّع الأوربيّ الأوّل (١٥٠٧-١٨٤٠)، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٤- خليل عليّ مراد، الموصل بين السّيطرة العثمانيّة وقيام الحكم الجليليّ (١٥١٦-١٧٢٦)، موسوعة الموصل الحضاريّة، المجلّد (٤)، الموصل، ١٩٩٢م.
- ٥- ديلّافاليه، رحلة ديلّافاليه إلى العراق مطلع القرن السّابع عشر، ترجمة وتحقيق: بطرس حدّاد، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ٦- ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيّاط، ط ٣، بغداد، ١٩٦٢م.
- ٧- سليم طه التكريتي، المقاومة العربيّة في الخليج العربيّ، دار الحرّيّة للطباعة والنّشر، بغداد، ١٩٨٢م.
- ٨- عبّاس إسماعيل صبّاغ، تاريخ العلاقات العثمانيّة - الإيرانيّة الحرب والسّلم بين العثمانيّين والصّفويّين، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٩- عبّاس العزّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، الدّار العربيّة للموسوعات، قم، ١٤١٠هـ.

- ١٠- عبد الرحمن كريم اللّامي، موسوعة الأدب العربيّ في الأحواز خلال حكم إمارتيّ المشعشينّ والكعبيينّ، الدّار العربيّة للموسوعات، بيروت، ٢٠١١م.
- ١١- عبد العزيز بن مساعد الياسين، كشّاف الألقاب / معجم ألقاب الأسر الكويتيّة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٧م.
- ١٢- عليّ شاكّر عليّ، تاريخ العراق في العهد العثمانيّ (١٦٣٨-١٧٥٠)، الموصل، ١٩٧٥م.
- ١٣- كارل بروكلمان، تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، ج ٢، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.
- ١٤- كامل مصطفى الشبيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق، بغداد، ١٩٦٧.
- ١٥- ألكسندر آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتيّ، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ١٦- كلوديوس جيمس ريج، رحلة ريج في العراق، ترجمة: بهاء الدّين نوري، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ١٧- ليونهارت راوولف، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين سنة (١٥٧٣)، ترجمة: سليم طه التكريتيّ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م.
- ١٨- مصطفى بركان، الألقاب والوظائف العثمانيّة دراسة في تطوّر الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانيّ لمصر حتّى إلغاء الخلافة العثمانيّة من خلال الآثار والوثائق والمخطوطات (١٥١٧-١٩٢٤)، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٩- مؤيد سعيد بسيم وآخرون، الدّليل الإداريّ للجمهورية العراقية، ج ١، الدّار العربيّة، بغداد، ١٩٩٠م.
- ٢٠- يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق: بسّام عبد الوهّاب الجابي، دار البصائر، دمشق، ١٩٨٥م.

ثانياً: الرّسائل والأطروحات الجامعيّة

- ٢١- أحمد حاشوش عليوي عبيد الحجّاميّ، سوق الشيوخ مركز إمارة المنتفك (١٧٦١-١٨٦٩)، دراسة في أوضاعها السّياسيّة والاقتصاديّة، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٠م.

٢٢- عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول (١٥٨٨-١٦٢٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة حمة لخضر (الوادي)، ٢٠١٥م.

ثالثاً: المجلات الأكاديمية

- ٢٣- إبراهيم محمد ساجت، إمارة آل أبي ريشة، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (١٥)، العدد (٢)، جامعة القادسية، ٢٠١٥م.
- ٢٤- إبراهيم محمد ساجت، ثورة آل الطويل في بغداد (١٦٠٣-١٦٠٨)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، المجلد (٢)، العدد (٤١)، النجف، ٢٠١٦م.
- ٢٥- بطرس حداد، مقتطفات من رحلة ثيفنو إلى العراق في القرن السابع عشر، مجلة بين النهرين، السنة الثانية، العدد (٨)، الموصل، ١٩٧٤م.
- ٢٦- حسين عليّ عبيد المصطفى، البصرة في رحلات تيخيرا وديلافالاه والأب فيليب الكرملي، مجلة تراث البصرة، تصدر عن مركز تراث البصرة، التابع لقسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية/العتبة العباسية المقدسة، المجلد الأول، العدد (١)، البصرة، كانون الثاني ٢٠١٧م.
- ٢٧- حسين محمد القهوائي، صمود البصرة عبر التاريخ، مجلة الخليج العربي، العدد (١)، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٥م.
- ٢٨- حيدر جاسم الرويعي، أهداف الرحالة الأوربيين وتوجهاتهم إلى العراق، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلد (١٥)، العدد (٢)، القادسية، ٢٠١٢م.
- ٢٩- حيدر جاسم الرويعي، نشاطات الآباء الكرمليين في العراق حتى الحرب العالمية الأولى، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مجلد (٨)، العددان (١-٢)، القادسية، ٢٠٠٥م.
- ٣٠- حيدر صبري شاكر الخيقاني، كتابات الرحالة الأوربيين إحدى المصادر المهمة في تدوين تاريخ مدينة البصرة (نماذج مختارة)، مجلة آداب البصرة، مجلد (٢)، العدد (٦٣)، البصرة، ٢٠١٢م.
- ٣١- طارق نافع الحمداني، البصرة في رحلة الإيطالي ديلافالاه في القرن السابع عشر الميلادي، مجلة دراسات تاريخية، العدد (١٠)، جامعة البصرة، ٢٠١١م.

- ٣٢- طارق نافع الحمداني، صمود البصرة ومقاومتها للهجمات الفارسيّة المتكرّرة في العقد الثالث من القرن السّابع عشر، مجلّة المؤرّخ العربيّ، العدد (٢٥)، بغداد، ١٩٨٤ م.
- ٣٣- عادل محمّد عليّ الشّيش حسين، رحلة ليونهارت راوولف إلى العراق، وما انطوت عليه من نبات وشجر، مجلّة المورد، المجلّد (١٨)، العدد (٤)، العراق، ١٩٨٩ م.
- ٣٤- كوركيس عوّاد، بيبلوغرافيا عن الرّحلات التي قام بها أصحابها إلى العراق، مجلّة المورد، المجلّد (١٨)، العدد (٤)، العراق، ١٩٨٩ م.
- ٣٥- محسن عدنان صالح، إمارة أفراسياب ودورها السّياسي في البصرة (١٥٩٦- ١٦٦٨)، مجلّة الكليّة الإسلاميّة الجامعة، العدد (٣٤)، النّجف، ٢٠١٥ م.
- ٣٦- محمّد عبد الله العزّاوي، صفحات من تاريخ العلاقات الفرنسيّة مع البصرة في العصر الحديث، مجلّة آداب البصرة، المجلّد (٢)، العدد (٢)، البصرة، ٢٠١٢ م.
- ٣٧- هشام سوادى هاشم، أربيل في كتابات الرّحالة الأجانب في العهد العثمانيّ، مجلّة التربية والعلم، مجلّد (١٥)، العدد (٣)، جامعة الموصل، ٢٠٠٨ م.
- ٣٨- يوسف حبي، ديالغاليه في العراق، مجلّة آفاق عربيّة، السّنة الثالثة عشرة، العراق، آيار، ١٩٨٨ م.

رابعاً: الإنترنت

39- <https://ar.wikipedia.org/wiki>

رِسَالَةٌ فِي تَذْكِيَةِ السَّمَكِ

لِلسَّيِّدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَوْسَوِيِّ الْحُلُو

A Treatise on Slaughtering Fish

By Sayyed Abdul Razzaq bin Ali Al-Helou

تحقيق

الشيخ مدرك شوكان الحسون

مركز تراث البصرة

Inspected by

Mudrek Sh. Al-Hassoon,

Researcher, Basra Heritage Center

ملخص البحث

دأب الفقهاء قديماً وحديثاً على بيان المواضيع التي تكون محل ابتلاء المكلفين، ومورد الخلاف والتساؤل، والتعريف بها؛ وذلك من خلال تدوين مؤلف في ذلك، من كتاب أو رسالة، حسب الموضوع المبحوث عنه. ومن تلك الرسائل الفقهية التي خُطت كي تُعالج موضوعاً مهماً (رسالة في تذكية السمك)، التي ألفها العالم الجليل، والشريف النبيل، آية الله، السيد عبد الرزاق بن علي بن حسن ابن سلمان، الملقب بـ(الحلو).

لقد اتبع المؤلف في رسالته هذه منهجية العرض والتحليل، ومن ثم إبداء الرأي الفقهي في المسألة.

وقد دار البحث في خمس مسائل، وأربعة فروع، وفائدة، وأربعة إيضاحات، وهي كالآتي:

المسألة الأولى: احتياج السمك إلى التذكية.

المسألة الثانية: ما اتفق من صور التذكية.

المسألة الثالثة: ما لو وثبت سمكة فأخذت حية.

المسألة الرابعة: هل الإسلام شرط في تذكية السمك أم لا؟

المسألة الخامسة: لو عاد السمك إلى الماء ومات فيه.

وأما الفروع، فهي كالآتي:

الفرع الأول: الذكاة شرعاً.

الفرع الثاني: هل نظر الصياد كافٍ عن أخذه؟

الفرع الثالث: آلة الصيد والضابط فيها.

الفرع الرابع: حكم آلة صيد الكافر.

وأخيراً ذَكَرَ فائدة في حكم السمك الخارج من الماء من قبل نفسه وموته خارجه.

وأربعة إيضاحات قد تتصوّر للمسألة.

وقد اعتمدنا في التحقيق على نسخة يتيمة نُسخْتُ على مسوِّدة المؤلِّف، عُثِرَ عليها في مكتبة الإمام الحكيم **قدس** العامة في النجف الأشرف، برقم: (١-٥٧)، وبدا اسمها ونسبتها إلى مؤلِّفها وضحين كما في مقدّمة الكتاب.

وناسخها: هو الشيخ حسين ابن الشيخ عليّ ابن الشيخ حسن آل المقدّس الشيخ سليمان البحرانيّ بسنة (١٣٢٥هـ)، وبلغت عدد صفحاتها (١٦) صفحة.

وقد عملنا على تخريج وضبط النصوص، وتحقيق كلّ مسألة وتبويبها، ووضع العناوين اللازمة بين معقوفتين، والاستدلال على بعض المطالب التي تحتاج إلى ذلك، وتوضيح ما يحتاج إلى التوضيح من غريب اللّغة وغيره، ولا ندّعي الكمال في ذلك، فالكمال له جلّ ذكره، وعلا شأنه، وله الحمد أولاً وآخراً.

Abstract

Religious scholars are always keen to bring to light and introduce life subjects which are of concern for common people, together with some subjects that bear differences and inquiries. Such efforts are crystallized in the form of a book, a treatise, a letter, etc, depending on the topic concerned. The treatise under study is an example. The author has adopted the survey and analysis approach, followed by the religious opinion on the matter in question.

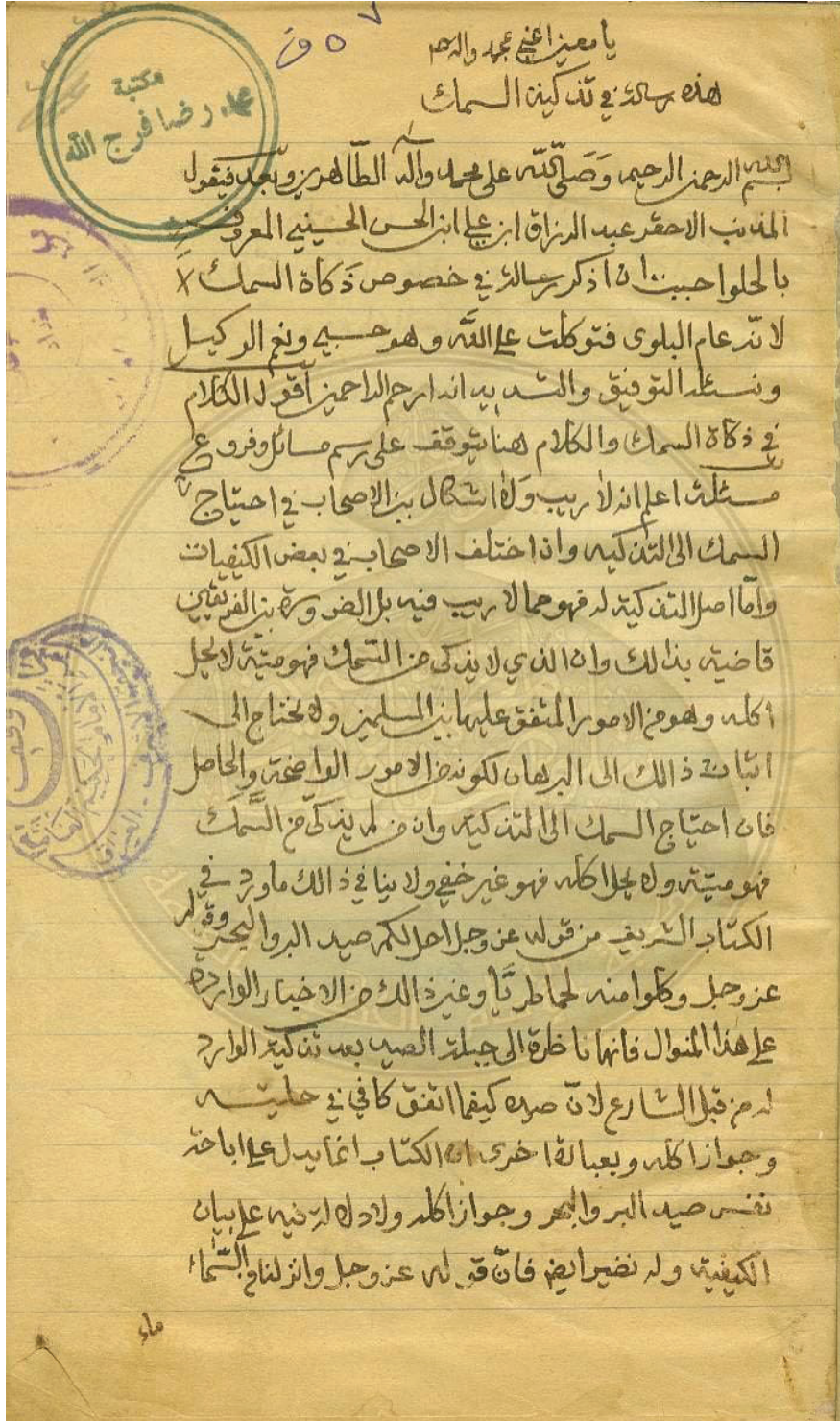
The present paper tackles five main matters, four minor points, and four explanations. The main theme is about the religiously right way of slaughtering fish to be more permissible to people. Based on Islamic doctrine, slaughtering fish covers catching fish, fishing tools, etc. The study is based on a single manuscript (16 pages) found in Imam Hakeem Library in Holy Najaf. The original texts have

been verified, investigated, interpreted and then classified adding the necessary titles. Any linguistic peculiarities have been explained.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا إلى طيِّبات ما أحلَّه لنا، وأنعم علينا من نعمه التي لا تُحصى بعددٍ، ولا تُقدَّر بعملٍ، وصلاته وسلامه على من بهم تُركى أفعالنا، وتُقبل أعمالنا، ومحمد وآله الطيِّبين الطاهرين.

دأب الفقهاء قديماً وحديثاً على بيان المواضيع التي تكون محلَّ ابتلاء المكلفين، ومورد الخلاف والتساؤل، والتعريف بها؛ وذلك من خلال تدوين مؤلفٍ في ذلك، من كتابٍ أو رسالةٍ، حسب الموضوع المبحوث عنه. ومن تلك الرسائل الفقهيَّة التي خُطَّت كي تُعالج موضوعاً مهماً (رسالةٌ في تذكية السَّمك)، الماثلة بين أيدينا، فقد أفصح مؤلِّفها عن سبب تأليفه في مقدِّمتها، فقال: «أحببتُ أن أذكر رسالةً في خصوص ذكاة السَّمك؛ لأنَّه عامُّ البلوى»، وقد وجد (مركز تراث البصرة) التابع لقسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة من الضَّرورة بمكانٍ إحياء تراث علماء البصرة من خلال تحقيق مؤلِّفاتهم، وإخراجها إلى القارئ بالمستوى اللائق والمطلوب، وقد وقع الاختيار على تحقيق هذه الرسالة؛ لكون موضوعها عامَّ البلوى، كثير النَّفع.



الصَّفحة الأولى من المخطوطة

والمعني اي محمد والرحم
 فيها بين الاحكام كما في الرياض قلت مضافا الى احوال الاصل والاختار
 الدالة على عدم اشتراط السحبة في تذكير منها الصريح عما صيد الخيول
 وان لم يسمي قال لا بأس ومثله في الاخبار المصروفة بعد من
 اشتراط السحبة في صيد السمك وكذلك في الصايد المصروفة
 انه لا يشترط الاستقبال في صيده اجماعا وقولا واحدا وكذلك في
 اشتراط البلوغ فيه فانه في الامور الممنوعة فافلوصاد السمك على
 المكلف ما لا يراه كانت جاز وحل كله لانه البلوغ ليس بشرط
 في ذكاة السمك ولو صاده الجيم واخبر باخراجه من الماء حيا عمل
 الرحمة المعروف من تذكيره ففي قبول قوله اشكال الا قد عدى القبول
 على ان الاصول احتساب الصيد كما لا يخفى وفي حكمه العبيد فيما ذكروا
 مجازين المسلمين كقول المناط واحد والله اعلم باهله من تحت الرسالة
 بيده مؤلفها الاقل المندوب عبد الرزاق ابن علي بن الحسن الحسيني
 المعروف بالحلوي ووقع الفروع في ايدى تاليفه في محرم سنة ١٣٢٥
 الالف وثلاثمائة وخمسة وعشرين من الهجرة على مهاجرها والالف
 سلام وختمها هكذا صورة خط مصنفها مصنفها سيدنا الحق
 العلامة المندوق الفهاص اطل الله ايامه وفرغ من تاليفه في
 المسودة التي في بخط مصنفها محمد بن تزيب افتداه اخوانه المؤمنين
 احقر الطلاب والمستغني الحاجي عفر بن السجاني والمنعطف لفرع
 جوده الصلبي المفسر اليه في كل لحظة في القاصي والداني حين
 من العالم الفاضل الشيخ شيخ علي بن المقدس المبرور الزكي المؤتمن
 في حسن اهل المقدس المبرور في سليمان النجاشي ملكها
 الله نواحي الاقاو دخل لها صاحب المعاني بحق محمد والفايع
 الثاني صلواته عليه ما جفت بصمته اليوم
 سنة ١٣٢٥
 الحجمة المصطفوية على مهاجرها وال
 السلام وختمها
 واصفون ذلك على
 والى الله العز
 محمد

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

ترجمة المؤلف

اسمُه ونسبُه ولقبُه

هو السيّد عبد الرزّاق بن عليّ بن حسن بن سلمان، الملقّب بـ(الحُلُو)، ابن السيّد سعد بن فرج الله بن عليّ بن سعد بن عبد الله بن حماد، الحُسَيْنِيّ، الجزائريّ، النّجفيّ، المعروف بالسيّد عبد الرزّاق الحُلُو، وينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

فهو من أسرة علويّة عُرفت بالعلم والعلماء، نزحت من الطّائف إلى العراق منذ زمنٍ بعيدٍ، فاتّخذت من شمال البصرة وبطائحتها، وبالتّحديد الجزائر وصبّاغية المدينة، وطناً لها، وتنتهي أسرة آل الحلو إلى السيّد عبد الله بن محمّد - حماد -، ومنه تفرّعت هذه الأسرة الكريمة؛ إذ أعقب ثلاثة أولاد، وهم:

- ١ - السيّد فرج الله، ومنه تنحدر أسرة آل الحلو.
 - ٢ - السيّد نعمة الله، ومنه تنحدر أسرة آل الجزائريّ.
 - ٣ - السيّد نجم الدين، ومنه تنحدر أسرة آل نجم الدين، أو النّواجي.
- ولُقّب بـ(الحُلُو) - مع أنّ أجداد هذه الأسرة القدماء كان يحملون لقب الجزائريّ - نسبة إلى أحد أجداد الأسرة، وهو السيّد سلمان الأوّل؛ إذ كان ذا طلعةٍ بهيّة، وهبيّة وجمالٍ، وكثير الدُّريّة والأولاد، والخدم والأتباع، فكان أهل

ذلك الزمان إذا رأوا أتباعه وخدمه يقولون هذا من أتباع أو خدمة السيّد الحلو، فصار لقباً له ولعائلته، فلقب به جميع أفراد الأسرة من بعده^(١).

ولادته ونشأته

وُلد السيّد عبد الرزّاق الحلو في النّجف الأشرف في حدود سنة (١٢٧٥هـ)، بعد هجرة العائلة إليها في حدود عام (١٠٠٠هـ) بأمرٍ من جدّهم الأعلى السيّد عبد الله، وأوّل من هاجر منهم ولده السيّد فرج الله.

نشأ وتربّى في أحضان والده السيّد عليّ الحلو **تدشّن**، الذي آلت إليه الرّعامتين الدّينيّة والأُسرّيّة، فقد كان وحيد عصر، وفريد دهره، قد بزّ في العلم جميع أقرانه، وشهد بفضله كلّ إخوانه، يُشار إليه بالبنان، حتّى كثر مقلّدوه وأتباعه في جنوب العراق، كما تذكرُ الأسرة، وآلت إليه مقاليد أمورها، فنهل من فيض علمه وفضله، وترعرع في أحضان هذه الشّخصيّة السّامية، فكان كأيّيه في الفضل والعلم، لم يشكّ في قدسيّته وفضله اثنان.

وقد كان منذ صباه معقد الآمال ومفخرة الرّجال، قد عقد عليه والده وعشيرته كلّ الآمال، وكان ذا همّة عالية، ونفس سامية، يُطاول بهمّته الجبال، ويحكي بشممه وإبائه أجداده العظام^(٢).

دراسته وفضله

ما أن اشتدّ عوده وقويت سواعده، حتّى عكف على تحصيل العلوم الدّينيّة عند جمع من علماء عصره، فدرس مبادئ العلوم الحوزويّة على بعض الأفاضل،

منهم: والدُّهُ السَّيِّدُ عَلِيّ الحلو، وعمُّهُ السَّيِّدُ مُحَمَّد الحلو، ولازم في أوائل أمره
العلّامتين السَّيِّد مَهْدِي القزويني، والسَّيِّد حسين بحر العلوم^(٣).
ثم حضر السُّطوح العالية على يد أعلام عصره حتّى نال رُتبة الاجتهاد،
منهم:

- ١- الشَّيْخ المحقِّق مُحَمَّد كاظم الخراساني (صاحب الكفاية).
- ٢- الشَّيْخ مُحَمَّد طه نجف.
- ٣- الميرزا حسين الخليلي^(٤).
- ٤- المولى الأخلاقي حسين قلي الهمداني.
- ٥- الشَّيْخ مُحَمَّد الحسين الكاظمي.
- ٦- السَّيِّد مُحَمَّد بحر العلوم^(٥).
- ٧- الميرزا حبيب الله الرشتي^(٦).
- ٨- مُحَمَّد حسن بن عبد الله المامقاني، ولازمه طويلاً، وأُجيز منه إجازة
اجتهاد مطلقة^(٧).
- ٩- الشَّيْخ الجواهري، كما صرَّح نفسه في مخطوطته هذه.

مرجعِيَّتُهُ ومكانتُهُ الدِّينِيَّةُ

لم تُثْنِ مشاغله المتكاثرة، وعوائله الكثيرة والعديدة، خصوصاً بعد وفاة والده
وعمِّه، وقيامه بأعباء زعامة الأسرة، عن الجدِّ والاجتهاد في تحصيل العلوم،
حتّى تألَّق نجمه، وأصبح يُشار إليه بالبنان، وطَبَّق اسمه أنحاء العراق والخارج،
وتوجَّهت إليه الأنظار بعد وفاة أستاذه المامقاني؛ إذ رجع إليه في التَّقليد بعض

أهالي جنوب العراق من أهالي الجزائر والقرنة وبني أسد وسوق الشيوخ وغيرهم، وتولّى إمامة الجماعة في الصّحن الحيدريّ الشريف. ولم تنحصر شهرته في العراق فقط، بل وصلت إلى إيران، فبعث له شاه إيران وساماً^(٨)، وأمر السّفير الإيراني بحمله إليه بنفسه، والتماسه على قبوله، فقبله السيّد بعد امتناع وتردّدٍ شديدين^(٩).

تلامذته

بعد أن برع في الفقه والأصول، تصدّى إلى البحث والتّدرّيس في النّجف الأشرف، فتتلمذ على يديه طائفة من طلاب العلم، فكانوا أهلاً للعلم والفضل، حتّى كانت داره مختلفاً للعلماء وطلاب العلم، لكن لم تذكر المصادر إلّا القليل من تلامذته، منهم:

- ١ - الشّيخ محمّد رضا بن قاسم بن الشّيخ محمّد الغراويّ، درس عنده البحث الخارج^(١٠).
- ٢ - السيّد عبد الحسين بن محمّد رضا الحلو^(١١).
- ٣ - العلامة السيّد عمران ابن السيّد محسن الحلو^(١٢).
- ٤ - الشّيخ حسين ابن الشّيخ عليّ ابن الشّيخ حسن آل المقدّس الشّيخ سليمان البحرانيّ، ناسخ هذه المخطوطة.

آثاره العلميّة

بين خضمّ أعماله المتعدّدة، ومسؤوليّاته الكبيرة، وانشغاله في البحث والتّدرّيس، وتصديّه لزعامه الأسرة، وتصدّره للمرجعيّة الدّينيّة، وقصر مدّة

حياته؛ إذ لم يكن بين ولادته ووفاته أكثر من الأربعة والأربعين عاماً، وفي غضون ستّة عشر عاماً، أو العشرين عاماً، استطاع أن يترك تركّة علميّة قيّمة أثّرت المكتبة الإسلاميّة، وبلغ عدد مؤلّفاته ما بين كتابٍ ورسالةٍ إلى التسعة والعشرين كتاباً، وفي بعضها لم يكن بينها وبين الآخر إلّا أشهرٌ، وأكثرها عامٌ، أحصى ذلك خبير هذا الباب العلامة الشّيخ آقا بزرك الطّهраниّ في ذريعته، بل لعلّ هناك من آثاره ما لم يصل إلينا عينه أو ذكره، كما هو الحال في رسالته هذه (تذكية السّمك)؛ إذ لم يذكرها كلٌّ من ترجم له، وبقيت بين الكتب والمخطوطات؛ إذ كانت مسوّدة على خطٍّ مؤلّفها إلى وقت العثور عليها من حفيد المترجم له فضيلة السيّد خالد الحلو، الذي عكف على تتبّع آثار العائلة وتراثها العلميّ، وقد عمل على تأليف صفحات مشرقة من تراثها في كتابه المطبوع (أعلام أسرة آل الحلو)، وإليك ما أجادت به أنامله رحمه الله من الآثار:

- ١ - جامع الأحكام: وهو كتاب في فقهيّ استدلاليّ في عشرين مجلّداً. وقد وثّق الشّيخ آقا بزرك الطّهраниّ تاريخ إنهاء كلّ جزءٍ منها، بعد رؤيته لها وإطلاعه عليها^(١٣).
- ٢ - كتاب الطّهارة: وهو كتاب استدلاليّ مستقلّ، وليس شرحاً على شيءٍ من الكتب الفقهيّة، في سبعة مجلّدات^(١٤).
- ٣ - الرّسالة الرّضاعيّة المبسوطة: ألّفها بالتماس جمعٍ من طلابه الذين كانوا يقرأون عليه بحث الرّضاع في شهر الصّيام، وفرغ منها في الثّاني من شوّال عام (١٣٢٥هـ)^(١٥).
- ٤ - مئنة العالمين وبغية الرّاعين: وهو كتاب فتوائيّ في العبادات إلى آخر

الخميس، في مجلّد ضخم، ألفه بالتّماس بعض الإخوان، وفرغ منه في (٢٣ ربيع الأوّل/ ١٣٢٦هـ) ^(١٦).

وقال فيها الشيخ كاظم السّودانيّ:

خُذِ الْهُدَى عَنْ (بُغْيَةِ الرَّاغِبِ) وَاَعْمَلْ بِهَا فَهِيَ مُنَى الطَّالِبِ
وَاسْتَقْصِرْ مِنْ أَحْكَامِهَا مِنْهَجاً قَدْ انْجَلَى فِي وَاضِحِ اللَّاحِبِ
أَقَامَ عَنْهُ نَائِباً لِلْهُدَى أَكْرَمَ بِهِ لِلْوَحْيِ مِنْ نَائِبِ

وقد طُبعت في مطبعة الحبل المتين في النّجف الأشرف، وعليها تعليقات الشيخ عبد الله المامقانيّ، فقد أرجع مقلّديه العرب إلى كتاب المنية مع الأخذ بتعليقاته، التي تتضمّن المسائل الخلافيّة مع السيّد عبد الرّزاق الحلوّ ^{قدس سرّه}.

٥- تفسير القرآن.

٦- رسالة في تذكية السّمك: وهي المخطوطة الماثلة بين أيدينا، وقد فرغ من تأليفها في الثالث من محرّم الحرام (١٣٢٥هـ) ^(١٧).

أقوال العلماء فيه

لم يكن السيّد عبد الرّزاق الحلوّ بعيداً عن الأوساط العلميّة، ولم يكن غائباً عنها، فهو ابن حاضرة العلم والعلماء، ومحطّ الأنبياء والأولياء (الغريّ) على مشرّفه أفضل الصّلاة والسّلام. فقد وُلد في مدينة العلم، ونشأ وتربّى في بيت العلم والعلماء، وانسلّ من سلالَةٍ عُرِفَتْ بالعلم والزّهد والمعرفة، فليس بالغريب أن تسمع أو تقرأ عنه كلمات المدح والثناء ممّن عرفوه وعاشوه، وإليك بعضها:

١- قال السيّد شهاب الدّين المرعشيّ ^{قدس سرّه} عند ذكره لمشايخه في الرواية: «وممّن

أروي عنه: العالم الجليل، والشريف النبيل، التقي الورع، حجة الإسلام والمسلمين، السيّد عبد الرزّاق بن عليّ بن حسن بن سلمان بن سعد بن فرج الله، الحسيني، الموسوي، الجزائري، النجفي (آل الحلو)»^(١٨).

٢- قال الشيخ آقا بزرك الطهراني: «كان بارعاً في الفقه، ألف فيه كتباً قيّمة، كما كان على جانبٍ عظيمٍ من الصّلاح والتّقوى، يحترمه عارفوه ويجلّونه، وقد كان ملاذ أسرته، يحضر أفرادها صلاته، ومجالسه مع كثير من الأخيار، وقد جاورت داره عدّة سنين، وكنت أكثر التّردّد إليه، وأستزيد من لقاءه، وأستفيد من بركاته»^(١٩).

٣- قال الشيخ محمّد رضا المامقانيّ في استدراكه على (مخزن المعاني): «من أسرة علميّة عريقة، ومن البيوتات العلويّة الشّريفة، فقيهٌ أصوليّ متضلّع، ومجتهدٌ جليلٌ متبّع»^(٢٠).

٤- جاء في موسوعة طبقات الفقهاء: «كان فقيهاً بارعاً من كبار علماء الإماميّة ومجاهديهم»^(٢١).

زهده وأخلاقه

ما نقلته كتب التّراجم، وما نقل عنه الذين عايشوه وشاهدوه، ما هو إلّا جانبٌ يسير من خصاله الحميدة، وورعه وتقواه، وتواضعه وزهده، فقد كان رحمه الله على الظّالمين والمفسدين شديداً غليظاً، وفي الوقت نفسه كان بالمؤمنين رؤوفاً عطوفاً، يستوي عنده الغنيّ والفقر، والقويّ والضعيف، حتّى كانت داره **مُتَشَتِّلَةً** مختلفاً للعلماء الفطاحل، وجنابهُ مأوىً للمُعوزين، وكهفاً للّاجئين، قد

ربّي طائفةً كبيرةً من طُلاب العلم، وعلى يديه تخرّج بعضهم.
جمع مع العلم والكرم والتّقوى أخلاقاً زاكية، وهمّة عالية، ينظر إلى طُلاب العلم نظرة الوالد العطوف، ويقوم بقضاء حوائج إخوانه بنفسه، ويتهلّل وجهه فرحاً واستبشاراً إن وُفق لقضاء حوائجهم.
له عزّة المؤمنین، وشممُ آبائه الطّاهرين، وقد تتعسّر عليه الأمور أحياناً، فيلتزم حينئذٍ بالتّجمل، وينشد قول الشاعر:

(وَإِذَا تُصَبِّكَ خِصَاصَةٌ تَجَمَّلْ).

اتخذهُ آية الله الشَّيخ محمّد حسن المامقانيّ أخاً، ومستشاراً، وعضداً، فكان لا يقطع أمراً دون أخذ رأيه ومشاورته، وقد كانت تُجبي لآية الله المامقانيّ الأموال الجزيلة من الحقوق الشرعيّة، وتقسيّماته في النّجف مشهورة معروفة، وكان يدعو السيّد إلى داره، ويدخله إلى الحجرة التي فيها الأموال، ويقول له: خُذ منها ما تشاء، فإنّها أموالكم، وأموال جدّكم، فيتبسّم السيّد، ويقول له: إنّي غنيّ جداً، فيلحّ عليه الشَّيخ، فيقول له السيّد: هل أخبرك أحدٌ أنّي في حاجةٍ، وهل سمعت منّي شكاية؟ فيُجيبه الشَّيخ بالنّفي، فيقول له: فلمَ هذا الإلحاح إذن، فيقول له الشَّيخ: إن لم تكن أنت في حاجةٍ، فلك أقرباء، فخذ وأعطهم، فيُجيبه السيّد **فتشأ**:
إنّي قد كفيتهم المؤونة، فهل سمعت من أحدهم شكاية؟

فلما رأى الشَّيخ **فتشأ** هذه العفّة وهذا الإباء، جعله شعاره، ودثاره، وقَدّمه على كلّ قرابةٍ وصديقٍ، حتّى على أولاده، فكان لا يُعطي أحداً إلّا برأيه ومشورته، والتمس منه أن يجعل مقسّمين من تحت يده، يقسّم على جميع الطّلاب العرب وفقرائهم»^(٢٢).

جهاده

لم تقف جهوده ومسؤولياته في سبيل خدمة الدين والتشيع عند الجانب العلمي والجهاد بالقلم واللسان فحسب، بل حمل السلاح إلى جانب القلم، بعد ما أصدر علماء الدين والمراجع فتاواهم بوجوب الجهاد ضدّ الإنجليز، كان هو **قُدْسِي** في طليعتهم، وأصدر فتواه بوجوب الجهاد، وأعلن أنّه خارج إلى الجهاد بنفسه دفاعاً عن الإسلام وعن بلاد المسلمين، وحينما تعرّض العراق للغزو والاحتلال من قبل قوَّات الاحتلال البريطانيّ عام (١٩١٤/١٣٣٣هـ)، واستنجدت الدولة العثمانية بالمرجعية الدينية في النجف، وكتب أهل البصرة كُتُباً إلى العلماء يستنهضونهم، أفتى العلماء بالجهاد، وتصدّروا بأنفسهم كتائب المجاهدين، وخرجوا لخوض المعارك من النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية، ومعهم زعماء العشائر، ورؤساء القبائل، والتجّار، وكثير من أبناء العراق، وكان السيّد عبد الرزّاق الحلّو من أبرز العلماء الذين جاهدوا بالقول والعمل من اليوم الأوّل، وقد شهد هذه الأحداث السيّد شهاب الدين المرعشي **قُدْسِي**، ودوّنها في كتابه (الإجازة الكبيرة)، أو (الطريق والمحجّة لثمرة المهجّة) في الرواية عن السيّد عبد الرزّاق الحلّو، وإجازته الشفهيّة في أثناء هذا الحدث فقال: «كان **رحمته الله** ممّن خرج إلى دفع الجيش البريطانيّ عند دخوله العراق ومحاربتة مع الدولة العثمانية، وكأنيّ به **قُدْسِي** في الصّحن الشريف العلويّ مملوءة بالنّاس من شيوخ العشائر والعلماء والتجّار والأُمراء وسائر الطبّقات على اختلاف أصنافهم، وهو على المنبر، يهيج النّاس إلى الدّفاع، وكان في ذلك الأيّام القائد العامّ (محمّد چاچان الدّاغستانيّ) من أعظم أُمراء الدولة العثمانية جالساً في المجلس، وكان رجلاً ذا سكينّة ووقارٍ

وأبّهة، وكان السيّد رحمته الله مُسدلاً ذؤابة عمامته، قائماً على عريشة المنبر، آخذاً بيده الرّاية المعروفة بالخيريّة: وهي لواء يُقال إنّ عودها هي العودة التي كانت بيد الأمير عليه السلام يوم فتح خير، وكان السيّد يُنادي بأعلى صوته: يا معاشر المسلمين، هذا علمُ أمير المؤمنين، اعلّموا أنّ الإسلام أصبح غريباً، وقد هجم على بلاد الإسلام جيش الكفر، فادفعوا عنها، فيها مشاهد يُذكر فيها اسمُه تعالى، ويُتلى ذكره.

فعلّت الأصوات بالبكاء والعويل، فترى الناس بين صارخٍ ومنادٍ: وإسلاماه، وإديناه، وإحمّده، وبالجملة كان ذلك اليوم مشهوداً، ورقى بعده العلّامة الأستاذ الأديب آية الله السيّد محمّد سعيد الحبوبي، وبعدهما عدّة من العلماء والخطباء»^(٢٣).

فكان السيّد عبد الرزّاق الحلو أوّل المجتهدين الذين وصلوا إلى السّماوة في طريقه إلى ساحة الحرب، وكان معه تسعة من أتباعه، فنصب خيامه على الشّاطئ الشرقيّ من النّهر، وبعد يومين من وصوله، وردّته برقيّة من الوالي (جاويد باشا)، الذي كان في البصرة، يتوسّل إليه برسول الله وآل البيت وفاطمة الزّهراء عليهنّ السلام أن يُسرّع في المجيء إليهم؛ إذ إنّ البصرة مهدّدة، وهم في ضيق شديد، فلمّا قرأ السيّد البرقيّة نادى أصحابه، فأمرهم بتقويض الخيام، ووضعها في السّفن حالاً.

يقول عبد العزيز القصّاب في مذكراته - وكان آنذاك قائم مقام السّماوة -: إنّهُ نصّح السيّد بالترّيث في الرّحيل لشدّة الرّيح، غير أنّ السيّد أصرّ على الرّحيل. وعند وصول السيّد عبد الرزّاق إلى القرنة كانت البصرة على وشك السّقوط، فأخذ يجمع المجاهدين من أفراد عشائر الجزائر (المدينة) المقلّدين له في أنحاء

القرنة، ويقدمهم إلى القائد للمدافعة^(٢٤).

ويذكر أن جبهات القتال توزعت على ثلاثة محاور رئيسة، هي:

١- القلب: مركزه القرنة، يقوده من العلماء: (مهدي الحيدري، وشيخ الشريعة، ومصطفى الكاشاني، وعلي الداماد)، والسيد وعبد الرزاق الحلو في الجانب الآخر من النهر.

٢- الجناح الأيمن: مركزه الشعبية، ويقوده من العلماء: (محمد سعيد الحبوبي، وباقر حيدر، ومحسن الحكيم).

٣- الجناح الأيسر: مركزه الحويزة، ويقوده من العلماء: (مهدي الخالصي وولده، وجعفر الشيخ راضي، وعبد الكريم الجزائري، وعيسى كمال الدين)^(٢٥). وقبل وصول السيد عبد الرزاق الحلو إلى المدينة، بعث ابن عمه السيد محمد رضا الحلو، وأخيه السيد عبد المحسن الحلو، وعليهما كان اعتماده، إذ قدمهما بين يديه لاستنهاض أتباعه ومريديه من أهالي الجزائر، فوصل السيد إلى ناحية المدينة، فوجد الإنجليز قد احتلّوها، ورفعوا عليها علمهم، فاستقبلته هناك جموع العشائر بحماسٍ شديدٍ، وبعد أن وعظهم وأعلمهم بوجوب الجهاد، أمر على علم الإنجليز، فأنزل وكُسر، ورفع مكانة علم المسلمين، ثم انحاز من الناحية المذكورة إلى مكان وسط الهور قريب من القرنة، وتبعه جمعٌ كبيرٌ من أهالي الجزائر وأمرائهم، يتقدمهم الأمير (حسك آل مبارك) وجميع أهل بيته وأقربائه، فكان السيد وأتباعه شوكة في عين الإنجليز.

ولما استفحل أمره، ورأى الإنجليز أن وجوده في هذا المكان خطر عظيم عليهم، هاجموا في مركزه على حين غفلةٍ على ظهر باخرةٍ حربيةٍ مسلّحةٍ،

فلم يشعر السيّد وأتباعه إلا وباخرة الإنجليز قد قاربتهم، فثارت فيه النخوة الهاشمية، والحمية الدينية، وحرّض أتباعه على مواجهتها، والهجوم عليها، قبل أن تصل فيكون ما لا تُحمد عقباه، وأراد أن يتقدّمهم بنفسه، فقام إليه الأمير (حسك آل مبارك) رئيس الإمارة، ونهاه عن الرّكوب بنفسه، وقال له: سوف نكفي شرّها بإذن الله، ثمّ شمّر الأمير عن ساعديه، واستنهض عشيرته وأتباعه، وركبوا الزّوارق النهرية، واستقبلوا الباخرة الإنجليزية بحماسهم الدينيّ ونخوتهم العربيّة، فكان لهم في ذلك اليوم عمل مشكور سجّله لهم التاريخ بفخر وإعجاب؛ فقد ضيّقوا عليها الخناق، وقطعوا عليها خطّ الرجعة، وكانوا يُلقون أنفسهم في أحضان الموت، ولم ترهبهم مدافع الإنجليز الثّقيلة، ولا رشاشاته المزعجة، فكادت الباخرة أن تستسلم لهم لولا أن خفّت لنجدتها بارجة حربيّة كبيرة مسلّحة، يُطلقون عليها في ذلك الوقت اسم (أبو سلّة)، فاستنفذتها من أيديهم بعد اللّتيا واللّتي، فرجعوا وقد أسكرتهم نشوة النّصر، ولم يُبالوا بمن استشهد منهم في ذلك اليوم، فقد قُتل منهم شباب هم زهرة الوقت ومثال الشّجاعة والشّهامة.

فاستقبلهم السيّد رحمه الله مهنيّاً لهم بالظّفَر، معجباً بشجاعتهم وحميتهم الدينيّة، مبيناً لهم ما أدّخره الله لهم من الثّواب الجزيل والأجر العظيم ^(٢٦).

ولم يزل السيّد عبد الرّزاق الحلو وأتباعه في مكانهم إلى أن هجم الإنجليز على معسكر الأتراك العموميّ الهجوم الحاسم، الذي أعقبه انهزام الأتراك ورجوع المجاهدين وعلماء الدّين، فجمع السيّد رحمه الله أهل بيته وأتباعه وأخبرهم بأنّه قد وطّد العزم على مواصلة الجهاد والالتحاق بمعسكر العثمانيّين في كوت الإمارة،

فَمَنْ أَحَبَّ الرِّوَّاحَ مَعَهُ، فَإِنَّ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ أَحَبَّ الْاِلْتِحَاقَ بِأَهْلِهِ، فَهُوَ فِي حُلٍّ مِنْهُ، فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَهَالِي الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ، أَمَّا الْأَمِيرُ الْمُجَاهِدُ (حَسَكُ آلِ مَبَارَكِ)، فَقَدْ وَطَّدَ الْعَزْمَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَ السَّيِّدِ، وَمُواصَلَةِ الْجِهَادِ مَعَهُ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، ثُمَّ سَارَ السَّيِّدُ **قَدُّش**، وَمَنْ مَعَهُ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى الْكُوتِ، فَاسْتَقْبَلُوا اسْتِقْبَالًا رَسْمِيًّا بِأَمْرِ قَائِدِ الْأَتْرَاكِ الْعَامِّ (نُورُ الدِّينِ بَاشَا)، وَشَاهَدَ السَّيِّدُ هُنَاكَ سَقُوطَ الْكُوتِ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَ الْمُسْلِمِينَ لَهَا ^(٢٧).

وَلَمْ يَتَوَقَّفْ **قَدُّش** هُنَاكَ، بَلْ كَانَتْ لَهُ مِشَارَكَةٌ أَيْضًا فِي نَهْضَةِ الْعُلَمَاءِ الثَّانِيَةِ فِي مَعْرَكَةِ (سَلِيمَانَ بَاكٍ)، الَّتِي انْتَهَتْ بِدَحْرِ الْقَوَّاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ وَإِرْجَاعِهَا إِلَى وَسْطِ الْفَرَاتِ، وَكَانَ مُواصِلًا لِلْجِهَادِ وَمُثَابِرًا عَلَيْهِ إِلَى سَقُوطِ بَغْدَادِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَ إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ، فَكَانَ يَوْمَ دُخُولِهِ إِلَى النَّجَفِ مَشْهُودًا، اسْتَقْبَلَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَشْرَافُ وَوُجُوهُ النَّجَفِيِّينَ، وَلَمَّا دَخَلَ الصَّحْنُ الشَّرِيفَ، قَصَدَ حَرَمَ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ **عَلِيِّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ**، وَأَدَّى مَرَامِسِيمَ الزِّيَارَةِ، خَرَجَ وَقَصَدَ مَقْبَرَةَ الْمُجَاهِدِ آيَةِ اللَّهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ الْحُبُّوبِيِّ، وَتَلَا عَلَى رُوحِهِ الْفَاتِحَةَ، وَأَبْنَاهُ بِكَلِمَاتٍ رَقِيقَةٍ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى ^(٢٨): ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ^(٢٩).

وَفَاتُهُ

بَعْدَ أَنْ أَنْهَىٰ رَحِلَتَهُ الْجِهَادِيَّةَ، كَرَّرَ **قَدُّش** رَاجِعًا إِلَى النَّجَفِ الْأَشْرَفِ لِمُواصَلَةِ التَّدْرِيسِ وَالتَّلَايفِ، إِلَى أَنْ أَجَابَ دَاعِي رَبِّهِ فِي (٤ جُمَادَى الْأُولَى ١٣٣٧ هـ).
كَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ عَظِيمًا، عُطِّلَتْ فِيهِ الْأَسْوَاقُ، وَهَرَعَ النَّاسُ عَلَى اخْتِلَافِ

طبقاتهم، وحملوا جثمانه الطاهر على الرؤوس، وكان للإنجليز -يومذاك- جيش مرابط في النجف على أثر حصار النجف المعروف، فلما رأى الحاكم الإنجليزى خروج الناس، وتجمهرهم خارج المدينة القديمة، ورأى الأعلام مرفوعة، اضطرب اضطراباً شديداً، ولما علم بواقع الحال، أمر الجنود أن يقفوا سماطين من مدخل السوق الكبير إلى باب الصحن الشريف يؤدّون التحية للجثمان حينما يمرّ عليهم، وحينما مرّ الجثمان على مركز الحكومة (السراي) أنزل له العلم.

ووصل الجثمان إلى الصحن الشريف بين التهليل والتكبير، والبكاء والعويل، وضرب الصدور، ووضع وسط الصحن الحيدري، وتقدّم المرحوم آية الله العظمى السيّد محمد كاظم اليزدي قدس وصلى عليه ^(٣٠)، ثمّ حمل ودُفن مع المرحوم والده في الحجرة المنسوبة إلى الأسرة في الصحن الشريف (حجرة رقم ٦) ^(٣١).

ورثاه الشعراء، وكان ممّن رثاه المرحوم الشيخ (كاظم السوداني) بقصيدة يقول فيها:

أصات بسمع الدهر يهتف ناعيه
نعيّ بعظم الرزء أرجف داعيه
تخال -وقد ضجّوا- القيامة فاجأت
وناهيك رزء أنّها قرنت فيه
بكته السّما حين انبرى جبرئيلها
بقاطبة الأملاك بالحزن يبكيه
على العرش لا في النعش جثمانه استوى
مثال بوصف الحال في العرش يحكيه

مَضَى ذَاهِباً لَكِنْ بَقِيَ مَسَاعِيهِ
 وَرُبَّ امْرِئٍ يَفْنَى وَتَبَقَى مَسَاوِيهِ
 قَدْ اتَّصَلَتْ فِي كُلِّ قِطْرِ نَوَاعِيهِ
 وَفَوْقَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ تَبْكِي بَوَاكِيهِ
 إِلَى أَيْنَ يَأْوِي طَالِبُ الْعِلْمِ وَالْهُدَى
 وَمَنْ بَعْدَهُ الْمُرْتَادُ لِلْجُودِ يَقْرِئِهِ^{(٣٢)(٣٣)}

وَأَرَّخَ وَفَاتَهُ الشَّيْخُ (فَرَجُ الْعِمْرَانِ الْقُطَيْفِيِّ) بِقَوْلِهِ:

نَعَى لِلْهُدَى رُوحَ جُثْمَانِهِ نَعَى شَجَانَا بِالْحَانِهِ
 قَضَى عَبْدُ رَزَّاقِهَا نَحْبَهُ وَرَاحَ لِرُوحٍ وَرَيْحَانِهِ
 مَضَى السَّيِّدُ النَّذْبُ حُلُو الصِّفَا تِ إِلَى حُورِهِ وَلَوْلَدَانِهِ
 دَعَاهُ الْإِلَهُ فَلَبَّى نَدَاهُ وَطَارَ اشْتِيَاقاً لِلْقِيَانِهِ
 تَلَقَّاهُ رَزَّاقُهُ بِالْحُبُورِ وَأَسْكَنَهُ دَارَ جِيرَانِهِ
 وَحِينَ بَمَوْلَاهُ أَرَّخَ: (لِجَا جَزَاهُ بِأَكْبَرِ رِضْوَانِهِ)^(٣٤).

نسخة المخطوط

النسخة المعتمدة في التحقيق هي نسخة يتيمة نُسخَتْ على مسوِّدة المؤلف، عُثِرَ عليها في مكتبة الإمام الحكيم العامَّة في النِّجَف الأشرف، برقم: (٥٧-١)، وبدا اسمها ونسبتها إلى مؤلِّفها واضحين كما جاء في مقدِّمة الكتاب، فقد قال بعد الحمد والثناء: «فيقول المذنبُ الأحقر، عبد الرَّزَّاق بن عليِّ بن الحسن، الحسيني، المعروف بالحلُّو: أحببتُ أن أذكر رسالةً في خصوص ذكاة السَّمَك».

نسخها: الشيخ حسين ابن الشيخ عليّ ابن المقدّس الشيخ حسن آل المقدّس الشيخ سليمان البحرانيّ عام (١٣٢٥هـ)، وبلغ عدد صفحاتها (١٦)، وعدد أسطرها مختلفة، وحجمها (٦، ١٢ * ٤، ٢٠).

وفي النسخة بياض بمقدار الكلمة والثلاثة، تمّ علاجه من خلال الرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلّف، وسياق الكلام. ويظهر أنّ السبب في ذلك ندرة وصعوبة تحصيل المصدر في زمن النسخ؛ إذ إنّ النّاسخ في بعض الأحيان يترك بياضاً بمقدار كلمة أو كلمتين من الرواية؛ لعدم وضوح الخطّ، ووجود المصدر، خصوصاً أنّ النّاسخ - كما ظهر من حردلة المخطوط - من طلبة العلم ومن تلامذة المؤلّف.

اتّبع المؤلّف في رسالته هذه منهجيّة العرض والتّحليل، ومن ثمّ إبداء الرّأي الفقهيّ في المسألة، وقد دار البحث في خمس مسائل، وأربعة فروع، وفائدة، وأربع إيضاحات، وهي كالآتي:

المسألة الأولى: احتياج السمك إلى التّذكية.

المسألة الثانية: ما اتّفق من صور التّذكية.

المسألة الثالثة: ما لو وثبت سمكة فأخذت حيّة.

المسألة الرابعة: هل الإسلام شرط في تذكية السمك أم لا؟

المسألة الخامسة: لو عاد السمك إلى الماء ومات فيه.

وأما الفروع، فهي كالآتي:

الفرع الأوّل: الذّكاة شرعاً.

الفرع الثّاني: هل نظر الصّياد كافٍ عن أخذه؟

الفرع الثالث: آلة الصَّيْد والضَّابِط فيها.

الفرع الرَّابِع: حُكْم آلة صيد الكافر.

وأخيراً ذَكَرَ فائدة في حُكْم السَّمَك الخارج من الماء من قبل نفسه وموته خارجه.

وأربعة إيضاحات قد تتصوَّر للمسألة.

مصادرُ المؤلَّف

من خلال التحقيق ومراجعة النُّصوص ومطالب هذه الرِّسالة، تبيَّن لنا أنَّ المصنِّف اعتمد في رسالته هذه على كتاب الكافي الشَّريف، وتهذيب الأحكام، والاستبصار، ووسائل الشَّيعة، وبعض الكتب الفقيهيَّة: وهي السَّرائر، والغُنية لابن زهرة، ومستند الشَّيعة، ورياض المسائل، وجواهر الكلام.

منهجيةُ التَّحقيق

عملنا على تخريج وضبط النُّصوص، وتحقيق كلِّ مسألةٍ وتبويبها، ووضع العناوين اللازمة بين معقوفتين، والاستدلال على بعض المطالب التي تحتاج إلى ذلك، وتوضيح ما يحتاج إلى التَّوضيح من غريب اللُّغة وغيره، ولا ندَّعي الكمال في ذلك، فالكمال له جلَّ ذكره، وعلا شأنه.

وفي الختام: أقدِّم كلَّ الشُّكر والتَّقدير لكلِّ مَنْ أعانَ وأسهمَ في إكمال وإتمام هذه المهمَّة العلميَّة الجليَّة، وأخصُّ بالذكر الجميل راعي المسيرة الدِّينيَّة زعيم الطائفة نائب الإمام عليه السلام آية الله العظمى السيِّد عليِّ الحسيني السيستاني، والمتولِّي الشرعيِّ للعتبة العباسيَّة المقدَّسة الفاضل النِّبيل السيِّد أحمد الصَّافي، ودعائي لهم

بقبول الأعمال وأفضلها، ودوام التوفيق لصالح الأعمال وأزكاها، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

رسالة في تذكية السمك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

وبعد، فيقول المذنبُ الأحقر، عبدُ الرزاق بنِ عليِّ بنِ الحسن، الحسيني، المعروف بـ(الحُلُو): أحببتُ أن أذكر رسالةً في خصوصِ ذكاةِ السمك؛ لأنَّه عامُّ البلوى^(٣٥)، فتوكَّلتُ على الله وهو حَسْبِي ونعم الوكيل، ونسأله التوفيق والتَّسديد، إنه أرحمُ الرَّاحِمِينَ.

[ذكاةُ السمك]

أقول: الكلامُ في ذكاةِ السمك، والكلامُ هنا يتوقَّفُ على رسمِ مسائل وفروع:

[احتياجُ السمكِ إلى التذكية]

مسألة: أعلم، أنَّه لا ريبَ ولا إشكالَ بينَ الأصحابِ في احتياجِ السمكِ إلى التذكية^(٣٦)، وإن اختلفَ الأصحابُ في بعضِ الكيفياتِ^(٣٧)، وأمَّا أصلُ التذكية له، فهو ممَّا لا ريبَ فيه، بل الصَّرورة بينَ الفريقينِ قاضيةٌ بذلك^(٣٨)، وأنَّ الذي لا يُذَكَّى من السمك، فهو ميتةٌ، لا يحلُّ أكله، وهو من الأمور المتفقِ عليها بينَ المسلمين^(٣٩)، ولا نحتاجُ إلى إثباتِ ذلك إلى البرهان؛ لكونه من الأمور الواضحة. والحاصل: فإنَّ احتياجَ السمكِ إلى التذكية، وأنَّ من لم يُذَكَّ من السمك، فهو

مَيْتَةً، وَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ، فَهُوَ غَيْرُ خَفِيِّ، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الشَّرِيفِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ﴾^(٤٠)، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(٤١)، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَلَى هَذَا الْمَنَوالِ^(٤٢)، فَإِنَّهَا نَازِغَةٌ إِلَى حَلِّيَةِ الصَّيْدِ بَعْدَ تَذَكِّيَتِهِ الْوَارِدِ لَهُ مِنْ قِبَلِ الشَّارِعِ؛ لِأَنَّ صَيْدَهُ كَيْفَمَا اتَّفَقَ كَافٍ فِي حَلِّيَّتِهِ وَجَوَازِ أَكْلِهِ^(٤٣).

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ الْكِتَابَ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ نَفْسِ صَيْدِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَجَوَازِ أَكْلِهِ، وَلَا دَلَالََةَ فِيهِ عَلَى بَيَانِ الْكَيْفِيَّةِ، وَلَهُ نَظِيرٌ أَيْضًا، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾^(٤٤)، فَإِنَّ غَايَةَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ^(٤٥) كَوْنُ الْمَاءِ مُطَهَّرًا، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ التَّطْهِيرِ، فَإِنَّهُ لَا دَلَالََةَ لَهُ فِيهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، وَبَيَانِ كَيْفِيَّةِ التَّطْهِيرِ^(٤٦)، كَمَا هُوَ غَيْرُ خَفِيِّ.

[الذَّكَاةُ شَرْعًا]

[فَرْعٌ]: وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّكَاةَ شَرْعًا: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ فَرِي أَوْدَاجِ الْحَيَوَانِ^(٤٧)، وَلَا رَيْبَ بَعْدِمِهَا فِي السَّمَكِ، وَلَا [شَكٌّ]^(٤٨) إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ الذَّكَاةِ فِي الْحُكْمِ بِمَعْنَى حَلِّيَةِ أَكْلِهِ، وَأَنَّهُ يُسَاوِي الْحَيَوَانَ الْمَقْطُوعَ الْأَوْدَاجِ فِي جَوَازِ أَكْلِهِ^(٤٩).
وَالْحَاصِلُ: فَإِنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الذَّكَاةِ عَلَى السَّمَكِ لَا رَيْبَ بِكَوْنِهِ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الذَّكَاةَ هِيَ اسْمٌ مَا يَحْصُلُ بِسَبَبِهِ حُلُّ أَكْلِ الْحَيَوَانِ، فإِخْرَاجُ السَّمَكِ مِنَ الْمَاءِ ذَكَاةٌ لَهُ حَقِيقَةً؛ لِأَنَّهُ بِسَبَبِهَا يَحِلُّ وَيَجُوزُ أَكْلُهُ، وَهُوَ حَقٌّ، فَيَكُونُ إِطْلَاقُ اسْمِ الذَّكَاةِ عَلَى السَّمَكِ حَقِيقَةً، كَمَا لَا يَخْفَى^(٥٠)، فَتَدَبَّرْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[ما اتَّفَقَ مِنْ صُورِ التَّذَكِّيَةِ]

مسألة: الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ الْأَصْحَابِ (رضوان الله عليهم) فِي هَذَا الْبَابِ ^(٥١) أَنَّ ذَكَاءَ السَّمَكِ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ هُوَ: إِخْرَاجُهُ مِنَ الْمَاءِ حَيًّا، وَعَدَمُ عَوْدِهِ إِلَى الْمَاءِ حَتَّى يَمُوتَ خَارِجَ الْمَاءِ ^(٥٢)، فَإِنَّ ذَلِكَ ذَكَاءُهُ، وَبِهَا يَحُلُّ أَكْلُهُ ^(٥٣)، وَهَذِهِ الذَّكَاءُ لَهُ لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْأَصْحَابِ ^(٥٤)، بَلْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ ضَرُورَةٌ ^(٥٥) أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ خِلَافٌ فِي عَدَمِ كَوْنِ ذَلِكَ ذَكَاءً لَهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ ^(٥٦)، بَلِ الْأَخْبَارُ مُصَرِّحَةٌ بِذَلِكَ، كَمَا فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الطَّبْرَسِيِّ رحمته الله فِي الْاِحْتِجَاجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي حَدِيثٍ: إِنَّ زَنْدِيقًا قَالَ لَهُ: السَّمَكُ مَيِّتٌ، قَالَ عليه السلام: «إِنَّ السَّمَكَ ذَكَاءُهُ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَمُوتَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ دَمٌ، وَكَذَلِكَ فِي الْجَرَادِ». ^(٥٧)

وَالْحَاصِلُ: فَإِنَّهُ لَا رَيْبَ أَنَّ إِخْرَاجَ السَّمَكِ مِنَ الْمَاءِ، وَعَدَمَ عَوْدِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَمُوتَ، فَإِنَّهُمَا ذَكَاءٌ لَهُ، كَمَا نَطَقَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ الْمُتَّفَقَةُ عَلَى مَضْمُونِهَا ^(٥٨)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[لَوْ وَثَّبَتْ سَمَكَةٌ فَأُخِذَتْ حَيَّةً]

مسألة: لَوْ وَثَّبَ ^(٥٩) السَّمَكُ، فَخَرَجَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْمَاءِ بَأْنَ وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ فِي سَفِينَةٍ مِثْلًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَأَخَذَهُ حَيًّا، فَهَلْ يَكْفِي ذَلِكَ فِي ذَكَاءِهِ أَمْ لَا؟ قَوْلَانِ ^(٦٠).

[الْقَوْلُ] الْأَوَّلُ: إِنَّهُ لَا يَكْفِي فِي ذَكَاءِ السَّمَكِ خُرُوجُهُ مِنَ الْمَاءِ وَحْدَهُ، بَلِ الشَّرْطُ فِي ذَكَاءِهِ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْمَاءِ حَيًّا، وَهُوَ الْمَشْهُورُ كَمَا فِي الرِّيَاضِ ^(٦١)، وَقِيلَ بِكَفَايَةِ ذَلِكَ ^(٦٢).

والحاصل: فإنه بعد التَّبَع لِكَلِمَاتِ الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الْبَابِ تَعْرِفُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ ذَاتَ قَوْلَيْنِ.

حُجَّةُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ - أعني: قول المشهور - أمور:

[الأمْرُ] الْأَوَّلُ: الْأَصْلُ^(٦٣).

وتوضيح ذلك: أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِالنَّصِّ^(٦٤)، وَالْإِجْمَاعِ مِنْ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّ السَّمَكَ لَهُ ذِكَاةٌ مُتَلَقَّاةٌ مِنَ الشَّارِعِ الْمُقَدَّسِ^(٦٥)، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُذَكَّ، فَهُوَ مَيْتَةٌ حَرَامٌ أَكَلُهُ^(٦٦).

وقد ثبت - أيضاً - أَنَّ ذِكَاةَ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا هُوَ خُصُوصٌ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْمَاءِ، وَعَدَمُ عَوْدِهِ إِلَى الْمَاءِ حَتَّى يَمُوتَ، وَأَمَّا عِدَا ذَلِكَ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، فَهُوَ مَشْكُوكٌ، فَأَصَالَةُ عَدَمِ التَّذَكِيرِ ثَابِتَةٌ^(٦٧).

[الأمْرُ] الثَّانِي: إِطْلَاقُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾^(٦٨)، فَإِنَّ حَقِيقَةَ الصَّيْدِ هُوَ خُصُوصٌ الْمُسْتَخْرَجِ مِنَ الْمَاءِ، لَا مَا كَانَ خَارِجاً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، بَلِ الْمُبَادَرُ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْخَارِجَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ لَا يُقَالُ لَهُ أَنَّهُ صَيْدٌ^(٦٩)، كَمَا لَوْ خَرَجَ^(٧٠) السَّمَكُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى جَانِبِ النَّهْرِ فَأَخَذَهَا، فَإِنَّهُ لَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ صَادَهَا بِالضَّرُورَةِ^(٧١).

والحاصل: فَإِنَّهُ لَا إِشْكَالَ وَلَا رَيْبَ بِأَنَّ اسْمَ الصَّيْدِ إِنَّمَا يَصْدُقُ عَلَى مَا خُرِجَ مِنَ الْمَاءِ، لَا مَا خُرِجَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ.

[الأمْرُ] الثَّالِثُ: خُصُوصُ ظَاهِرِ الْأَخْبَارِ، مِنْهَا:

فِي الصَّحِيحِ: «إِنَّمَا صَيْدُ الْحَيَّتَانِ أَخَذَهَا»^(٧٢)، وَفِي مَضْمُونِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ^(٧٣).

والظاهرُ مِنْ «أخذها»، أي: أخذها مِنْ الماء، لا أخذها بعدَ خروجها مِنْ الماءِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهَا^(٧٤).

[الأمرُ] الرَّابِعُ: الْأَخْبَارُ النَّاهِيَةُ عَنْ أَخْذِ السَّمَكِ الَّذِي نَبَذَهُ الْمَاءُ الشَّامِلُ بِإِطْلَاقِهَا مَا أُخْذَ حَيًّا، أَوْ مَاتَ قَبْلَ أَخْذِهِ، مِنْهَا: قَالَ [أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ]: «لَا يُؤْكَلُ^(٧٥) مَا نَبَذَهُ الْمَاءُ مِنَ الْحَيْتَانِ، وَمَا نَضَبَ^(٧٦) الْمَاءُ عَنْهُ، فَذَلِكَ الْمَتْرُوكُ»^(٧٧).

وَفِي الْمَوْثِقِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الَّذِي يَنْضَبُ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ السَّمَكِ قَالَ: «لَا تَأْكُلْهُ»^(٧٨)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ بِإِطْلَاقِهَا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ أَكْلِ مَا نَبَذَهُ الْمَاءُ الشَّامِلُ لِمَا أُخْذَ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَهُوَ وَاضِحٌ^(٧٩).
[و] حُجَّةُ الْقَوْلِ الثَّانِي جَمْلَةُ أَخْبَارٍ، مِنْهَا:

[١]: صَحِيحُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ سَأَلْتُهُ عَنْ سَمَكَةٍ وَثَبَتْ مِنْ نَهْرٍ، فَوَقَعَتْ عَلَى (الْجُدِّ مِنَ النَّهْرِ)^(٨٠)، فَمَاتَتْ، هَلْ يَصْلُحُ أَكْلُهَا؟ فَقَالَ: «إِنْ أَخَذْتَهَا قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ ثُمَّ مَاتَتْ، فَكُلْهَا، وَإِنْ مَاتَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْخُذَهَا، فَلَا تَأْكُلْهَا»^(٨١).

وَرُويَ فِي قَرَبِ الْإِسْنَادِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْوَسَائِلِ^(٨٢).

[٢]: وَمَا رُويَ عَنْ أَبَانَ، عَنْ سَلَمَةَ أَبِي حَفْصٍ^(٨٣)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ فِي صَيْدِ السَّمَكَةِ^(٨٤): إِذَا أَدْرَكَتَهَا وَهِيَ تَضْطَرِبُ، وَتَضْرِبُ بِدَنْهَا^(٨٥)، وَيَتَحَرَّكُ^(٨٦) ذَنْبُهَا، وَتَطْرِفُ^(٨٧) بِعَيْنَيْهَا، فَهِيَ ذَكَاةُهَا»^(٨٨).
وَبِإِسْنَادٍ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٨٩)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ مِثْلَهُ^(٩٠).

[رَأْيُ الْمُصَنِّفِ وَدَلِيلُهُ]

قلتُ: ودلالةُ هذه الأخبارِ على جوازِ أكلِ السَّمَكِ الخارجِ من قِبَلِ نَفْسِهِ بعدَ إدراكِهِ حَيًّا غَيْرُ خَفِيٍّ، وإِنَّمَا صَرِيحَةٌ بِكَوْنِ ذَلِكَ ذَكَاتِهِ، وبعدَ التَّبَعِ لِكَلَامِ الْأَصْحَابِ فِي هَذَا الْبَابِ تَرَى أَنَّ فَتَوَى الْحُلِّ مِنْهُمْ عَلَى مَضْمُونِهَا^(٩١)، بل بَعْضُهُمْ يُرْسِلُ الْقَوْلَ بِكَوْنِ ذَلِكَ ذَكَاةً لِلسَّمَكِ إِرْسَالَ الْمُسْلِمَاتِ^(٩٢)، أَقُولُ: وَهُوَ قَوِيٌّ، وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ:

هُوَ أَنَّ نَقُولَ: إِنَّمَا دَلَّ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ أَخْذِ السَّمَكِ الْخَارِجِ مِنَ الْمَاءِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ مُطْلَقٍ، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ مُقَيَّدَةٌ بِجَوَازِ أَخْذِهِ بعدَ إدراكِهِ حَيًّا، وَإِنْ كَانَ خَارِجًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الْمُجْمَعَةَ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأَصْحَابِ هُوَ الْحَمْلُ لِلْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ وَالْأَخْذُ بِهِ^(٩٣).

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الْإِجْمَاعُ الْمُحْكِيُّ عَلَى لِسَانِ جَمَاعَةٍ مِنْ جَوَازِ أَخْذِ السَّمَكِ إِذَا نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ بعدَ إدراكِهِ حَيًّا، وَأَنَّهُ حَلَالٌ^(٩٤)، بل الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ بَعْضِ الْأَجَلَاءِ^(٩٥) أَنَّ ذَكَاةَ السَّمَكِ: «هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِثْبَاتِ الْيَدِ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّ لَا يَمُوتُ فِي الْمَاءِ»^(٩٦)، وَهُوَ كَافٍ فِي ذَكَاتِهِ، سِوَاءٍ كَانَ خَارِجًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ؛ بِأَنَّهُ قَذَفَهُ الْمَاءُ أَوْ أَخْرَجَهُ الصِّيَادُ.

قلتُ: وَمِنْ مَجْمُوعِ مَا ذَكَرْنَاهُ اتَّضَحَ لَكَ أَنَّ الْأَقْوَى هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي - أَعْنِي: أَنَّهُ لَوْ خَرَجَ السَّمَكُ مِنَ الْمَاءِ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ قَذَفَهُ الْمَاءُ وَأَخْذَهُ الصِّيَادُ قَبْلَ، كَانَ ذَكِيًّا، وَحَلَّ أَكْلُهُ - وَإِنْ كَانَ الْأَحْوَطُ اجْتِنَابَهُ هَرَبًا عَنْ قَوْلِ الْمَشْهُورِ^(٩٧).

وَيُمْكِنُ التَّفْصِي عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ:
إِنَّهُ لَوْ وُجِدَ السَّمَكُ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ^(٩٨)، وَكَانَ حَيًّا، وَلَا رَيْبَ بِكَوْنِ ذَلِكَ
هُوَ الْأَوَّلَى^(٩٩)، بَلْ هُوَ الْأَحْوَطُ^(١٠٠)، بَلْ هَذَا الْاِحْتِيَاظُ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ^(١٠١)، كَمَا لَا
يَخْفَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[هَلْ نَظَرَ الصَّيَّادُ كَافٍ عَنْ أَخْذِهِ]

فَرَعٌ: لَوْ خَرَجَ السَّمَكُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ مِنَ الْمَاءِ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ، وَهُوَ حَيٌّ،
وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَهُ، فَهَلِ النَّظَرُ وَحْدَهُ كَافٍ فِي تَذَكِّيهِ أَمْ لَا؟
قَوْلَانِ: الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْأَصْحَابِ شَهْرَةٌ عَظِيمَةٌ أَنَّهُ لَا يَكْفِي، بَلْ
هُوَ مَيِّتَةٌ^(١٠٢)، وَقِيلَ: يَكْفِي ذَلِكَ، كَمَا هُوَ الْمَحْكِيُّ عَنِ الشَّيْخِ رحمته الله فِي النَّهَايَةِ،
وَالْمَحَقِّقِ رحمته الله فِي بَعْضِ كُتُبِهِ^(١٠٣).

[رَأْيُ الْمَصْنِفِ وَدَلِيلُهُ]

قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ هُوَ الْأَقْوَى؛ تَمَسُّكًا بِالْأَصْلِ السَّلَامِ عَنْ
الْمَعَارِضِ^(١٠٤)؛ ضَرُورَةُ ثَبُوتِ التَّذَكِّيَةِ لِلْسَّمَكِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ: «عَنْ اسْتِيلَاءِ الْيَدِ
عَلَيْهِ بَعْدَ انْقَالِهِ^(١٠٥) مِنَ الْمَاءِ»، أَمَّا نَفْسُ النَّظَرِ مِنْ دُونِ اسْتِيلَاءِ الْيَدِ عَلَيْهِ، فَلَا،
لَا أَقَلَّ مَحَلَّ الشَّكِّ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ التَّذَكِّيَةِ، كَمَا هُوَ غَيْرُ خَفِيِّ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ
النُّصُوصُ السَّابِقَةُ الدَّالَّةُ^(١٠٦) بِكَوْنِ ذِكَاةِ السَّمَكِ أَخْذَهُ، الظَّاهِرَةُ بِاسْتِيلَاءِ الْيَدِ
عَلَيْهِ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهَا أَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ التَّذَكِّيَةِ لَهُ بَوَاجِهُ.

[و] حَجَّةُ الشَّيْخِ رحمته الله وَمَنْ تَبِعَهُ:

[١]: الظَّاهِرُ جَمْلَةٌ أَخْبَارٍ، مِنْهَا: مَا رَوَى عَنْ أَبِي حَفْصٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:

«أَنْ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ يَقُولُ فِي صَيْدِ السَّمَكِ: إِذَا أَدْرَكَتْهَا وَهِيَ تَضْطَرِبُ وَتَضْرِبُ بِيَدِهَا وَيَتَحَرَّكُ ^(١٠٧) ذَنْبُهَا وَتَطْرِفُ بَعَيْنُهَا ^(١٠٨)، فَهِيَ ذَكَاثُهَا» ^(١٠٩).

والمروئي عن التهذيب في سمكة ارتفعت، فوقعت على الجدد ^(١١٠)، فاضطربت حتى ماتت، أكلها؟ قال: «نعم» ^(١١١)، إلى غير ذلك من الأخبار.

[٢]: وقالوا -أيضاً- في الاستدلال على الحكم المذكور: إِنَّ صَيْدَ المَجُوسِيِّ مَعَ مَشَاهِدَةِ المَسْلَمِ لَهُ إِذَا أَخْرَجَ السَّمَكَ مِنَ المَاءِ حَيًّا، فَإِنَّهُ مُوجِبٌ لِحَلِّهِ، وَإِنْ لَمْ تَسْتَوِلْ عَلَيْهِ يَدُ المَسْلَمِ، وَيَكْفِي نَظْرُهُ إِلَيْهِ ^(١١٢).

وقد دلَّ على كفاية ذلك جملة أخبارٍ، مِنْهَا: مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ صَيْدِ المَجُوسِيِّ لِلَسَّمَكِ، أَكَلُهُ ^(١١٣)؟ قَالَ: «مَا كُنْتُ لَأَكُلَهُ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ» ^(١١٤).

وَمَا رُوِيَ عَنْ عِيسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام [عَنْ صَيْدِ المَجُوسِ ^(١١٥)، فَقَالَ: «لَا بِأَسَ إِذَا أَعْطَوْكَ أَحْيَاءَ، وَالسَّمَكُ أَيْضاً، وَإِلَّا فَلَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُمْ، إِلَّا أَنْ تَشْهَدَهُ» ^(١١٦)، وَغَيْرُهُ مِثْلُهُ ^(١١٧).

وَالْأَخْبَارُ فِي جَوَازِ صَيْدِ المَجُوسِيِّ، وَجَوَازِ الْأَخْذِ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ المَسْلَمُ مُشَاهِداً لَهُمْ كَثِيرَةً، وَهِيَ ^(١١٨) خَالِيَةٌ عَنِ الدَّلَالَةِ.

ضَرُورَةٌ أَنْ فَرَضَ المَسْأَلَةُ الْخَارِجُ مِنَ المَاءِ بِنَفْسِهِ، وَالْأَخْبَارُ الْمَذْكُورَةُ صَرِيحَةٌ بِمَنْ أَخْرَجَهُ الْكَافِرُ وَالمَسْلَمُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَعَلَيْهِ ^(١١٩) تَكُونُ التَّذْكِيَةُ: هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ دُخُولِهِ تَحْتَ الْيَدِ، وَاسْتِيلَاءِ الْيَدِ عَلَيْهِ، سَوَاءً كَانَتْ يَدَ مُسْلِمٍ أَوْ يَدَ كَافِرٍ ^(١٢٠)، فَهُوَ خُرُوجُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ.

فَعِنْدَ ^(١٢١) الْإِنْصَافِ أَنَّ الْأَخْبَارَ لَا دَلَالََةَ فِيهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ ^(١٢٢)، كَمَا لَا يَخْفَى.

وإنما اشترط في الأخبار كون المسلم ينظر إليه للعلم بإخراجها من الماء حيّة^(١٢٣)؛ ضرورة لولا المشاهدة فإنه لا يقبل قوله في التذكية بأن يقول: أخرجتها، ومع هذا كله، فإنه قد رمى الأخبار بعض الأصحاب بالضعف^(١٢٤)، مع أنه لا جابر لها من الشهرة وغيرها، بل الشهرة على خلافها، بل لم نجد من عمل بها محققاً إلا الشيخ رحمته الله في النهاية، كما حكي عنه ذلك^(١٢٥).

فصح لنا أن نقول: إن هذه الأخبار قد أعرض عنها الأصحاب، وهي بين أيديهم، وما هو إلا لداء فيها، فلا ريب بطرحها.

والحاصل: فإنه قد تلخص من مجموع ما ذكرناه، أن السمك الخارج من الماء، وينظر إليه الصياد المسلم، ولم تستول يده عليه، فهو ميتة، وإن النظر وحده لا يكفي في ثبوت التذكية، وفاقاً لما عليه الأصحاب؛ لما عرفت، والله أعلم.

[هل الإسلام شرط في تذكية السمك أم لا؟]

مسألة: هل يشترط في تذكية السمك الإسلام أم لا؟ وجهان، بل على الظاهر المصرح به بين الأصحاب قولان:

[القول الأول: إنه لا يشترط الإسلام في تذكيته، بل يحل صيد الكافر للسمك بأقسامه كتابياً كان أو غيره، وهو المعروف بين الأصحاب^(١٢٦).

وفي الرياض: هو الأشهر، بل عليه عامة من تأخر^(١٢٧).

قلت: بل قد حكى بعض الأصحاب عن الحلبي رحمته الله في السرائر الإجماع على عدم اشتراط الإسلام في الحكم المذكور^(١٢٨)، ولا بد حينئذ من نقل عبارته التي أستظهر منها دعوى الإجماع.

قال في السرائر بعد كلام له: «وأدُل دليل على جواز أكل صيد غير المحق^(١٢٩)

مع المشاهدة له - السَّمَكُ^(١٣٠)، وقد أخرجَه مِنَ المَاءِ حَيًّا، وَإِنْ مَاتَ فِي يَدِهِ، وَإِنْ صَيْدَ السَّمَكِ لَيْسَ بِذَكَاءٍ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا أُجْرِي مَجْرَى الذَّكَاءِ الْحَقِيقَةِ^(١٣١) فِي الْحُكْمِ لَا فِي وَقْعِ الْأَسْمِ^(١٣٢) - إجماعُ أصحابنا المحضِّلين إلى آخرِ عبارته^(١٣٣).
والقولُ الثَّانِي: عدمُ حَلْيَةِ صَيْدِ الْكَافِرِ لِلسَّمَكِ، وأنَّ الإسلامَ شرطٌ في تذكَّيته التي هي عبارةٌ: عن إخراجِه مِنَ المَاءِ، وهذا القولُ هُوَ المحكيُّ عَنِ الشَّيْخِ المفيدِ رحمته الله، والسَّيِّدِ ابنِ زهرة^(١٣٤).

[رَأْيُ الْمُصَنِّفِ وَدَلِيلُهُ]

قلتُ: والظاهرُ أَنَّ المصيرَ إلى هذا القولِ قويٌّ^(١٣٥)، وتوضيحُ ذلك:
[أولاً] إِنَّهُ لَا رَيْبَ وَلَا إِشْكَالَ بِثَبُوتِ التَّذَكِّيَةِ لِلسَّمَكِ شَرْعاً، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَذْكُ فَهُوَ مَيْتَةٌ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالنَّصِّ^(١٣٦) وَالْإِجْمَاعِ^(١٣٧) أَنَّ ذَكَاتَهُ إِخْرَاجُ الْمُسْلِمِ لَهُ مِنَ الْمَاءِ حَيًّا، وَيَمُوتُ خَارِجَ الْمَاءِ، أَمَّا إِخْرَاجُ الْكَافِرِ لَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ نَجِدْ مَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ ذَكَاءً لَهُ، لَا أَقْلَ الشَّكِّ، فَاسْتَصْحَابُ عَدَمِ التَّذَكِّيَةِ ثَابِتَةٌ لَا مَعَارِضَ لَهَا^(١٣٨).
[ثانياً] ويدلُّ على ذلك - أيضاً - إطلاقُ الإجماعاتِ الدَّالَّةِ عَلَى اشْتِرَاطِ الْإِسْلَامِ فِي التَّذَكِّيَةِ^(١٣٩) الشَّامِلِ لَذَكَاءِ السَّمَكِ؛ لما عرفتَ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الذَّكَاءِ عَلَى السَّمَكِ حَقِيقَةٌ بَلَا رَيْبٍ، كَمَا تَقَدَّمَ تَحْقِيقُ ذَلِكَ^(١٤٠).

[ثالثاً]: ويدلُّ - أيضاً - خبرُ عيسى بن عبد الله، قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن صَيْدِ الْمَجُوسِ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا أُعْطِوْكَهُ»^(١٤١) حَيًّا، وَالسَّمَكُ أَيْضاً، وَإِلَّا فَلَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُمْ عَلَيْهِ^(١٤٢) إِلَّا أَنْ تُشْهَدَ»^(١٤٣).

قلتُ: وهو صريحٌ أو ظاهرٌ بعدمِ جوازِ أَخْذِ السَّمَكِ مِنْ أَيْدِي الْمَجُوسِ لَوْ

انفردوا في إخراجِه من الماء، ولم يُشاهدْهم المسلم، وكان مَيِّتاً، وإنَّه لا يُقبَلُ قولُه بكونه أخرجَه حيّاً.

ورمى خبر عيسى بالضعف^(١٤٤) لا ينبغي الإصغاء إليه بعد جبره بالأصل^(١٤٥)، ضرورة أن الأصل عندنا جابر للرواية لو كانت ضعيفة، بل قول جملة من أصحابنا المحققين^(١٤٦)، كما لا يخفى.

[حجة القول الأول]

حجة قول المشهور، أعني: القول بعدم اشتراط الإسلام في تذكية السمك.
[الدليل] الأول: إجماع السرائر^(١٤٧).

ولا ريب أن التمسك به من الوهن الواضح؛ ضرورة أن الإجماع المدعى: هو حلية السمك لو صاده غير المحق - أي: الكافر - والمسلم ينظر إليه، وهو لا ريب بحليته، وما نحن فيه، وكلام الأصحاب بخلاف ذلك، وهو أن الإسلام شرط في التذكية أم لا؟ سواء نظر إليه المسلم أم لا؟

ومثاله: إنه لو علم المسلم أن الكافر اصطاد السمك وحده، وأخرجَه من الماء حيّاً، ومات خارج الماء، ولم يره المسلم، فهل يحل السمك أم لا؟
والحاصل: فإن العجب من بعض أجلاء الأصحاب حيث استندوا إلى عدم اشتراط الإسلام في المقام إلى إجماع ابن إدريس رحمته الله^(١٤٨)، كما لا يخفى.

[الدليل] الثاني: التمسك بالأخبار الدالة على جواز صيد المجوس.

وقد ذكرناها سابقاً، فراجعها^(١٤٩)، فإنها لا دلالة فيها، ضرورة أنها مقيدة بقبض المسلم له، فلعل يد الكافر ونظر المسلم كلاهما جعلهما الشارع طريقاً لحل

صيد السَّمَكِ، أمَّا لو استقلَّ الكافر بإخراجه من الماء من دونِ نظرِ المسلمِ، فلا دليلَ من الأخبارِ، ولا من غيرها يدلُّ على كونه ذكيًّا^(١٥٠).

وما عسى أن يُقال -أو قد قيل-، كما صرح به بعضُ فحولِ الأصحابِ، أنَّ نظرَ المسلمِ ليس له دخلٌ في التَّذْكِيَةِ، وإنَّما هو لأجلِ العلمِ بإخراجِ المجوسيِّ للسَّمَكِ من الماءِ^(١٥١)، فهو ممنوعٌ أشدُّ المنعِ، بل ظاهرُ الأخبارِ^(١٥٢) أنَّ نظرَ المسلمِ للكافرِ حالِ إخراجِ السَّمَكِ هو جزءٌ من التَّذْكِيَةِ، وشرطٌ في صحَّةِ التَّذْكِيَةِ.

والحاصلُ: فإنَّه بعدَ إمعانِ النَّظَرِ والإنصافِ ترى أنَّ ما ذهبَ إليه الشَّيْخُ المفيدُ رحمته الله، وابنُ زهرة، من القولِ باشتراطِ الإسلامِ في تذكِيَةِ السَّمَكِ مع الاستقلالِ قوِّيٌّ، لا أقلَّ هو الأحوطُ.

فظهرَ من مجموعِ ما ذكرنا: أنَّ الإسلامَ شرطٌ في تذكِيَةِ السَّمَكِ، فلو أخرجَهُ الكافرُ من الماءِ وماتَ خارجَ الماءِ، وكانَ المسلمُ ينظرُ إليه، كانَ ذكيًّا، وحلَّ أكلُهُ، نصًّا^(١٥٣) وإجماعًا^(١٥٤)؛ لأنَّ إخراجَ الكافرِ له معَ نظرِ المسلمِ ذكاةٌ له تعبُّدًا من الشَّارِعِ المقدَّسِ، كما سمعتَ التَّصريحَ به من النُّصوصِ السَّابِقَةِ، وإنَّ أخرجَهُ الكافرُ من الماءِ، وعلمَ موته خارجَ الماءِ معَ عدمِ نظرِ المسلمِ له، فالظاهرُ أنَّه ميتةٌ؛ لما عرفتَ من أنَّ الأقوى اشتراطُ الإسلامِ في تذكِيَتِهِ، كما هو واضحٌ، واللهُ أعلمُ.

[لو عادَ السَّمَكُ إلى الماءِ وماتَ فيه]

مسألة: لو صيدَ السَّمَكُ واستُخرجَ من الماءِ حيًّا، ثمَّ أُعيدَ إلى الماءِ، وماتَ في الماءِ، فهلْ يحلُّ أكلُهُ أم لا؟

قلتُ: وتوضيحُ الكلامِ في هذا المقامِ هو أن يُقالَ: إنَّ المقامَ يُتصوَّرُ له صورتان. [الصُّورَةُ] الأولى: أنَّه أُعيدَ السَّمَكُ إلى الماءِ بعدَ إخراجِهِ منه حيًّا بغيرِ آلةٍ

الصَّيْد، فماتَ في الماء.

[الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ]: وأُخْرَى أُعِيدَ إِلَى الْمَاءِ بِأَلَةِ الصَّيْدِ، فماتَ في الماء.

فنقول: أَمَّا الصُّورَةُ الْأُولَى، فالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ الْأَصْحَابِ أَنَّهُ مَيِّتٌ، وَلَا يَجُوزُ أَكْلُهُ، وَلَا يَكْفِي فِي ذَكَاتِهِ إِخْرَاجُهُ أَوَّلًا حَيًّا^(١٥٥)، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ كَمَا فِي الرِّيَاضِ، وَحَكَاهُ عَنِ الْكُفَايَةِ^(١٥٦).

[رَأْيُ الْمُصَنِّفِ وَدَلِيلُهُ]

قلتُ: وَيُؤَيِّدُ أَصَالََةَ عَدَمِ التَّذْكِيَةِ، بَلِ وَأَصَالََةَ الْحَرَمَةِ السَّالِمِينَ عَنِ الْمَعَارِضِ، كَمَا هُوَ غَيْرُ خَفِيِّ، مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ الْأَخْبَارُ الْمَصْرُوحَةُ بِالدَّعْوَى، مِنْهَا:

[١] صَحِيحُ الْخَرَّازِ^(١٥٧)، قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ رَجُلٍ اضْطَادَ سَمَكَةً، فَرَبَطَهَا بِخَيْطٍ وَأَرْسَلَهَا فِي الْمَاءِ، فَمَاتَتْ، أَتُؤْكَلُ؟ قَالَ^(١٥٨): لَا»^(١٥٩).

[٢]: وَخَبَرُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ^(١٦٠)، قَالَ: أَمَرْتُ رَجُلًا يَسْأَلُنِي^(١٦١) أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ رَجُلٍ صَادَ سَمَكًا وَهَنَّ أَحْيَاءً، ثُمَّ أَخْرَجَهُنَّ بَعْدَ مَا مَاتَ بَعْضُهُنَّ، فَقَالَ: «مَا مَاتَ، فَلَا تَأْكُلُهُ»^(١٦٢)؛ فَإِنَّهُ مَاتَ فِيهَا كَانَ فِيهِ حَيَاتُهُ»^(١٦٣).

قلتُ: وَهِيَ كَمَا تَرَاهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ صَادَهُ، ثُمَّ أَرْجَعَهُ إِلَى الْمَاءِ، فَإِنَّهَا وَاضِحَةٌ الدَّلَالَةُ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ أَكْلِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، كَمَا لَا يَخْفَى.

[٣] وَصَحِيحُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيَابَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ السَّمَكِ يُصَادُ، ثُمَّ يُجْعَلُ فِي شَيْءٍ، ثُمَّ يُعَادُ إِلَى^(١٦٤) الْمَاءِ، فَيَمُوتُ فِيهِ، فَقَالَ: «لَا تَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ فِي الَّذِي فِيهِ حَيَاتُهُ»^(١٦٥)، وَغَيْرُهُ مِثْلُهُ، كَمَا عَنِ الْكَلِينِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى^(١٦٦).

والحاصل: فإنه بعد التتبع للأخبار وكلام الأصحاب ترى أن الحكم المذكور - أعني: كون السمك إذا أخرج من الماء، ثم عاد فيه، ومات من غير أن يكون ناشباً في آلة الصيد - فهو ميتة نصاً^(١٦٧) وإجماعاً^(١٦٨).

وأما الصورة الثانية: أعني لو عاد إلى الماء بعد إخراج حياً، ثم مات وهو في آلة الصيد، فالظاهر كونه ميتة - أيضاً - وعليه أكثر المتأخرين، كما عن المسالك والكفاية^(١٦٩).

قلت: بل وهو^(١٧٠) المحكي عن أكثر المتقدمين^(١٧١) - أيضاً -، بل هو المشهور كما في الجواهر^(١٧٢)، خلافاً للعماني^(١٧٣)، فإنه حكى عنه القول بالحل لو أعيد إلى الماء وهو ناشب بآلة الصيد ومات في الماء^(١٧٤).

[رأي المصنف ودليله]

قلت: وهذا القول^(١٧٥) هو الأقوى، بل يحكم بحل السمك حتى لو مات في الآلة قبل إخراج حياً، ثم عوده فيها؛ تمسكاً بالأخبار الصحيحة الصريحة، منها:

[١] صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: في الرجل ينصب شبكة في الماء، ثم يرجع إلى بيته ويتركها منصوبة، فاتاها بعد ذلك، وقد وقع فيها سمك، فيمتمن^(١٧٦)، فقال: «ما عملت يده، فلا بأس بأكل ما وقع فيها»^(١٧٧).

[٢] وصحيح الحلبي، قال: سألت عن الحظيرة من القصب فجعل في الماء للحيتان^(١٧٨)، ويدخل فيها الحيتان فيموت بعضها فيها؟ قال: «لا بأس به؛ إن تلك الحظيرة إنما جعلت ليصاد بها»^(١٧٩).

وعن الحلبي - أيضاً - مثله، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي^(١٨٠).

[٣] وَعَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «سَمِعْتُ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: إِذَا ضَرَبَ صَاحِبُ الشَّبَكَةِ بِالشَّبَكَةِ، فَمَا أَصَابَ فِيهَا مِنْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ، فَهُوَ ^(١٨١) حَلَالٌ مَا خَلَا مَا لَيْسَ لَهُ قِشْرٌ وَلَا يُؤْكَلُ الطَّافِي ^(١٨٢) مِنَ السَّمَكِ» ^(١٨٣).

ومثله ما رواه البرقي، عن هارون بن مسلم، كما في الوسائل ^(١٨٤).

[٤] وما رواه عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألتُه عن الحظيرة ^(١٨٥) مِنَ الْقَصَبِ يُجْعَلُ لِلْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، فَيَدْخُلُهَا الْحَيْتَانِ ^(١٨٦)، فَيَمُوتُ بَعْضُهَا فِيهَا؟ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ» ^(١٨٧).

[٥] وبالإسناد عن عبد الله بن الحسن، عن جدّه عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألتُه عن الصَّيْدِ يَحْبِسُهُ، فَيَمُوتُ فِي مَصِيدَتِهِ، أَيْحُلُّ أَكْلُهُ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَ مُحْبُوسًا فَكُلْهُ، فَلَا بَأْسَ» ^(١٨٨).

إلى غير ذلك مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الْمَصْرُوحَةِ بِكَوْنِ آلَةِ الصَّيْدِ هِيَ كَالْيَدِ مُذَكِّيَّةً، فَكَمَا أَنَّ يَدَ الْمُسْلِمِ لَوْ أَخْرَجَتْهُ مِنَ الْمَاءِ يَحُلُّ، فَكَذَلِكَ الْآلَةُ الَّتِي تُعْمَلُ لِأَجْلِ الصَّيْدِ، فَإِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْيَدِ، كَمَا قَدْ وَقَعَ التَّصْرِيحُ بِذَلِكَ فِي النُّصُوصِ الْمُتَقَدِّمَةِ ^(١٨٩).

والحاصل: فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ الْأَقْوَى هُوَ الْقَوْلُ بِحَلِّيَّةِ السَّمَكِ الْمَيِّتِ فِي الْمَصِيدَةِ الَّتِي نُصِبَتْ لِأَجْلِ الصَّيْدِ، وَإِنْ عُلِمَ الْمَيِّتُ فِيهَا؛ تَمَسُّكًا بِمَا عُرِفَتْ ^(١٩٠).

[آلَةُ الصَّيْدِ وَالضَّابِطُ فِيهَا]

[فرع]: واعلم أَنَّ آلَةَ الصَّيْدِ الَّتِي تُعْمَلُ لِلْسَّمَكِ لَا خُصُوصَ لَهَا بِخُصُوصِ حَظَائِرِ الْقَصَبِ الَّتِي تُعْمَلُ فِي أَطْرَافِ الرَّاقِ ^(١٩١)، بَلْ يَعْمَمُ الْحُكْمُ لِكُلِّ آلَةٍ تُصْنَعُ

لأجل صيدِ السَّمَكِ، مثل: الشَّيْبِ، والفَالَةِ^(١٩٢)، والشَّصِّ^(١٩٣)، وغير ذلك من الآلاتِ التي يُمكنُ أَنْ يُصَادَ بها السَّمَكُ، وإن اختلفت باختلافِ الأماكنِ والبلدانِ.

والضَّابِطُ في ذلك:

هُوَ كُلُّ آلَةٍ يجعلُها المسلمُ لأجلِ صيدِ السَّمَكِ، ويحصلُ بسببها استيلاءُ اليدِ عليه، فإنَّ الفَالَةَ، والشَّصَّ، وغيرهما من الآلاتِ المعدَّةِ لأجلِ صيدِ السَّمَكِ. لو نُسِبت^(١٩٤) الفَالَةُ، أو الشَّصُّ بالسَّمَكَةِ، فأبقاها في الماءِ، وماتت في الماءِ وهي ناشِبةٌ في الآلةِ، فلا ريبَ بحليَّتِها، وكذا الحُكْمُ في [الخطائر]^(١٩٥)، وهو عملٌ يعملُه بعضُ صيَّادَةِ أطرافِ الجزائرِ، يُصادُ فيه السَّمَكُ، فإنَّه لو دَخَلَ فيه السَّمَكُ فماتَ فيه، فإنَّه حلالٌ؛ لكونه ماتَ في الآلةِ التي عملتُها اليدُ لصيده، كما لا يخفى.

ولكن مع هذا كُلُّه، فإنَّه لا ريبَ بكونِ الأحوطِ اجتنابَ الميِّتِ مِنَ السَّمَكِ في جميعِ آلَةِ الصَّيْدِ؛ هَرَبًا عن فتوى المشهور، كما لا يخفى^(١٩٦).

[حُكْمُ آلَةِ صَيْدِ الْكَافِرِ]

فرعٌ: الآلةُ التي ينصبها الكافرُ لصيدِ السَّمَكِ سواءً كانت من قَصَبٍ، أو شبكةٍ - كما صرَّحتَ بهما النُّصوصُ^(١٩٧) - أو غيرهما^(١٩٨)، فماتَ فيها السَّمَكُ، الظَّاهرُ أنَّه مَيِّتٌ، ولا يحلُّ أكلُه؛ تَمَسُّكًا بأصالةِ الحُرْمَةِ^(١٩٩) المنبعثِ عن أصالةِ عدمِ التَّذَكِّيَةِ، السَّالمِ عن المعارِضِ؛ ضرورةً أنَّ الأخبارَ السَّابِقَةَ التي ذكرناها في حليَّةِ السَّمَكِ الميتِ في الآلةِ: هي الآلةُ التي ينصبها المسلمُ، فإنَّ الظَّاهرَ والمتبادرَ من

الأخبار ذلك.

أما الكافر^(٢٠٠)، فلا، لا أقلّ مورد للشكّ، والأصل الحرمة، وعدم التذكية، كما هو واضح.

وبعبارة أخرى: إنّ المتفاهم من جميع أخبار الباب^(٢٠١) أنّ التذكية: هي عبارة عن استيلاء يد المسلم على السمك، سواء كان بيده مباشرة^(٢٠٢)، أو أن يصنع شيئاً يوجب صيده، كالحفرة وغيرها.

ولا تدخل بذلك يد الكافر، ولا ما يصنعه من الآلة، وكذلك لو اشترك والمسلم في نصبها؛ لعدم استقلال يد المسلم فيها.

ولو أمر الكافر المسلم في نصب الآلة، فتفرّد المسلم في نصبها، لكن كان النصب منبعثاً عن أمر الكافر، الظاهر حلّية أكل الميت فيها من السمك؛ لصدق أنّ المسلم نصبها، كما لا يخفى.

[حُكْمُ السَّمَكِ الْخَارِجِ مِنَ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ وَمَوْتِهِ خَارِجَهُ]

فائدة: حُكِيَ في الجواهر عن المحقّق في نُكْتِهِ^(٢٠٣)، القول بحلّية السمك الخارج من الماء من قبل نفسه وموته خارج الماء، وإن لم يأخذه المسلم، بل وإن لم يدرّكه بنظره ولا يراه^(٢٠٤).

ثمّ قال في الجواهر: لعنّه خبر عبد الله بن بحر^(٢٠٥)، عن رجل، عن زرارة، قلت: السمكة تثب من الماء، فتقع على الشطّ، فتضطرب حتى تموت، فقال: «كلّها»^(٢٠٦).

والحسن كالصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ عليّاً عليه السلام قال: إنّ السمك

وَالْجَرَادَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَاءِ فَهُوَ ذَكِيٌّ، وَالْأَرْضُ لِلْجَرَادِ مَصِيدَةٌ، وَلِلسَّمَكِ»^(٢٠٧).
 قلتُ: وهاتانِ الروايتانِ^(٢٠٨) كما تراهما، فإنَّ الأولى أوهنُ من بيتِ العنكبوتِ؛
 لما فيها من الإرسالِ والإضمارِ^(٢٠٩)، ولا جابرَ لها من شهرةٍ وغيرها^(٢١٠).
 والثَّانية: وإنْ وُصِفَتْ بالصَّحَّةِ، لكن في الدَّلالةِ إشكالٌ واضحٌ^(٢١١)، ومع
 هذا فإنَّه لا عاملَ بهما من الأصحابِ فيما عَلمَ، إلَّا ما يُحْكى عن المحقِّقِ رحمته الله
 وحده^(٢١٢).

ولا ريبَ أنَّ إعراضَ الأصحابِ موجبٌ لطرَحهما، كما هو واضحٌ، وإنْ كانَ
 بعدَ إمعانِ النَّظَرِ في عبارة شيخنا في الجواهرِ تراه يميلُ إلى هذا القولِ^(٢١٣)، لكن
 هو كما ترى، واللهُ أعلمُ.

[حُكْمُ أَكْلِ السَّمَكِ حَيًّا]

[١] إيضاحُ: الظَّاهرُ من كلامِ الأصحابِ جوازُ أَكْلِ السَّمَكِ حَيًّا بعدَ تذكَّيته
 المشروعةِ له في إخراجِه مِنَ الْمَاءِ حَيًّا، فَلَوْ أَخْرَجَهُ مِنَ الْمَاءِ وَهُوَ حَيٌّ جازَ أَكْلُهُ،
 وإنْ لم يَمُتْ، وهو المشهورُ كما في الجواهرِ^(٢١٤).

[رَأْيُ الْمُصَنِّفِ وَدَلِيلُهُ]

قلتُ: وهو قويٌّ.

[١] تمسُّكاً بقوله عليه السلام: «كُلُّ شَيْءٍ هُوَ^(٢١٥) لَكَ حَلَالٌ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ
 حَرَامٌ»^(٢١٦).

[٢] ولم نجدَ ما يدلُّ على حرمةِ أَكْلِهِ بعدَ تذكَّيته المتلقَّاةِ مِنَ الشَّارِعِ كما لا
 يخفى.

[٣] ولأنَّ أكله متوقَّفٌ على ذكاته، وقد حصلت ذكاته بإخراجه من الماء حيًّا، وكونها متوقَّفةً على موته، وأنَّ تمام الذكاة لا تحصل إلا بموته، الأصل عدمها.

[٤] بل الظاهر من الأخبار السابقة - كما عرفت - أنَّ ذكاته هو خصوص إخراجها من الماء واستيلاء اليد عليه، فمن هذا تعرّف أنَّ تمام الذكاة: هو إخراجها من الماء حيًّا، ولا تتوقَّف على موته.

فما يُحكى عن الشيخ رحمته الله في مبسوطه من عدم جواز أكل السمك حيًّا، وإنَّ أخرج من الماء حيًّا إلا بعد موته خارج الماء ^(٢١٧)، فهو ضعيفٌ جدًّا ^(٢١٨)، ولم أجد من وافقه على هذا القول كما لا يخفى على المتتبّع لكلام الأصحاب في هذا الباب ^(٢١٩).

وقد حكي الاستناد للشيخ رحمته الله برواية ابن أبي يعفور الواردة في ذكاة الخنزير ^(٢٢٠) التي قال فيها: «فإنَّ الله تبارك وتعالى أحلَّه، وجعل ذكاته موته، كما أحلَّ الحيتان وجعل ذكاتها موتها» ^(٢٢١)، فإنه وإن كان صريحاً بأنَّ ذكاة الحيتان هي موتها بعد إخراجها من الماء، ولكنَّ أعرض الأصحاب رحمته الله عن ظاهره، ولم نجد من عمل به، فلا ينبغي التمسك به.

على أنَّه ليس له مقاومة ما تقدّم من الأخبار ^(٢٢٢) التي سطرناها، المصرّحة: بأنَّ إخراج السمك من الماء ذكاته، ولم نجد فيها ما يدلُّ على أنَّ تمام ذكاته متوقَّفة على موته، كما هو واضح.

والحاصل: فإنه لا ينبغي الارتياح بجواز أكله حيًّا بعد إخراجها، ومن هذا يُعلم أنَّه لو أخرجها حيًّا وقطع منه قطعة، وعاد الباقي إلى الماء، ومات فيه، حلَّ ما أخذه، وبذلك جزم في الدروس، واختاره في الجواهر على الظاهر من كلامه ^(٢٢٣).

نعم، لو قَطَعَ مِنَ السَّمَكَةِ قِطْعَةً وَهِيَ فِي الْمَاءِ، فَالظَّاهِرُ حَرْمَةُ الْقِطْعَةِ؛ ضَرُورَةٌ أَنَّهَا قِطْعَةٌ قَدْ أُبَيِّنْتُ مِنَ سَمَكَةٍ بَعْدُ لَمْ تُذَكَّيْ، فَحُكْمُ الْقِطْعَةِ الْمُبَانَةِ^(٢٢٤) حُكْمُ بَاقِي السَّمَكَةِ الَّتِي هِيَ فِي الْمَاءِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ السَّمَكَ قَبْلَ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْمَاءِ لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢٢٥).

[اِشْتِرَاطُ التَّسْمِيَةِ فِي ذِكَاةِ السَّمَكِ]

[٢][إيضاح]: كما الظَّاهِرُ^(٢٢٦) مِنْ كَلَامِ الْأَصْحَابِ عليهم السلام: إِنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي ذِكَاةِ السَّمَكِ التَّسْمِيَةُ، بَلْ هُوَ الْمَشْهُورُ فِيمَا بَيْنَهُمْ^(٢٢٧)، بَلْ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأَصْحَابِ، كَمَا فِي الرِّيَاضِ^(٢٢٨).

قُلْتُ: مُضَافًا إِلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ^(٢٢٩)، وَالْأَخْبَارُ الدَّالَّةُ عَلَى عَدَمِ اِشْتِرَاطِ التَّسْمِيَةِ فِي تَذَكِّيَتِهِ، مِنْهَا: الصَّحِيحُ: عَنْ صَيْدِ الْحِيتَانِ وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ، فَقَالَ^(٢٣٠): «لَا بَأْسَ بِهِ»^(٢٣١)، وَمِثْلُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمَصْرُوحَةِ بِعَدَمِ اِشْتِرَاطِ التَّسْمِيَةِ فِي صَيْدِ السَّمَكِ^(٢٣٢).

[اِشْتِرَاطُ الْاِسْتِقْبَالِ فِي صَيْدِ السَّمَكِ]

[٣][إيضاح]: وَكَذَلِكَ عَلَى الظَّاهِرِ الْمَصْرُوحِ بِهِ -أَيْضًا- أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ الْاِسْتِقْبَالُ فِي صَيْدِهِ إِجْمَاعًا وَقَوْلًا وَاحِدًا^(٢٣٣).

[اِشْتِرَاطُ الْبُلُوغِ فِي صَيْدِ السَّمَكِ]

[٤][إيضاح]: وَكَذَلِكَ عَدَمُ اِشْتِرَاطِ الْبُلُوغِ فِيهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسَلَّمَةِ عِنْدَنَا.

فَلَوْ صَادَ السَّمَكُ غَيْرُ الْمَكْلَفِ بِأَيِّ آلَةٍ كَانَتْ، جَازَ وَحَلَّ أَكْلُهُ؛ لِأَنَّ الْبُلُوغَ

ليس بشرط في ذكاة السمك، ولو صاده الصبي، وأخبر بإخراجه من الماء حيّاً على الوجه المعروف من تذكّيته، ففي قبول قوله إشكال، الأقوى عدم القبول^(٢٣٤)، على أن الأحوط اجتناب المصيد، كما لا يخفى.

وفي حكم الصبي - فيما ذكر - مجانب المسلمين؛ لكون المناط واحداً، والله أعلم بأحكامه.

تمت الرسالة، بيد مؤلفها الأقل المذنب عبد الرزاق بن علي بن الحسن، الحسيني، المعروف بـ(الخلو)، ووقع الفراغ منها يوم ثالث في محرم سنة (١٣٢٥هـ) الألف وثلاث مائة وخمسة وعشرين من الهجرة، على مهاجرها وآله ألف سلام وتحيّة، هكذا صورة خطّ مصنّفها سيّدنا المحقّق العلامة المدقّق الفهامة أطال الله أيّامه، وفرغ من نقلها من المسودة التي هي بخطّ مصنّفها (سلّمه الله) تراب أقدام إخوانه المؤمنين، أحقر الطلاب والمشتغلين، الراجي عفو ربّه الشّبحاني، والمتعطّش لفيض جوده الصّمداني، المفتقر إليه في كلّ لحظة وأن في القاصي والداني، حسين ابن العالم الفاضل التّقيّ الشّيخ شيخ عليّ ابن المقدّس المبرور الزّكيّ المؤتمن الشّيخ حسن آل المقدّس المبرور الشّيخ سليمان البحرانيّ، ملكهما الله نواصي الأماني، وذللّ لهما صعائب المعاني، بحقّ محمّد وآله والسّبع المثاني، صلّى الله وسلّم عليهما أجمعين، بصبيحة اليوم من شهر ربيع أوّل سنة (١٣٢٥) من الهجرة المصطفويّة، على مهاجرها وآله ألف سلام وتحيّة، والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطّاهرين.

الهوامش

- ١- يُنظر: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٥/١١١١.
- ٢- مشهد الإمام: ص ٥٧١-٥٧٣.
- ٣- نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٥/١١١١.
- ٤- يُنظر: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٥/١١١١.
- ٥- الإجازة الكبيرة، السيّد شهاب الدّين المرعشي: ص ٧٨.
- ٦- طبقات الفقهاء: ١٤/١ ق/٣٤٣.
- ٧- مخزن المعاني في ترجمة المامقانيّ، عبد الله المامقانيّ: ص ٣٥٢، ويُنظر: نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٥/١١١١.
- ٨- وهو عصيّ فاخرة من العود الغالي الثّمن، مقبضها مرصّع بالأحجار الكريمة.
- ٩- يُنظر: مشهد الإمام: ص ٥٧٥-٥٧٦، وموسوعة طبقات الفقهاء: ١٤/١ ق/٣٤٣.
- ١٠- فاضلٌ كاملٌ أديبٌ من أهل العلم المحصّلين، وهو بقيّة سلفه الصّالح، والبارز من أسرته، أطراه العلامة الشّيخ محمّد رضا آل ياسين **رحمته** في تقريره على بعض مؤلّفاته، فقال: «العالم الخبير، والمجتهد البصير، والمعولّ عندي عليه، والذي يلزم كلّ مؤمن الوثوق به والركون إليه». (ماضي النجف وحاضرها: ٣/٣٨).
- ١١- وهو السيّد عبد الحسين بن محمّد رضا ابن السيّد محمّد ابن السيّد حسن الحلّو، تتلمذ على يد خاله آية الله عبد الرزّاق الحلّو وجملة من الأعلام، وقد كتب تقاريرات دروس آية الله النّائنيّ في الأصول، (يُنظر: مشهد الإمام: ص ٥٨٢-٥٨٣).
- ١٢- شعراء الغريّ: ١/١٥٢.
- ١٣- يُنظر: الذّريعة: ٥/٣٢.
- ١٤- يُنظر: الذّريعة: ١٥/١٨٥.
- ١٥- يُنظر: الذّريعة: ١١/١٩١.

- ١٦- يُنظر: الذريعة: ٢٠٦/٣.
- ١٧- يُنظر: الذريعة: ١١/١٩١، ومستدركات أعيان الشيعة: ٥/٢٦٩، وأعلام أسرة آل الحلو، السيّد خالد الحلو: ٤٥-٣٩.
- ١٨- الإجازة الكبيرة: ص ٧٨.
- ١٩- نقيب البشر في القرن الرابع عشر: ١٥/١١١٢.
- ٢٠- مخزن المعاني، الشيخ عبد الله المامقاني: ص ٢٩٢.
- ٢١- طبقات الفقهاء: ١٤/١٣٤٣.
- ٢٢- مشهد الإمام: ٣/٥٧٥.
- ٢٣- الإجازة الكبيرة: ص ٧٨-٧٩.
- ٢٤- من ذكرياتي، عبد العزيز القصاب: ص ١٠٨.
- ٢٥- الشيعة والدولة القومية في العراق، حسن العلوي: ص ٦٧.
- ٢٦- مشهد الإمام: ص ٥٧٧.
- ٢٧- مشهد الإمام: ص ٥٥٧.
- ٢٨- سورة الأحزاب: من الآية (٢٣).
- ٢٩- مشهد الإمام: ص ٥٧٨، والنّجف الأشرف وحركة الجهاد، كامل سلمان الجبوري: ص ٢٤٩.
- ٣٠- مشهد الإمام: ص ٥٧٨.
- ٣١- مشاهير المدفونين، كاظم الفتلاوي: ص ١٩٢.
- ٣٢- مشهد الإمام: ص ٥٧٨.
- ٣٣- مشهد الإمام: ص ٥٧٩.
- ٣٤- الرحلة النّجفية: ص ٥٣.
- ٣٥- البلوى: هي البلية، والبلوى: التجربة، بلوته أبلوه بلواً. معجم العين: ٨/٣٤٠.
- ٣٦- التذكية: الذّبح. الصّحاح الجوهري: ٦/٢٣٤٦.
- ٣٧- يُنظر: مسالك الأفهام، الشّهد الثاني: ١١/٥٠٢، وكفاية الأحكام، المحقّق السّبزواري: ٢/٥٩١، ومستند الشيعة، المحقّق النّراقي: ١٥/٤٦٨.
- ٣٨- المراد بها هنا الضّرورة الفقهيّة؛ لأنّ غير المذكى يكون ميتةً، فيدخل في عموم قوله

- تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. سورة المائدة: من الآية (٣).
- ٣٩- أي: عدم حليّة أكل الميتة بشكل عام لا خصوص ميتة السّمك؛ لأنّه مورد خلاف بين المسلمين، فقد جوّزها العامّة لخبر ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُحِلَّ لَنَا مَيْتَانِ وَدَمَانِ»، فأما الميّتان، فالخوت والجراد، وأما الدّمان، فالكبد والطّحال؛ ولأنّ ذكاتها لا يُمكن في العادة، فأسقطوا اعتبارها. (نيل الأوطار، الشّوكاني: ٢٥/٩، المجموع النّووي: ٧٢/٩، مغني المحتاج، محمّد بن أحمد الشّربيني: ٢٦٧/٤).
- ٤٠- سورة المائدة: من الآية (٩٦).
- ٤١- سورة النحل: من الآية (١٤).
- ٤٢- منها: ما رواه أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ (في المحاسن)، عن أبي أيّوب المداينيّ، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن المغيرة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «الخوت ذكيّ، حيّه وميّته». (وسائل الشيعة: ٧/٢٤، باب ٣١ من أبواب الذّبائح، ح ٥).
- ٤٣- يُنظر: جواهر الكلام الشّيخ الجواهري: ١٦٣/٣٦.
- ٤٤- سورة الفرقان: من الآية (٤٨).
- ٤٥- في الأصل (على)، وما أثبتناه أنسب للسياق.
- ٤٦- كذا في الأصل.
- ٤٧- يُنظر: الخلاف، الشّيخ الطوسي: ٤٨/٦، شرائع الإسلام، المحقّق الحلّي: ٧٣٩/٤، كشف الرّموز الفاضل الآبي: ٣٥٢/٢ (الشرح)، والتّنقيح الرّائع لمختصر الشّرائع، المقداد السيوري: ٢٠/٤ (الشرح).
- ٤٨- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه أنسب للسياق.
- ٤٩- يُنظر: النّاصريّات، الشّريف المرتضى: ص ٤٤٠.
- ٥٠- يُنظر: التّنقيح الرّائع لمختصر الشّرائع: ٢٧/٤ (الشرح)، والمفردات في غريب القرآن: ص ١٨٠.
- ٥١- باب ذكاة السّمك.
- ٥٢- وهو الرّأي المشهور بين الأصحاب، (يُنظر: مسالك الأفهام: ٥٠٢/١١ (الشرح)، وجواهر الكلام: ١٦٣/٣٦).
- ٥٣- لقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾، والصّيد يصدق بالأخذ للحيّ، ولحسنه

- الحلبّي، عن الصادق عليه السلام، قال: «إنما صيد الحيتان أخذه»، و «إنما» للحصر. (إيضاح الفوائد ابن العلامة: ٤ / ١٤٠ (الشرح)، ومسالك الأفهام: ١١ / ٥٠٢).
- ٥٤- يُنظر: المنع، الشيخ الصدوق: ص ٤٢٣، والمبسوط، الشيخ الطوسي: ٦ / ٢٧٧، والمختصر النافع، المحقق الحلّي: ٢٤٢، وشرائع الإسلام، المحقق الحلّي: ٤ / ٧٤١، وكشف الرّموز الفاضل الآبي: ٢ / ٣٥٥.
- ٥٥- أي: معلوم بالضرورة.
- ٥٦- بل التزم علماء العامة بتحريم الميتة من غير السمك والجراد، وأجمعوا على إباحة ميتة السمك والجراد؛ لحديث ابن عمر، كما تقدّم.
- ٥٧- الاحتجاج: ٢ / ٩٣، و وسائل الشيعة: ٢٤ / ٧٥، باب ٣١ - من أبواب الذبائح، ح ٨.
- ٥٨- لكون الرواية مرسلتها نقلها الطبرسي في الاحتجاج، ولم يذكر سندها.
- ٥٩- الوثب: الطفر. تاج العروس: ٢ / ٤٦١.
- ٦٠- «قولان» مبتدأ خبر محذوف، أي: (فيه قولان).
- ٦١- رياض المسائل، السيّد عليّ الطباطبائي: ١٢ / ١٢٠.
- ٦٢- أي: لو خرج بنفسه وأخذه حيّاً، والقائل هو الشيخ الطوسي في النهاية، والمحقق الحلّي في المختصر النافع، وفي شرائع الإسلام، والعلامة الحلّي في تحرير الأحكام، والشهيد الأوّل في اللّعة الدمشقيّة، وغيرهم، (يُنظر: النهاية: ص ٥٧٦، والمختصر النافع: ص ٢٤٢، وشرائع الإسلام: ٤ / ٧٤١، وتحرير الأحكام: ٤ / ٦٢٠، واللّعة الدمشقيّة: ص ٢١٥).
- ٦٣- أي: أصل عدم التذكية في مشكوك التذكية.
- ٦٤- روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: الجراد ذكيّ كلّهُ، والحيتان ذكيّ كلّهُ، وأمّا ما هلك في البحر، فلا تأكل»، (يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤ / ٧٣، باب ٣١، من أبواب الذبائح، ح ٧).
- ٦٥- يُنظر: جواهر الكلام: ٣٦ / ١٦٢، وقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ العامّة ترى أنّ السمك والجراد لا ذكاة له؛ لحديث ابن عمر المتقدّم؛ ولأنّهم فهموا من التذكية الذبح وخروج الدّم، وهما لا دم لهما؛ لذا أسقطوا اعتبارها فيها.
- ٦٦- لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾. (سورة المائدة: من الآية ٣).

- ٦٧- يُنظر: جواهر الكلام: ١٦٣/٣٦.
- ٦٨- سورة المائدة: من آية (٩٦).
- ٦٩- يُنظر: رياض المسائل: ١٢٠/١٢.
- ٧٠- في الأصل (خر)، وما أثبتناه أنسب للسياق.
- ٧١- أي: بالبدهة: وهي المعلومة التي لا تحتاج في حصولها إلى كسب ونظر وفكر، يُنظر: المنطق الشيخ محمد رضا المظفر: ص ٢١.
- ٧٢- الرواية عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صيد المجوس للسَّمَكِ حين يضربون بالشَّبك ولا يُسمُّون، أو يهودي ولا يُسمِّي. (وسائل الشيعة: ٧٧/٢٤، باب ٣٢- من أبواب الذبائح، ح ٥).
- ٧٣- وسائل الشيعة: ٧٧/٢٤، باب ٣٢- من أبواب الذبائح، ح ٩، ١١، ح، وباب ٣١- من أبواب الذبائح، ح ١، ح ٣، ح ٨.
- ٧٤- يُنظر: الوسيلة: ص ٣٥٥.
- ٧٥- في الأصل (لا تأكل)، وما أثبتناه من المصدر. (وسائل الشيعة: ٨٣/٢٤، باب ٣٤- من أبواب الذبائح، ح ٦).
- ٧٦- نَضَبُ الماء: يَنْضَبُ نَضُوبًا، أي: غار الماء في الأرض وسَفُلَ. (الصَّحاح، الجوهري: ٢٢٦/١).
- ٧٧- وسائل الشيعة: ٨٣/٢٤، باب ٣٤- من أبواب الذبائح، ح ٦.
- ٧٨- تهذيب الأحكام: ٨١/٩.
- ٧٩- كخبر الطبرسي في (الاحتجاج)، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث طويل -: إِنَّ زنديقاً قال له: السَّمَكُ ميتة؟ قال: «إِنَّ السَّمَكُ ذكاته إخراجُه مِنَ الماء، ثُمَّ يترك حتَّى يموت من ذات نفسه، وذلك أَنَّهُ ليس له دم، وكذلك الجراد». (الاحتجاج: ٩٣/٢، ووسائل الشيعة: ٧٥/٢٤، باب ٣١ من أبواب الذبائح، ح ٨).
- ٨٠- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما بين الأقواس من المصدر، والجَدُّ: ما قَرُبَ مِنَ الأرض، وقيل: الجَدُّ شاطئُ النَّهر. (وسائل الشيعة: ٨١/٢٤، باب ٣٤ من أبواب الذبائح، ح ١، ولسان العرب ابن منظور: ٨٧/١، وتاج العروس الزبيدي: ١٦٣/١).
- ٨١- وسائل الشيعة: ٨١/٢٤، باب ٣٤- من أبواب الذبائح، ح ١.

- ٨٢- يُنظر: قرب الإسناد، الحميريّ القميّ: ص ٢٧٧، ووسائل الشيعة: ٨١ / ٢٤، باب ٣٤ - من أبواب الذبائح، ح ١.
- ٨٣- في الأصل (سَلَمَة بن جعفر)، وما أثبتناه من المصدر.
- ٨٤- في الأصل (إِنَّ صَيْدَ السَّمَكَةِ)، وما أثبتناه من المصدر.
- ٨٥- في جواهر الكلام موافق لما في المتن، واستظهر محقق كتاب الوافي ما ورد في المتن؛ وأيد ذلك بكون السَّمَكَةِ ليس لها يد، والظاهر أنّ اليد هي كناية عن زعانف السَّمَكَةِ، فلاحظ، وفي وسائل الشيعة: (بيدها)، وفي الكافي: (بيديها)، وهي أقرب لتصحيح الكلمة.
- يُنظر: جواهر الكلام: ١٦٦ / ٣٦، الوافي: ١٨٨ / ١٩ (الهامش)، ووسائل الشيعة: ٨١ / ٢٤، باب ٣٤ من أبواب الذبائح، ح ٢، الكافي: ٢١٧ / ٦، باب صيد السَّمَكِ، ح ٧.
- ٨٦- في الأصل (أَوْ يَتَحَرَّكُ)، وما أثبتناه من المصدر.
- ٨٧- في الأصل (تَطَرَّقُ)، وما أثبتناه من المصدر، وهي تصحيف.
- ٨٨- الكافي: ٢١٧ / ٦، باب صيد السَّمَكِ، ح ٧.
- ٨٩- في الأصل (محمّد بن محمّد بن الحسن)، وما أثبتناه من المصدر.
- ٩٠- وسائل الشيعة: ٨١ / ٢٤، باب ٣٤ - من أبواب الذبائح، ح ٢.
- ٩١- منهم المحقّق الحليّ في شرائع الإسلام، والشّهِيد الأوّل في الدّروس، والسّيّد عليّ الطّباطبائيّ في رياض المسائل، والمحقّق النّراقيّ في مستند الشيعة، وغيرهم، (يُنظر: شرائع الإسلام: ٧٤١ / ٤، والدّروس: ٤٠٩ / ٢، ورياض المسائل: ١٢٢ / ١٢، ومستند الشيعة: ٤٦٧ / ١٥).
- ٩٢- كالشّهِيد الأوّل في الدّروس: ٤٠٩ / ٢.
- ٩٣- كما تقرّر في علم الأصول ذلك، (يُنظر: كفاية الأصول، الآخوند الخراسانيّ: ص ٢٤٣، وأجود التقريرات تقرير بحث النّائبيّ للسّيّد الخوئيّ: ٥١٥ / ١).
- ٩٤- منهم المحقّق الحليّ في المختصر النّافع: ص ٢٤٢، والشّهِيد الأوّل في الدّروس الشّرعية في فقه الإمامية: ٤٠٩ / ٢، والمقداد السيوريّ في التّنقيح الرّائع لمختصر الشّرائع: ٢٥ / ٤.
- ٩٥- وهو الجواهريّ في كتابه جواهر الكلام: ١٦٥ / ٣٦.
- ٩٦- في الأصل (من أن لا يموت في الماء)، وما أثبتناه من المصدر، (يُنظر: جواهر الكلام: ١٦٥ / ٣٦).

- ٩٧- قول المشهور: وهو إخراجُه من الماء، واستعمل المصنّف جملة «هرباً عن المشهور»؛ لشدة احتياطه حتّى في موارد الجواز ووجود الدليل؛ لمجرد احتمال الشبهة فيها.
- ٩٨- أي: بفعل فاعل، أو من قبل نفسه.
- ٩٩- أي: الأولى في قبول حلّيته.
- ١٠٠- وهو الأحوط في الاجتناب.
- ١٠١- أي: احتياطاً واجباً.
- ١٠٢- يُنظر: السرائر: ١٣٦/٥، وشرائع الإسلام: ٧٤١/٤، وتحرير الأحكام: ٦٢١/٤، وجواهر الكلام: ١٦٧/٣٦.
- ١٠٣- يُنظر: النهاية: ص ٥٧٨، والنهاية ونكتها، المحقّق الحلّي: ٨٠/٣.
- ١٠٤- أي: أصل عدم التذكية.
- ١٠٥- كذا في الأصل، والأنسب للسياق (انتقاله).
- ١٠٦- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه أنسب للسياق.
- ١٠٧- في الأصل (وتحرّك)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٠٨- في الأصل بياض بمقدار كلمتين، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٠٩- الكافي: ٢١٧/٦، باب صيد السمك، ح ٧.
- ١١٠- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه من المصدر.
- ١١١- تهذيب الأحكام: ٧/٩، باب الصيد والذكاة، ح ٢٢.
- ١١٢- يُنظر: مختلف الشيعة، العلامة الحلّي: ٢٦٢/٨، وإرشاد الأذهان العلامة الحلّي:
- ١٠٩/٢، واللمعة الدمشقية، الشهيد الأوّل: ٢١٥، ومجمع الفائدة، المحقّق الأردبيلي:
- ١٣٩/١١ (الشرح)، وكشف اللثام، الفاضل الهندي: ٢٤٠/٩.
- ١١٣- لم يرد في المصدر (أكله).
- ١١٤- وسائل الشيعة: ٧٥/٢٤، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ١.
- ١١٥- في الأصل (المجوسي)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١١٦- في الأصل أحال جواب الإمام إلى المصدر قائلاً (الحديث). (وسائل الشيعة:
- ٧٦/٢٤، باب ٣٢ من أبواب الذبائح، ح ٣).
- ١١٧- يُنظر: وسائل الشيعة: ٧٦/٢٤، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ٢، ح ٤، ح ٥، ح ٦، ح ٧، ح ٨، ح ٩، ح ١٠، ح ١١.

- ١١٨- في الأصل بياض مقدار كلمة، وما أثبتناه ظاهر من السياق.
- ١١٩- في الأصل (فلعله)، وما أثبتناه أنسب للسياق.
- ١٢٠- يُنظر: مستند الشيعة: ١٥/٤٦٢، وجواهر الكلام: ٣٦/١٦٥.
- ١٢١- كذا في الأصل.
- ١٢٢- من كفاية النظر في تذكية السمك فيما ولو وثب من قبل نفسه.
- ١٢٣- في الأصل: حي، وما أثبتناه أوفق بالسياق.
- ١٢٤- يُنظر: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ٧/٢٣٩، ومسالك الأفهام: ١١/٥٠٣ (الشرح)، ورياض المسائل: ١٢/١٢٣، وجواهر الكلام: ٣٦/١٦٧.
- ١٢٥- النهاية: ص ٥٧٨.
- ١٢٦- يُنظر: المبسوط: ٦/٢٧٧، والنهاية: ٥٧٨، والسرائر: ٣/٨٨، والمختصر النافع: ٢٤٢، وإرشاد الأذهان: ٢/١٠٩، وتبصرة المتعلمين: ٢١١، وتحرير الأحكام: ٤/٦٢٠.
- ١٢٧- رياض المسائل: ١٢/١٢١.
- ١٢٨- هو المحقق النراقي في مستند الشيعة: ١٥/٤٧٠.
- ١٢٩- أراد صاحب السرائر بغير المحقّق: غير الإماميّ الانثي عشري، سواءً أنكر ضرورة من ضروريّات الدين كالكافر، أو أنكر إمامة أهل البيت عليهم السلام وهو المخالف، أو كان شاكاً أو متردداً في ذلك، بأن كان من المستضعفين، (يُنظر: الحقائق الناضرة المحقّق البحراني: ٢٢/٢٠٠، وسوف يأتي لاحقاً من المصنّف عند بيان حجة قول المشهور في عدم اشتراط الإسلام في تذكية السمك، أنّه يقصد بغير المحقّق خصوص الكافر، فلاحظ).
- ١٣٠- في الأصل (مع المشاهدة للسمك)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٣١- في الأصل (حقيقة)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٣٢- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٣٣- السرائر: ٥/١٣٩.
- ١٣٤- يُنظر: المقنعة: ص ٥٧٧، وغنية النزوع: ص ٣٩٧.
- ١٣٥- وقد ذهب إلى هذا الرأي أيضاً المحقّق السبزواري في كفاية الأحكام: ٢/٥٩١.
- ١٣٦- منها: ما رواه الطبرسي في (الاحتجاج) عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث -: أن زنديقاً قال له: السمك ميتة؟ قال: إن السمك ذكاته إخراجاه من الماء، ثم يترك حتى يموت

من ذات نفسه، وذلك أنه ليس له دم، وكذلك الجراد. (وسائل الشيعة: ٢٤ / ٧٥، باب ٣١ - من أبواب الذبائح، ح ٨).

١٣٧ - الظاهر أن مراده من الإجماع هنا الاتفاق على صورة ماله أخرجته المسلم من الماء حيًّا ومات خارجة، أمّا غيرها، فهي مورد خلاف كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في شرط إسلام مُخرجه.

١٣٨ - لأن الاستصحاب هنا حاكم على أصالة الحل؛ لأنّه أصل سببيّ، فهو يرفع موضوع الأصل المسببي؛ لأنّ الشكّ في التذكية الذي هو موضوع الاستصحاب إذا جرى الاستصحاب فيه تكون عدم التذكية والحليّة معلومة بحكم الشرع، فلا مجال لأصالة الحلّ هنا، فيجري الاستصحاب بلا معارض، (يُنظر: الروضة البهيّة في شرح اللّعة الدمشقيّة: ٣٣٦ / ٧ (الشرح)).

١٣٩ - أي: في تذكية الحيوان، (يُنظر: تحرير الأحكام: ٤ / ٦٢٢، ومستند الشيعة: ٣٧٨ / ١٥).

١٤٠ - تقدّم في بحث الذكاة شرعاً، فقد قال: «إنّ الذكاة: هي اسم ما يحصل بسببه حلّ أكل الحيوان، فأخراج السّمك من الماء ذكاة له حقيقة»، فلاحظ.

١٤١ - في الأصل (أعطا احياء)، وما أثبتناه من المصدر. (وسائل الشيعة: ٢٤ / ٧٦، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ١).

١٤٢ - لم يرد في الأصل (عليه)، وما أثبتناه من المصدر.

١٤٣ - في الأصل (تشهدهم)، وما أثبتناه من المصدر. (وسائل الشيعة: ٢٤ / ٧٦، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ١).

١٤٤ - ضعّفه صاحب الرّياض قائلاً: «في سنده قصور بالجهالة، وإن روي عن موجبها فضالة، الذي أجمعت على تصحيح ما يصحّ عنه العصابة، وفي متنه ضعف بحسب الدّلالة، لابتنائها على دلّالته على اشتراط أخذ المسلم له منهم حيًّا، كما هو ظاهر الاستبصار، فيكون إخراجهم له بمنزلة وثوبه من الماء بنفسه إذا أخذه المسلم.

وهو ضعيف جدًّا، لظهور سياقه في أنّ المراد بـ«إذا أعطوكه» إذا شاهده، بقرينة قوله: (إلا أنّ تشهد)، مع أنّه ليس في لفظ الإعطاء دلالة على التسليم وأخذ المسلم له صريحاً، بل ولا ظاهراً». (رياض المسائل: ١٢ / ١٢٢).

- ١٤٥- أصل عدم التذكية.
- ١٤٦- لأن أصل عدم التذكية أصل عملي ثانوي، فيكون جابراً للرواية فيما لو كانت ضعيفة؛ إذ لا تصل التوبة إليه مع وجود الدليل المحرز، (يُنظر: الهداية في الأصول تقرير بحث السيّد الخوئي الشيخ حسن الصّافي: ٣/ ١٦١، وزبدة الأصول السيّد محمد الروحاني: ٤/ ٣٦٨).
- ١٤٧- السرائر: ٥/ ١٣٩.
- ١٤٨- وهو المحقق النراقي في مستند الشيعة: ١٥/ ٤٧٠.
- ١٤٩- يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤/ ٧٥، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ١، ح ٢، ح ٣، ح ٤، ح ٥، ح ٦، ح ٧، ح ٨، ح ٩، ح ١٠، ح ١١.
- ١٥٠- يُنظر: إيضاح الفوائد، ابن العلامة: ٤/ ١٤١ (الشرح).
- ١٥١- وهو السيّد عليّ الطباطبائي في رياض المسائل: ١٢/ ١٢٢.
- ١٥٢- يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤/ ص ٧٥، باب ٣٢ - من أبواب الذبائح، ح ١، ح ٢، ح ٣.
- ١٥٣- يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤/ ص ٧٥، باب ٣٢ من أبواب الذبائح، ح ١، ح ٢، ح ٣.
- ١٥٤- يُنظر: المبسوط: ٦/ ٢٧٦، والسرائر: ٥/ ١٣٩.
- ١٥٥- يُنظر: النهاية ونكتها: ٣/ ٨٤، والسرائر: ٥/ ١٤٠، وتحرير الأحكام: ٤/ ٦٢١، والمهذب البارع: ٤/ ١٩٦ (الشرح)، ومستند الشيعة: ١٥/ ١٢٤.
- ١٥٦- يُنظر: رياض المسائل: ١٢/ ١٢٤، وكفاية الأحكام، للسبزواري: ٢/ ٥٩١.
- ١٥٧- الخراز: هو أبو أيوب الخراز، وقد اختلف في اسمه، فبعض قال: هو إبراهيم بن عيسى، كما قاله النجاشي في رجاله، والعلامة الحلي في إيضاح الاشتباه، وقال بعض: بأنه إبراهيم بن عثمان، منهم ابن شهر آشوب في معالم العلماء، وثالث قال: هو إبراهيم بن زياد، أبو أيوب الخراز، قاله ابن داود في رجاله، إلا أن التفرشي في نقد الرجال، استظهر أن إبراهيم بن عيسى، وابن عثمان، وابن زياد واحد، وكذا السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث، وهو ثقة ممدوح من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام)، (يُنظر: رجال النجاشي: ٢٠/ رقم ٢٥، وإيضاح الاشتباه: ٨٦/ رقم ١٧، ومعالم العلماء: ٤٢/ رقم ١٢، ورجال ابن داود: ٣١/ ١٩، ونقد الرجال: ٧٧/ ١، رقم ٨٠/ ١٠٨، ومعجم رجال الحديث: ١/ ٢٠٣، رقم ١٥٦).

- ١٥٨ - في الأصل (فقال)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٥٩ - الرواية عن عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ الْخَرَّازِ. (الكافي: ٢١٧/٦، باب صيد السمك، ح ٤، وسائل الشيعة: ٧٩/٢٤، باب ٣٣ من أبواب الصيد والذبائح، ح ١).
- ١٦٠ - وهو عبد المؤمن بن القاسم بن قيس بن قيس بن فهد، الأنصاري، يروي عن أبي جعفر الباقر، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وهو ثقة كوفي، توفي عام سبع وأربعين ومائة. (يُنظر: رجال النجاشي: ٢٤٩، رقم ٦٥٥، ورجال الشيخ الطوسي: ٢٤١/٢٢١، وخلاصة الأقوال: ٢٢٧).
- ١٦١ - لم يرد في الأصل (لي)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٦٢ - في الأصل (فلا تأكل منه)، وما أثبتناه من المصدر. (تهذيب الأحكام: ١٢/٩، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد والذكاة، ح ٤٤).
- ١٦٣ - تهذيب الأحكام: ١٢/٩، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد والذكاة، ح ٤٤، ووراه الشيخ - أيضاً - في الاستبصار بالسند نفسه عن (عبد الرحمن) بدل (عبد المؤمن)، لكنَّ كُلَّ مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا رواها عن عبد المؤمن، منهم: العلامة الحلي في مختلف الشيعة في بحث مَنْ نصب الشبكة في الماء يوماً وليلة، وكذا ابن العلامة في إيضاح الفوائد في لواحق كيفية الذبح، وكذا الشهيد الأوَّل في غاية المرام في شرح نكت الإرشاد في بحث اشتباه السمك الذكي بغيره، وغيرهم، ما يجعل النسبة إليه مورد القبول، (يُنظر: الاستبصار: ٦٢/٤، باب تحريم السمك الطافي، ح ٩، مختلف الشيعة: ٨/٢٦٤، إيضاح الفوائد: ٤/١٤١ (الشرح)، غاية المرام في شرح نكت الإرشاد: ٣/٥٢١).
- ١٦٤ - في الأصل (في)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٦٥ - تهذيب الأحكام: ١١/٩، كتاب الصيد والذبائح، ح ٤٠، ووسائل الشيعة: ج ٢٤/٧٩، باب ٣٣ - من أبواب الذبائح، ح ٢.
- ١٦٦ - الكافي: ٢١٧/٦، باب صيد السمك، ح ٣.
- ١٦٧ - كما تقدَّم من صحيح الخراز، وخبر عبد المؤمن، وخبر عبد الرحمن بن سيابة، «أنَّه مات في ما فيه حياته».
- ١٦٨ - كما تقدَّم ذكره عن رياض المسائل، (يُنظر: ١٢/١٢٤ ذكاة السمك).

- ١٦٩- يُنظر: مسالك الأفهام: ٥٠٦/١١ (الشّرح)، وكفاية الأحكام: ٥٩١/٢ (الهامش).
- ١٧٠- أي: الحكم بالحرمة، وكونه ميتة.
- ١٧١- كالشيخ في النهاية: ص ٥٧٨، وابن إدريس في السّرائر: ٦٢١/٣.
- ١٧٢- يُنظر: جواهر الكلام: ١٧٠/٣٦.
- ١٧٣- وهو ابن أبي عقيل العُمانيّ الحذاء. اختلف النّجاشي والشيخ في اسم أبيه وكنيته، فقال النّجاشي: هو الحسن بن عليّ، أبو محمّد، وقال الشيخ في رجاله وفي الفهرست: هو الحسن ابن عيسى، أبو عليّ، وقال العلامة في الخلاصة: هو شخص واحد، يُقال له: ابن أبي عقيل العُمانيّ الحذاء، وهو من أعيان الفقهاء وجملة متكلمي الإماميّة، ثقة له كتب في الفقه والكلام، اهتمّ الأصحاب بنقل أقواله وضبط فتاواه؛ إذ يُعدّ أوّل مَنْ هذّب الفقه واستعمل النّظر فيه. (يُنظر: رجال النّجاشي: ١٠٠/٤٥، ورجال الشيخ الطوسي: ٥٣/٦١١٨، والفهرست: ٤٣/٢٠٣، وخلاصة الأقوال: ٩/١٠١، ورجال ابن داود: ٤٣٤/٧٤، والفوائد الرّجاليّة: ٢/٢٢١).
- ١٧٤- حكاه عنه العلامة الحلّي في مختلف الشيعة: ٢٦٤/٨، والشيخ الجواهري، جواهر الكلام: ١٦٩/٣٦.
- ١٧٥- أي: قول العُماني القائل بحلّيّة ذلك.
- ١٧٦- في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه من المصدر، وفي مَنْ لا يحضره الفقيه: (فموتن)، وفي وسائل الشيعة: (فيموتن). (يُنظر: مَنْ لا يحضره الفقيه: ٣/٣٢٤، ذكاة السّمك، ح ١٥٧، ووسائل الشيعة: ٨٣/٢٤، باب ٣٥- من أبواب الذّبائح، ح ٢).
- ١٧٧- تهذيب الأحكام: ١١/٩، كتاب الصّيد والذّبائح، ح ٤٢.
- ١٧٨- لم يرد في الأصل (للحيتان)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٧٩- الاستبصار: ٦١/٤، باب تحريم السّمك الطّافي، ح ٨، وتهذيب الأحكام: ١٢/٩، كتاب الصّيد والذّبائح، ح ٤٣.
- ١٨٠- الكافي: ٢١٧/٦، باب صيد السّمك، ح ٩.
- ١٨١- لم يرد في الأصل (فهو)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٨٢- لم يرد في الأصل (الطّافي)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٨٣- الكافي: ٢١٨/٦، باب صيد السّمك، ح ١٥، والاستبصار: ٦٢/٤، باب تحريم

- السَّمَك الطَّافِي، ح ١٠، وسائل الشيعة: ٢٤ / ٨٥، باب ٣٥ - من أبواب الذبائح، ح ٤.
- ١٨٤ - المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ٢ / ٤٧٧، باب الحباري والسَّمَك، ح ٤٩٣، ووسائل الشيعة: ٢٤ / ٨٥، باب ٣٥ - من أبواب الذبائح، ح ٤.
- ١٨٥ - في الأصل (الخطير)، وما أثبتناه من المصدر، والخطيرة: في الأصل: الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والأبل، ولها استعمالات وعدة معانٍ منها: موضع التمر، وتستعمل أيضاً في السبعة من الرجال أو الثمانية، والجمع حظائر، والمراد بها هنا: هي المحوطة المصنوعة من قصب ونحوه، (يُنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ١ / ٤٠٤، والمختص ابن سيده: ٢ ق السفر السادس / ١٩٩، ولسان العرب ابن منظور: ٤ / ١٩٩، ومعجم مقاييس اللغة: ٢ / ١٢٠، والروضة البهيّة في شرح اللّغة الدمشقيّة: ٦ / ١٦٠ (الشرح)).
- ١٨٦ - لم يرد في الأصل (فيدخلها الحيتان)، وما أثبتناه من المصدر.
- ١٨٧ - وسائل الشيعة: ٢٤ / ٨٥ باب ٣٥ - من أبواب الذبائح، ح ٥.
- ١٨٨ - وسائل الشيعة: ٢٤ / ٨٥، باب ٣٥ - من أبواب الذبائح، ح ٦.
- ١٨٩ - يُنظر: رياض المسائل: ١٢ / ٤٩.
- ١٩٠ - وقد حكى القول هذا الشهيد الأوّل في الدروس: ٢ / ٤٠٩، وكذا في الروضة البهيّة: ٧ / ٢٤٧، وكذلك الشهيد الثاني في مسالك الأفهام: ١١ / ٥٠٧ (الشرح).
- ١٩١ - الرّاق: مأخوذة من رقى يرقى رقيّاً: صعد وارتقى. (العين: ٥ / ٢١١)، والمراد بها هنا ما قرب من حافة النهر.
- ١٩٢ - الفالة: قضيب من حديد في رأسه ثلاث شعب محدّدة يُصاد بها السَّمَك، معروفة عند العراقيين. (الاصطلاحات الفقهيّة في الرسائل العمليّة، الشيخ ياسين عيسى العاملي: ص ١٥٥).
- ١٩٣ - الشَّص: حديدة عقفاء يُصاد بها السَّمَك، وتسمّى في لبنان والعراق (سنّارة). (الاصطلاحات الفقهيّة في الرسائل العمليّة: ص ١١٦).
- ١٩٤ - نشب: علق، ونشب الشيء في الشيء نشوباً، أي: علق فيه. (العين: ١ / ١٦٢، والصّحاح: ١ / ٢٢٤).
- ١٩٥ - في الأصل بياض بمقدار كلمة، وما أثبتناه هو الظاهر من السياق.
- ١٩٦ - الرّأي المشهور بين الأصحاب في المسألة هذه: حرمة أكل السَّمَك الذي مات في

الماء ؛ لذا تراجع عنه المصنّف، فمن أجاز ذلك، أجاز به بشرط فقد الطريق إلى تمييز الحيّ من الميت الواقع في الشبكة أو الحظيرة، وإلا فلا، والفتوى مجمع عليها، كما صرح ابن إدريس بذلك؛ إذ قال: «إنَّ الإنسان متى نصب الشبكة، ووقع فيها السمك، وأخذه منها وهو حيّ، فإنَّه حلال، وإنَّ أخذه وهو ميت، فلا يجوز أكله بحال، لأنَّنا أجمعنا على أنَّ ما يموت من السمك في الماء، فإنَّه حرام، وهذا إجماع منعقد من أصحابنا، فلا يجوز أن نرجع عنه بأخبار الآحاد التي لا تُوجب علماً ولا عملاً» السرائر: ٣/ ٩٠.

١٩٧- كما مرّ في صحيحتي محمد بن مسلم، والحليّ، وغيرهما.

١٩٨- أي: غير القصب والشبكة.

١٩٩- أي: حرمة أكل الميتة.

٢٠٠- أي: الآلة التي ينصبها الكافر.

٢٠١- باب ذكاة السمك.

٢٠٢- في الأصل (مباشر)، وما أثبتناه أنسب للسياق.

٢٠٣- أي: في كتاب النّهاية ونكتها للمحقّق الحليّ.

٢٠٤- يُنظر: النّهاية ونكتها: ٣/ ٨٠ (الشرح)، وجواهر الكلام: ٣٦/ ١٦٦.

٢٠٥- في الأصل (عبد الله بن يحيى)، وما أثبتناه من المصدر.

٢٠٦- تهذيب الأحكام: ٩/ ٧، باب الصيد والذكاة، ح ٢٢.

٢٠٧- الكافي: ٦/ ٢٢٢، باب الجراد، ح ١، وجواهر الكلام: ٣٦/ ١٦٦.

٢٠٨- في الأصل، (وهذان الروايتان).

٢٠٩- الإرسال: لأنّه ورد في سندها «عن رجل»، والإضمار: لأنّ المنقول عنه - وهو

المعصوم هنا - غير مصرّح باسمه.

٢١٠- لأنّ الشُّهرة إنّما تكون جابرة فيما لو ثبتت نسبة الخبر إلى المعصوم عليه السلام، وإلا فلا،

كما هو الحال هنا، فلا تجري الشُّهرة فيها؛ لأنّها غير صالحة لإثبات هذه النسبة، (يُنظر: مصباح

الفقيه، آقا رضا الهمداني: ١٤/ ٣٩٧).

٢١١- لجواز كون سبب الحِلِّ أخذ المسلم أو نظره، كما صرّحت بعض الروايات بذلك،

كصحيحة عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام.

٢١٢- حكاه عنه الشهيد الثاني في مسالك الأفهام، والجواهريّ في جواهر الكلام، نقلاً

عن النّهاية ونكتها، (يُنظر: النّهاية ونكتها: ٨٠ / ٣، ومسالك الأفهام: ٥٠٣ / ١١، وجواهر الكلام: ١٦٦ / ٣٦).

٢١٣- يُنظر: جواهر الكلام: ١٦٦ / ٣٦.

٢١٤- لأنّه مذكى بالإخراج، ولإطلاق الأدلّة، (يُنظر: جواهر الكلام: ١٧٠ / ٣٦).

٢١٥- لم ترد في الأصل (هو)، وما أثبتناه من المصدر.

٢١٦- رواه الكليني عن عليّ بن إبراهيم، [عن أبيه]، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام. (الكافي: ٣١٣ / ٥).

٢١٧- استناداً إلى أنّ ذكاته إخراجاً من الماء حيّاً وموته خارجاً، فقبل موته لم تحصل الذكاة، ولا دليل عليه، وإنّما أبيح إذا كان ميتاً؛ لقوله عليه السلام: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ: السَّمَكُ وَالْجَرَادُ». (المبسوط: ٢٧٧ / ٦، مسالك الأفهام: ٥٠٥ / ١١ (الشرح).

٢١٨- بصفة أنّ صيده أخذه، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾، ويمنع كون ذكاته تحصل بالأمرين معاً، بل الأوّل خاصّة بشرط عدم عوده إلى الماء وموته فيه، وهو حاصل، ولعموم صحيحة سليمان بن خالد عن الصادق عليه السلام: «إنّ عليّاً كان يقول: الحيتان والجراد ذكيّ». مسالك الأفهام: ٥٠٦ / ١١ (الشرح).

٢١٩- وافق الشيخ في هذا الرأى الشيخ الطبرسي في المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف: ٤٥٣ / ٢، وقطب الدّين البيهقي الكيدري (ت ٦ ق) في إصباح الشريعة بمصباح الشريعة، وعليّ بن محمّد القمي (ت ٧ ق) في جامع الخلاف بين الإماميّة وبين أئمة الحجاز والعراق: ص ٥٤٣؛ لذا قال الشهيد الثاني في هذه المسألة: «هو قول الأكثر»، وقال الجواهري: «هو قول المشهور»، وهناك من المتأخّرين من وافق هذا الرأى أيضاً كما في تقارير بحث حسين الحليّ لحسن سعيد؛ إذ قال: «لكن الإنصاف أنّ هذا الحكم - أي: جواز الابتلاع حيّاً أو أخذ قطعة منه - لا يخلو عن مخالفة الذوق، بل الظاهر لزوم إضافة قيد ثالث: وهو موته؛ ليكون الحاصل هو أنّه يعتبر في حلّيّة الأكل ثلاثة أمور: أخذه من الماء حيّاً، وموته، وكون الموت لم يكن في الماء، بل بعض المتأخّرين اعتمدوا في رسائله العمليّة، كالسيد المرعشي النجفي في منهاج المؤمنين، (يُنظر: مسالك الأفهام: ٥٠٦ / ١١ (الشرح)، وجواهر الكلام: ١٧٠ / ٣٦، ودليل العروة الوثقى، تقرير بحث الشيخ حسين الحليّ لحسن سعيد: ٣١٩ / ١ (الشرح)، و(يُنظر: منهاج المؤمنين: ١٨٦ / ٢).

- ٢٢٠- في الأصل (الوردة في الجراد)، وما أثبتناه هو الصحيح؛ لأنَّ سؤال الرواي كان عن الصلاة في الخنز.
- ٢٢١- وسائل الشيعة: ٤/ ٣٦٠، باب ٨ من أبواب لباس المصلّي، ح ٤، وقد حكاها عنه المحقّق النراقي في مستند الشيعة: ١٥/ ٤٧٤.
- ٢٢٢- لأنَّ في سندها محمّد بن سليمان الدّيلمّي، وقد ضعفه المحقّق الحلّي، والشّهاد الأوّل، ومخالفتها لما اتّفقوا عليه من أنّه لا يؤكل من حيوان البحر إلّا السمك، ولا من السمك إلّا ما له فلس، (يُنظر: المعتمد: ٢/ ٨٤، وذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ٣/ ٣٥).
- ٢٢٣- يُنظر: الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة: ٢/ ٤٠٩، وجواهر الكلام: ٣٦/ ١٧١.
- ٢٢٤- في الأصل بياض مقدار كلمة، وما أثبتناه أنسب للسّياق.
- ٢٢٥- يُنظر: جواهر الكلام: ٣٦/ ١٧١.
- ٢٢٦- في الأصل (اكمال الظاهر)، والصّحيح ما أثبتناه.
- ٢٢٧- يُنظر: المبسوط: ٦/ ٢٧٧، والنّهاية: ٥٧٨، والسّرائر: ٥/ ١٣، وكشف اللّثام: ٩/ ٢٣٩.
- ٢٢٨- رياض المسائل: ١٢/ ١٢١.
- ٢٢٩- أي: الأصل عدم اشتراط التّسمية في ذكاة السمك.
- ٢٣٠- في الأصل (قال)، وما أثبتناه من المصدر.
- ٢٣١- صحيحة الحلبيّ عن الصادق عليه السلام، (يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤/ ٧٣، باب ٣١ - من أبواب الذّبائح، ح ١).
- ٢٣٢- كرواية محمّد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام، ورواية زيد الشّحام، عن الإمام الصادق عليه السلام، ورواية أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، (يُنظر: وسائل الشيعة: ٢٤/ ٧٣، باب ٣١ - من أبواب الذّبائح، ح ٢، ح ٣، باب ٣٣ من أبواب الذّبائح، ح ٥).
- ٢٣٣- يُنظر: مستند الشيعة: ١٥/ ٤٧٠.
- ٢٣٤- لعدم الدّليل على قبول خبره، (يُنظر: جواهر الكلام: ٣٦/ ١٦٣).

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم.

١- الأبواب (رجال الطوسي)، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢- الإجازة الكبيرة، شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٣- أجود التقارير، تقرير بحث النائي للسيد الخوئي (ت ١٣٥٥هـ)، منشورات مصطفى، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.

٤- الاحتجاج، أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٥- الأحكام الشرعية، المنتظري، نشر تفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٦- إرشاد الأذهان، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ فارس حسون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧- الاستبصار، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخراسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٣هـ.

٨- إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، قطب الدين، البيهقي الكيدري (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى، محرم الحرام، ١٤١٦هـ.

٩- الاصطلاحات الفقيّة في الرسائل العملية، الشيخ ياسين عيسى، العاملي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- ١٠- أعلام أسرة آل الحلو، خالد الحلو، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
- ١١- إيضاح الاشتباه، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ١٢- إيضاح الفوائد، أبو طالب، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلّي (ابن العلامة) (ت ٧٧٠هـ)، تعليق: السيّد حسين الموسوي الكرمانّي، الشيخ عليّ پناه الاشتهاري، الشيخ عبد الرّحيم البروجرديّ، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ.
- ١٣- تاج العروس، أبو فيض، محمد مرتضى، الحسيني، الواسطي، الزبيديّ (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: عليّ شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٤- تبصرة المتعلّمين في أحكام الدّين، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تقديم: الشيخ حسين الأعلمي، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، الشيخ هادي اليوسفي، انتشارات فقيه، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ.
- ١٥- تحرير الأحكام، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهاريّ، إشراف: جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٦- التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، مقداد بن عبد الله، السيوريّ، الحلّي (ت ٨٢٦هـ)، تحقيق: السيّد عبد اللّطيف الحسيني الكوه كمرّي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامّة، قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ.
- ١٧- تهذيب الأحكام، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسيّ (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: السيّد حسن الموسويّ الخرساني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٤هـ.
- ١٨- جامع الخلاف والوفاق بين الإماميّة وبين أئمة الحجاز والعراق، عليّ بن محمد بن محمد، القميّ، السبزواريّ (ت ٧٠٠هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجنديّ، زمينه سازان ظهور إمام عصر (عليه السلام)، الطبعة الأولى.
- ١٩- جواهر الكلام، محمد حسن النجفيّ، الجواهريّ (ت ١٢٦٦هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عبّاس القوچانيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ.
- ٢٠- الحدائق الناضرة، يوسف البحرانيّ (ت ١١٨٦هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

- لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، (د.ت).
- ٢١- خلاصة الأقوال، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلّي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٢٢- الخلاف، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، ١٤٠٧هـ.
- ٢٣- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، محمد بن جمال الدين مكي العاملي (الشهيد الأول) (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- ٢٤- الذريعة، آقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٢٥- رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود، الحلّي (ت ٧٤٠هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
- ٢٦- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني) (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: السيّد محمد كلانتر، منشورات جامعة النجف الدينية، الطبعة الأولى-الثانية، ١٣٨٦هـ-١٣٩٨هـ.
- ٢٧- رياض المسائل، علي الطباطبائي (ت ١٢٣١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٨- زبدة الأصول، محمد صادق، الحسيني، الروحاني، مدرسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٩- السرائر (موسوعة ابن إدريس الحلّي)، ابن إدريس الحلّي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق وتقديم: السيّد محمد مهدي الموسوي الخرساني، العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٣٠- شرائع الإسلام، أبو القاسم، جعفر بن الحسن، الحلّي (ت ٦٧٦هـ)، مع تعليقات: السيّد صادق الشيرازي، انتشارات استقلال، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٣١- شعراء الغري والنجفيات، علي الخاقاني، مكتبة آية الله العظمى السيّد المرعشي

- النَجْفِيّ، قم المقدّسة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ٣٢- الصّحاح، إسماعيل بن حمّاد، الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٣- العين، أبو عبد الرّحمن، الخليل بن أحمد، الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ - الدكتور إبراهيم السّامرائيّ، مؤسّسة دار الهجرة، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- ٣٤- غاية المرام في شرح نكت الإرشاد، محمّد بن جمال الدّين مكّي، العامليّ (الشّهيد الأوّل) (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٥- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، مفلح الصّميريّ، البحرانيّ (ت حدود ٩٠٠هـ)، تحقيق: الشّيخ جعفر الكوثريّ العامليّ، دار الهادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٦- غنية النّزوع، حمزة بن عليّ بن زهرة، الحلبيّ (ت ٥٨٥هـ)، تحقيق: الشّيخ إبراهيم البهادريّ، إشراف: جعفر الشّبحانيّ، مؤسّسة الإمام الصّادق عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣٧- فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النّجاشي)، أبو العبّاس، أحمد بن عليّ بن أحمد ابن العبّاس، النّجاشيّ (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيّد موسى الشبيريّ الزنجانيّ، مؤسّسة النّشر الإسلاميّ التابعة لجامعة المدرّسين، قم المشرفة، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ.
- ٣٨- الفوائد الرّجاليّة، محمّد مهدي بحر العلوم، الطباطبائيّ (ت ١٢١٢هـ)، تحقيق وتعليق: محمّد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، مكتبة الصّادق عليه السلام، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٦٣هـ.
- ٣٩- قرب الإسناد، أبو العبّاس، عبد الله بن جعفر، الحميريّ، القميّ (ت ٣٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التّراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٤٠- الكافي، أبو جعفر، محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكلينيّ، الرازيّ (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: عليّ أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣هـ.
- ٤١- كشف الرّموز، زين الدّين، أبو عليّ، الحسن بن أبي طالب بن أبي المجد، اليوسفيّ (الفاضل الآبي) (ت ٦٩٠هـ)، تحقيق: الشّيخ عليّ پناه الإشتهازيّ، الحاج آغا حسين اليزديّ،

- مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، ١٤٠٨هـ.
- ٤٢- كشف اللثام، لبهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد، الأصفهاني (الفاضل الهندي) (ت ١٣٧هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ١٤٠٥هـ.
- ٤٣- كفاية الأحكام، محمد باقر، السبزواري (ت ١٠٩٠هـ)، تحقيق: الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤٤- كفاية الأصول، الآخوند محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ)، مع حواشي المحقق: الميرزا أبي الحسن المشكيني، تحقيق: الشيخ سامي الخفاجي، دار الحكمة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.
- ٤٥- لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور، الإفريقي، المصري (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٦- اللُّمعة الدمشقية، محمد بن جمال الدين مكّي، العاملي (الشَّهيد الأوّل) (ت ٧٨٦هـ)، منشورات دار الفكر، قم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- ٤٧- ماضي النجف وحاضرها، جعفر الشيخ باقر، آل محبوبة، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٤٨- المبسوط، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، ١٣٨٧هـ.
- ٤٩- مجمع الفائدة، أحمد، المحقق الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، تحقيق: الحاج آغا مجتبي العراقي، الشيخ عليّ پناه الاشتهاري، الحاج آغا حسين اليزدي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة.
- ٥٠- المجموع، أبو زكريّا، محيي الدين بن شرف، النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر.
- ٥١- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد، البرقي (ت ٢٧٤هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد جلال الدين الحسيني (المحدث)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.
- ٥٢- المختصر النافع، أبو القاسم، جعفر بن الحسن، الحلي (ت ٦٧٦هـ)، قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، طهران، الطبعة الثانية- الثالثة، ١٤٠٢هـ-١٤١٠هـ.
- ٥٣- مختلف الشيعة، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق

- ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرقة، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.
- ٥٤- مخزن المعاني، عبد الله المامقاني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٢٣ هـ.
- ٥٥- المخصص، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، الأندلسي (ابن سيده) (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٥٦- مسالك الأفهام، زين الدين بن علي، العاملي (الشهيد الثاني) (ت ٩٦٥ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٥٧- مستند الشيعة، أحمد بن محمد مهدي، النراقي (ت ١٢٤٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٥٨- مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف، كاظم عبود الفتلاوي، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٥٩- مصباح الفقيه، آقا رضا بن محمد هادي، الهمداني (ت ١٣٢٢ هـ)، تحقيق ونشر: المؤسسة الجعفرية لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٦٠- معالم العلماء، أبو عبد الله، محمد علي بن شهر آشوب (٥٨٨ هـ)، قم، (د.ت).
- ٦١- المعتبر، أبو القاسم، جعفر بن الحسن، الحلبي (ت ٦٧٦ هـ)، تحقيق وتصحيح: عدة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازي، مؤسسة سيّد الشهداء عليه السلام، قم، ١٣٦٤ ش.
- ٦٢- معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوي، الخوئي (ت ١٤١٣ هـ)، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٦٣- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.
- ٦٤- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم، الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ)، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٦٥- المقتصر من شرح المختصر، جمال الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن فهد، الحلبي (ت ٨٤١ هـ)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٦٦- المقنع، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، القمي، الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق

- ونشر: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤١٥هـ.
- ٦٧- المقنعة، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، العكبري البغدادي، المفيد (ت ١٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، ١٤١٠هـ.
- ٦٨- مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، القمي، الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، الطبعة الثانية، (د.ت).
- ٦٩- منتهى المطلب، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر، الحلي (ت ٧٢٦هـ)، طبعة حجرية.
- ٧٠- المنطق، الشيخ محمد رضا، المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، (د.ط) (د.ت).
- ٧١- منهاج المؤمنين، شهاب الدين، الحسيني المرعشي النجفي (ت ١٤١١هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي، ١٤٠٦هـ.
- ٧٢- المهذب البارع، جمال الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن فهد، الحلي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق: الشيخ مجتبی العراقي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، ١٤٠٧هـ.
- ٧٣- المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف، أبو منصور، أحمد بن علي بن أبي طالب، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، حققه وقابله: جمع من الأساتذة، وراجعه السيد مهدي الرجائي، مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٧٤- موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف: جعفر الشبكاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، اعتماد - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٧٥- الناصريات، علي بن الحسين بن موسى، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، مديرية الترجمة والنشر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧٦- نقد الرجال، مصطفى بن الحسين، الحسيني، التفرشي (ت ١١هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر

- أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤هـ.
- ٧٨- النهاية ونكتها، أبو جعفر، محمد بن الحسن، الطوسي - أبو القاسم، جعفر بن الحسن، الحلي (ت ٤٦٠هـ - ٦٧٦هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، المشرقة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٧٩- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد، الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٩٧٣م.
- ٨٠- مغني المحتاج، محمد بن أحمد، الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ٨١- الهداية في الأصول، تقرير بحث السيد الخوئي للشيخ حسن الصافي، الأصفهاني (ت ١٤١٣هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٨٢- الوافي، محمد محسن، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: ضياء الدين الحسيني، العلامة، الأصفهاني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- ٨٣- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، المشرقة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٨٤- الوسيلة، أبو جعفر، محمد بن علي، ابن حمزة الطوسي (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، إشراف: السيد محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨٥- مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين (ت ١٣٩٩هـ)، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

التَّوْزِيعُ الجُغْرَافِيُّ لِلْمَزاراتِ الدِّينِيَّةِ في مَدِينَةِ البَصْرَةِ

The Geographical Distribution of Religious
Sanctuaries in Basra

الباحث: محسن ربيع غانم

Researcher: Mohsen Rabih Ghanem

ملخص البحث

تمتاز مدينة البصرة الحالية بنسيجها العمراني القديم، بخاصة في مركزها منطقة (البصرة القديمة والعشار)، التي تُعدّ النواة الأولى التي تجمعت فيها الأحياء السكنية ومسجدها القديم جامع الكوّاز، الذي يمثل علامة بارزة فيها؛ إذ يحتضن قبر (محمد أمين الكوّاز)، الذي سُمّي الجامع باسمه، وغيره من المراقد، والمقامات، والخطوات، والمزارات، التي شكّلت بمجموعها مظهرًا يعكس تلاحم أبناء المدينة، وعبرّت عن روح التسامح الديني والتعايش السلمي، الذي كان السمة البارزة لمدينة امتدّ عمرها إلى خمسة قرون، منذ عام (١٥٥٦م) وحتى عصرنا الراهن، وهو ما نسعى إلى إبرازه في هذا البحث من خلال دراسة المزارات الموجودة في مدينة البصرة، من جهة توزيعها الجغرافي.

Abstract

The city of Basra is distinguished by its old-style architecture, especially in its center (Old Basra and Ashar), around which the residential areas were set up. There is the city's old well-known mosque, Al-Kawwaz, that has the tomb of Mohammad Ameen Al-Kawwaz. The city embraces also burials, shrines, and other religious places that reflect the close connection among the inhabitants of the city, the religious tolerance and peaceful coexistence. These features have been distinctive characteristics of the city whose present entity continued more than 5 centuries. The present study will focus on sanctuaries of Basra based on its geographical distribution.

مقدمة

تُعَدُّ المزارات من الموارد السَّيَّاحِيَّةِ المِهْمَّةُ التي تُسهم بشكلٍ كبيرٍ في دعم الاقتصاد الوطنيِّ إذا توافرت مستلزمات الرِّعاية والاهتمام، وتضافرت الجهود، وتحقَّق التعاون المشترك بين المؤسَّسات الحكوميَّة ومؤسَّسات المجتمع المدنيِّ التي أخذت تؤدِّي دوراً فاعلاً في الحياة العامَّة.

هدفُ البحث

يهدف البحث إلى إبراز صورة التَّوزيع الجغرافيِّ للمزارات في مدينة البصرة عبرَ تسليط الضَّوء على العوامل الجغرافيَّة الطبيعيَّة والبشريَّة التي أثَّرت في هذا التَّوزيع.

فرضيَّةُ البحث

- ١ - تمتلك مدينة البصرة من الإمكانات الطبيعيَّة والبشريَّة ما يؤهلُّها لأن تكونَ منطقة جذب للسَّياحة الدِّينيَّة من خلال وجود المزارات والمراقد التي تتوزَّع فيها توزيعاً جغرافياً في جميع أقصيتها.
- ٢ - تستطيع مدينة البصرة أن تكونَ أنموذجاً للتَّسامح الدِّينيِّ، والتعايش السَّلميِّ، ومثالاً يُحتذى به للمحافظات الأخرى عبرَ ما تمتلكه من مزارات ومراقد وأضرحة ومقابر، لطوائف مدينة البصرة المختلفة.

أهمّية البحث

١- إذكاء مبدأ روح التسامح الديني، والتعايش السلمي، التي كانت سائدة في مدينة البصرة من خلال احتضانها العديد من مرقد الصّحابة والأولياء، فضلاً عن وجود مقامات ومزارات تابعة للواقفين الشيعي والسني، ومقابر للطوائف الأخر.

٢- رفد المكتبات ببحوث تُعنى بدراسة المزارات، وفتح الباب أمام الدّراسات الأكاديميّة للعناية بدراسة موضوع المزارات؛ إذ إنّها تُعاني من عدم الاهتمام بدراستها والتوجّه نحوها، وافتقار المكتبات لهذه الموضوعات، بخاصّة الدّراسات الجغرافيّة.

٣- الإهمال الواضح من قبل الجهات الحكوميّة للمزارات، على الرّغم ممّا تشكّله من أهميّة اقتصاديّة ونفسيّة وسياحيّة وأمنيّة؛ إذ إنّ العديد منها قد شكّل عنصر أمانٍ للخائفين والأجئین من ويلات الحروب والضّغوط النفسيّة عبر الأزمنة المختلفة.

منهجية البحث

تقوم منهجية البحث على (المنهج التاريخي) عبر متابعة سير الأحداث التاريخيّة، والمراحل التي مرّت بها عمليّة تطوّر المزارات، والسيرة الذاتية لأصحاب المقامات والخطوات ومرقد الصّحابة، ما أمكن إلى ذاك من سبيل، وحسب المتوافر من المعلومات، التي يتمّ الحصول عليها من المكتبات، وهي معلومات فقيرة لبعض المزارات وأصحابها، واعتمد البحث -أيضاً- على

الدّراسة الميدانيّة؛ للتعرف عن كثبٍ على أحوال المزارات، وما تعانيه من إهمالٍ واضحٍ، ولقاء المتولّين والقائمين على إدارة شؤونها، ومراجعة الدّوائر ذات العلاقة، التي منها: المزارات الشّيعيّة، والوقف السّنيّ، والوقف المسيحيّ، والأقليات الأخر، كذلك تمّ استعمال تقنية نظام التحديث الأرضيّ (G.P.S) في رصد التّوزيع الجغرافيّ للمزارات، ونظام المعلومات الجغرافيّة، المتمثّل بإدخال البيانات التي تمّ الحصول عليها من الدّراسة الميدانيّة، واستخدام الكاميرا الفوتوغرافيّة لتوثيق صور هذه المزارات.

المبحثُ الأولُ

مقوّماتُ الاستثمارِ السّياحيِّ للمزاراتِ في مدينةِ البصرة

تُعَدُّ السّياحةُ الدّينيّةُ حاجةً نفسيّةً وروحيّةً واجتماعيّةً كامنةً في الفرد، يتمُّ إشباعها من خلال الأماكن المقدّسة، وأداء الشعائر فيها، وغالباً ما تُمارس هذه الزّيارات الدّينيّة بطابعٍ جماعيٍّ^(١). ولمدينة البصرة الكثير من المقوّمات التي تجعلها مهيّأةً لأن يُستثمر فيها في مجال السّياحة الدّينيّة، منها وجود المزارات الأثريّة والتّراثيّة، مثل: مقام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، وعليّ بن يقطين، اللّذان يُعدّان من الآثار الإسلاميّة المهمّة.

أولاً: المقوّماتُ الجغرافيّةُ الطّبيعيّةُ

١-الموقعُ الجغرافيُّ

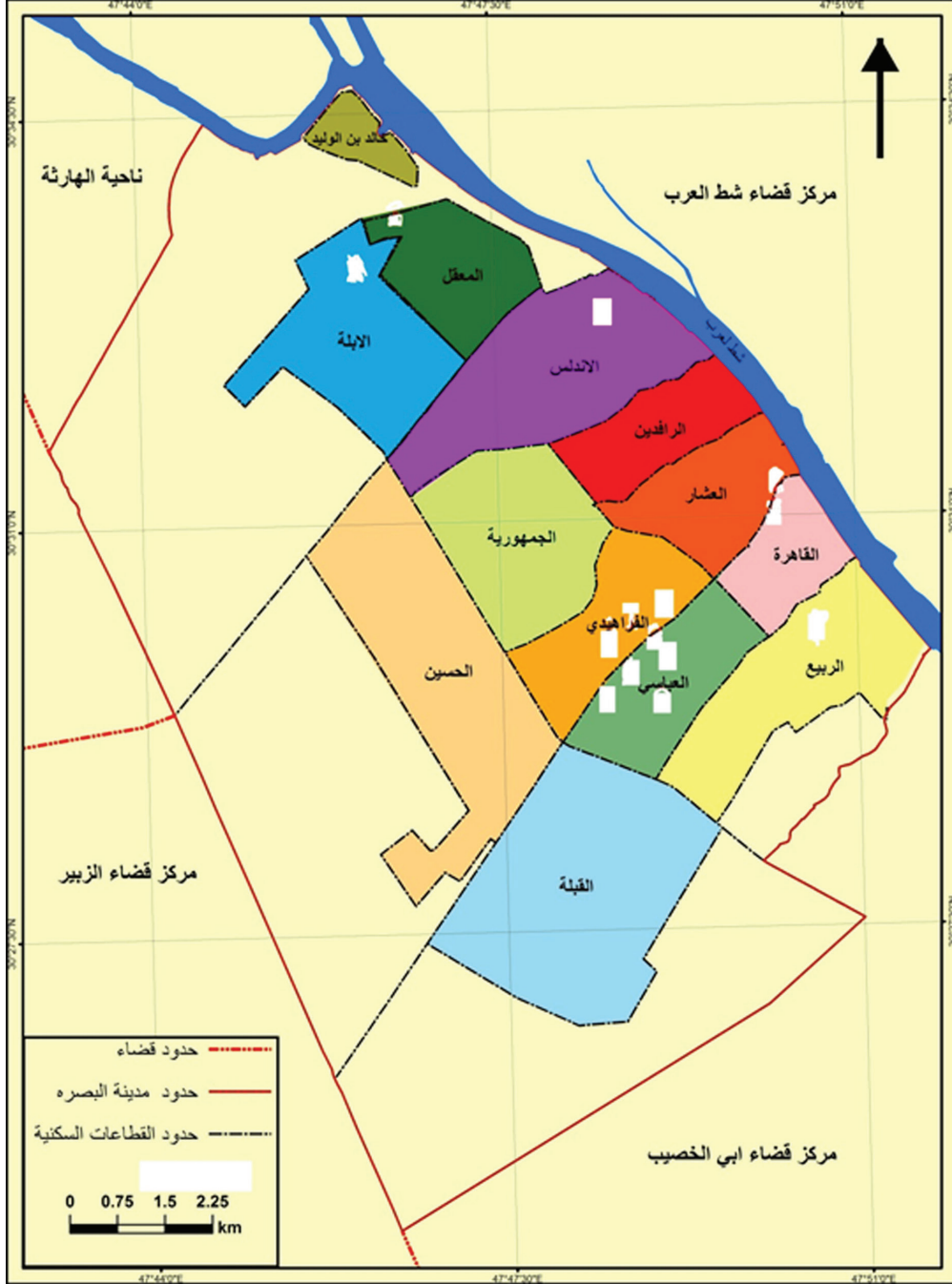
يمثّل الموقعُ الجغرافيُّ أهمَّ عناصر البيئة الطّبيعيّة التي لها الأثر الواضح والكبير في تشكيل خصائص أيّ نشاطٍ ورسم شخصيّته، فضلاً عن كونه عاملاً أساسيّاً في إظهار الموقع الفلكيّ من ناحية الموقع، بالنّسبة إلى دوائر العرض وخطوط الطول لأيّ منطقة، ومن ثمّ، فإنّ لهذه المؤثرات دوراً في إبراز الظروف المناخيّة لأيّ منطقة في العالم، ومدينة البصرة تمتدُّ بين دائرتي عرض (٣٣- ٣٠ - ٣٤°) شمالاً، وخطّي طول (٥١° - ٤٧° - ٥٦°) شرقاً، وتشغل مساحة

قدرها (٢٧٠ كم^٢)^(٢). أمّا حدود منطقة الدّراسة، فيحدّها نهر كرمة عليّ شمالاً، وقضاء أبي الخصيب جنوباً، وشطّ العرب شرقاً، وقضاء الزُّبير غرباً [خريطة (١)].

وتأثّرت منطقة الدّراسة من ناحية موضعها بالخصائص الطّبيعيّة الفريدة، التي انعكست على مجمل الفعاليّات والأنشطة المختلفة، ومنها النّشاط السّياحيّ، ولاسيّما في مجال السّياحة الدّينيّة، إذا ما علمنا بأنّ بعض المزارات في مدينة البصرة تقع على شطّ العرب و الأنهر المتفرّعة منه، مثل مقام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، الذي يقع في حيّ المقام يفصله الشّارع الذي يربط العشار بالبصرة القديمة. ومقام الخضر الذي يقع على نهر العشار من طرفه الجنوبيّ الغربيّ، والسّيّد الجليل ظاهر بن عليّ في منطقة الجبيلة على مقربة من شطّ العرب، كما سيرد ذكره.

خريطة (١)

الوحدات الإدارية في مدينة البصرة



المصدر: من عمل الباحث.

٢- الخصائص المناخية

للمناخ أهمية في التأثير في النشاط السياحي عبر خصائصه المختلفة، ومناخ البصرة هو انعكاس لظروف الموقع الجغرافي؛ إذ تنماز المدينة بارتفاع درجات الحرارة، ويتضح من جدول (١) أن المعدل السنوي لدرجات الحرارة بلغ (٣٢، ٦م)، ينخفض إلى (١٣م) في شهر كانون الثاني، بينما يرتفع إلى (٣٦، ٥م) في شهر تموز، أما الرطوبة النسبية، فهي الأخرى تزداد، وبخاصة في فصل الشتاء؛ إذ بلغت خلال شهر كانون الثاني (٣٠، ٧١٪)، في حين كانت في شهر تموز (٢٩، ٢٪). إن الرطوبة هي حصيلة تكرار هبوب الرياح، وبخاصة الرياح الشمالية الغربية، التي تغلب على مدينة البصرة، وتأخذ سرعتها بالازدياد خلال أشهر الصيف النظري (حزيران، تموز، آب)؛ إذ بلغت (٥، ١، ٥، ٤، ٤م/ثا)، وكذلك الرياح الغربية، والرياح الجنوبية الشرقية، التي تكون ذات تأثير سلبي، بخاصة عندما تكون محملة بالرطوبة، أما المعدل الشهري لدرجات الحرارة لشهر أيلول، فقد بلغ (٣٣، ٥م).

إن العوامل المناخية تؤثر سلباً على هيكل المبنى من خلال تآكل أو استهلاك أجزاء كثيرة من المبنى^(٣)، وفي منطقة الدراسة يتبين أثر العوامل المناخية بصورة واضحة، فقد أظهرت الدراسة الميدانية لمرقد (ياصف بن علي) وجود تساقط الطلاء بصورة واضحة على الجدران، كما في صورة (١)، ووجود التشققات على الجدران - أيضاً - لمرقد (خليفة بن علي) في منطقة البراضعية، كما في صورة (٢). وتُعاني المزارات في مدينة البصرة من عدم وجود وسائل تبريد كافية؛ إذ تتوافر داخل الضريح فقط، وهي لا ترتقي إلى المستوى المطلوب، ولوحظ خلال

الدِّراسة الميدانيَّة - لاسيَّما يوم الجمعة ووجود الزائرين - أنَّ بعض المزارات مسقَّفة بالصَّفيح، مثل: مزار (السَّيِّد ظاهر بن عليّ)، ما يخلق بيئة غير مريحة، لاسيَّما إذا ما علمنا أنَّ من بين الزَّائرين أطفالاً ونساء ورجالاً كباراً، ما يستوجبُ وجود وسائل تبريد مركزيَّة في المزارات، وتحسين شبكة الكهرباء وبخاصَّة بعد أن توسَّعت مساحتها، فضلاً عن أنَّ المنطقة تشهد ارتفاعاً غير مسبوقٍ في درجات الحرارة، ونحنُ نعلم كيف تمثِّل المزارات مورداً مهمَّاً من موارد الثَّروة في البلد.

جدول (١)

الخصائص المناخية لمدينة البصرة للمدة (١٩٧٠-٢٠١٢م)

الأشهر	طول النهار الفعلي / ساعة	كمية الإشعاع الشمسي سعره / سم ^٢ / يوم	معدل درجات الحرارة / م	سرع الرياح م / ثا	كمية الأمطار الساقطة / ملم	الرطوبة النسبية ٠ / ٠	معدل التبخر (ملم)
كانون الثاني	٦,٦	٢٧٤,٤	١٣	٣,١	٣٤,٩	٧١,٣	٦٤,٢
شباط	٧,٧	٣٢٩,٩	١٥,٢	٣,٣	٢٠,٠	٦١,٤	٩٣,٢
آذار	٧,٩	٤٣٧,٢	١٩,٧	٣,٧	٢١,٣	٥٢,٦	١٦٤,٠
نيسان	٨,٥	٤٨٠,٦	٢٦,٣	٣,٩	١٣,٤	٤٤,٤	٢٤٧,٠
مايس	٩,٨	٥٢٢,٧	٣١,٣٥	٤	٣,٠	٣٣,٧	٣٥٩,٥
حزيران	١١,٥	٥٥٣,٧	٣٤,٨٥	٥,١	٠,١	٢٨,٥	٤٣٨,٢
تموز	١١,١	٥٤٩,٣	٣٦,٥	٥	٠,٠	٢٧,٢	٤٦٧,٨
آب	١١	٥٣٦,٤	٣٦,٣	٤,٤	٠,٣	٢٩,٢	٤٠٨,٤
أيلول	١٠,٤	٤٦٩,٧	٣٣,٥	٣,٦	٠,١	٣٢	٣٢٥,٤
تشرين الأول	٩	٣٩١,٦	٢٨,٠٥	٢,٨	٥,٨	٤٢,٧	٢١٣,٦
تشرين الثاني	٧,٦	٢٦٠,٢	٢٠,٣	٣	١٤,٣	٥٦,٣	١١٣,٦
كانون الأول	٦,٩	٢٥٤,٥	١٤,٤	٢,٩	٢٩,٣	٦٩,١	٥٩,١
المعدل السنوي المجموع		٤٢١,٦	٣٢,٦	٣,٧	١٤٢,٥	٤٥,٧	٢٩٥٤

المصدر من عمل الباحث بالاعتماد على:

وزارة النقل، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بغداد، ٢٠١٣م

صورة (١) مرقد ياصف بن عليّ، ويظهر تساقط الصَّبغ بصورة واضحة على الجدران



التقطت الصُّورة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٤ / ٨ / ٢٠١٥م).

صورة (٢) مرقد (خليفة بن عليّ) في منطقة البراضعية، وتوضُّح التشقُّقات على الجدران



التقطت الصُّورة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٤ / ٨ / ٢٠١٥م).

ثانياً: المقومات الجغرافية البشرية

١- التركيب السكاني

تُعَدُّ دراسة السُّكَّان وأنماط تركيبهم من المقومات المهمَّة في إنجاح السَّياحة الدِّينية، إذ تتوقَّف الآثار السُّكَّانيَّة للسَّياحة على طبيعة الأفراد الذين يمارسون هذا النِّشاط، وتُعَدُّ إحدى الدِّعامات الأساسيّة في توفير فرص العمل، والحدِّ من نسبة البطالة في المجتمع^(٤).

إنَّ حجم السُّكَّان تزايد عبْرَ مراحل التطوُّر التَّاريخيِّ، وربَّما تضاعف في بعضها نتيجة الزَّيادة الطَّبيعيَّة والهجرة، وكان للهجرة أثرٌ واضحٌ في السَّنوات الأخيرة، وبوصف مدينة البصرة من مراكز الجذب السُّكَّاني نتيجة تحسُّن الوضع الأمنيِّ نسبياً، فذلك ما وفَّر بيئة مناسبة للعمل في مجال قِطَاع السَّياحة إذا ما أُحسِنَتْ إدارته بالشَّكل الصَّحيح، وأولتِ الدَّولة هذا القِطَاع العناية الكافية؛ لأنَّه مِفصل حيويٍّ ومهمٌّ من مفاصلها؛ لما يُحدث من تغيُّرات ثقافيَّة وسلوكيَّة، ويُسهِّم في تحوُّلات في التركيب العمريِّ والنَّوعيِّ والاقتصاديِّ، وما يخلقه ذلك من تطوُّر ورقيٍّ للمجتمعات، ورفع مستواها الحضاريِّ.

ويُعَدُّ التركيب العمريُّ للسُّكَّان من العناصر المؤثِّرة إيجابياً في المجال السَّياحيِّ، لاسيَّما الفئة النِّشطة اقتصادياً (١٥-٦٤)؛ إذ إنَّ ارتفاع النِّسبة المئويَّة لهذه الفئة يُسهِّم -وبشكلٍ كبيرٍ- في رفد النِّشاط السَّياحيِّ بما يحتاجه من الطَّاقات والقوى العاملة، وفي مدينة البصرة بلغت نسبة الفئات العمريَّة النِّشطة اقتصادياً

(٥٥, ٤٪)^(٥)، وهي أعلى نسبة من الفئات الأخرى، ما يجعل البصرة قادرة على القيام بنشاط سياحيٍّ، واستثمار ما موجود فيها من مزارات بعد تطوير البنى التحتية لها والخدمات.

يتبيّن من الجدول (٢) الحجم السكّاني في مدينة البصرة بحسب القطاعات وحسب تقديرات (٢٠١٤م)؛ إذ بلغ عددهم بمختلف مستوياتهم التعليميّة (١١٥٧٩٧) لعام (٢٠١٤م)^(٦). إنّ حجم السكّان يسمح بتوفير العامل البشريّ في مجال القطّاع السياحيّ، لاسيّما في مجال السّياحة الدّينيّة، وإنّ له القدرة على الترويج للعديد من الأنشطة المرتبطة به، التي تُقدّر بـ (٥٢ صناعة وخدمة)، وتُشير الدّراسات إلى أنّ كلّ غرفة فندقية توجد (٧٥, ٢) فرصة عمل في مجالات متنوّعة^(٧). وبلغ مجموع المرافق السّياحيّة في البصرة (٦٠) مرفقا سياحيّا، وبمجموع (٢٠٨٠) غرف فندقية، و (١٩٣٢) غرفة للنّزلاء، و (١٤٨) غرفة أخرى^(٨).

ويُعدّ التركيب التعليميّ عاملاً مهماً في أيّ مدينة؛ لأنّه يمثّل الوجه الثقافيّ المميّز لها، والتمثّل في وفرة المدارس والمعاهد، وانعكاسه في ارتفاع عدد المتعلّمين^(٩). وتبرز أهميّة دراسة التركيب التعليميّ في أنّه يؤدّي إلى معرفة عدد السكّان الذين يكونون ضمن سنّ التعليم بحسب المراحل الدّراسيّة في المدينة، وانعكاس ذلك على معرفة حمّلة الشّهادات الدّراسيّة للفئات العمريّة كافّة، وأعداد الخريجين مستقبلاً، الذين يقع على كاهلهم البناء التنمويّ للمدينة وإقليمها؛ لذلك يُعدّ التعليم من الرّكائز الأساسيّة للتنمية الاجتماعيّة، وهو وسيلة للثروة والطّاقة^(١٠)، فضلاً عن انعكاسات ذلك في مجال النشاط السياحيّ، من خلال رّفد هذا القطّاع

بما يحتاجه من أصحاب الشَّهادات الأكاديميَّة؛ لأنَّ التعليم يُظهر الوجه المشرق والحضاريَّ لأيِّ مدينةٍ، ويحسِّن المستوى الثقافيَّ لها؛ ولأنَّ الزائر أو القاصد للمزارات يحتاج إلى ما يسمَّى بأسلوب فنِّ التعامل مع الآخرين.

جدول (٢) الحجم السُّكَّانيَّ لمدينة البصرة بحسب القطاعات حسب تقديرات (٢٠١٤م).

ت	القطاع	تقديرات (٢٠١٤م)
١	قطاع الخليج	٢٨٩٢٠١
٢	قطاع المعقل	٢١٧٩٧١
٣	قطاع العشار	١٩٤٩٤٨
٤	قطاع الرباط	١٧٦٤٥٨
٥	قطاع الخورة	١٥٩١٥٥
٦	قطاع القبلة	١٥٥٣٣٨

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائيَّة، إحصاء السُّكَّان والقوى في محافظة البصرة (٢٠١٤م).

٢- الجانب الاقتصادي

يُعدُّ الجانب الاقتصاديَّ من العوامل المهمَّة والأساسيَّة في إنجاح قطاع السَّياحة الدَّينيَّة في البصرة، التي تمتلك الكثير من الموارد الاقتصاديَّة، وفي طليعتها النفط، الذي من الممكن أن يكون عاملاً مهماً وحيويّاً في رفد السَّياحة ودعمها في البصرة، ولما كانت الحكومتان المركزيَّة في بغداد والمحليَّة في البصرة تعيشان حالة التقشُّف والاعتماد على الاقتصاد أحادي الجانب وهو النفط، فإنَّ للنَّشاط

السياحيّ الدور الكبير في تحقيق الإيرادات التي تُساعد في إنعاش الميزانية، من خلال العناية بالمزارات وتأهيلها التي تمثل جزءاً من السياحة الدينية. بلغت إيرادات الفنادق للمحافظة لسنة (٢٠١١م) (٢٣٢٦٤٨٦٧) (ألف دينار)^(١١). وقد بلغ عدد الفنادق (٦٠) فندقاً، موزعة حسب الدرجات (٢) درجة ممتازة، و (٤) درجة أولى، (١٤) درجة ثانية، (٦) درجة ثالثة، (٥) درجة رابعة، (٢٩) درجة خامسة^(١٢).

إن معرفة جنسيّات الزائرين الذين يقصدون الزيارة -مثلاً- له دور كبير في معرفة التنوع الطائفي، وما يعكسه من خلق روح التسامح والتعايش السلمي، فقد بلغ مجموع النزلاء في فنادق البصرة لسنة (٢٠١١م) (٢٣٩٧٦١)، وهؤلاء يحملون جنسيّات مختلفة، فالعراقيون كان عددهم لسنة (٢٠١١م) (٢٢٤٦٧٩)، والعرب (٦٢٩٩)، والأجانب (٨٧٨٣)^(١٣) [جدول رقم (٣)]. أمّا مؤشّر المطاعم والمقاهي والكازينوهات، فهي -أيضاً- من الخدمات الاجتماعية التي يجب توافرها للزائرين، فيتبيّن من جدول (٤) أنّ عدد العاملين في هذه الخدمات لسنة (٢٠١١م)، بلغ (١٩٣٢)، منهم (١٥٩٥) عاملاً في المطاعم، و (٢١٦) عاملاً في المقاهي وأكشاك الشاي، و (٢٠) عاملاً في الكازينوهات، و (٨٥) عاملاً في مطاعم الجمعيات والنوادي، أمّا العاملين في محلات الشطائر والبوفيات والوجبات السريعة، فقد كان (١٦) عاملاً، في حين بلغ عدد المنشآت لسنة (٢٠١١) (٣٥٤) منشأة، وهي موزعة على: (٢٥٣) من المطاعم، و (٧٢) المقاهي وأكشاك الشاي، و (٥) من الكازينوهات، و (١٧) من مطاعم الجمعيات والنوادي، و (٧) من محلات الشطائر والبوفيات والوجبات السريعة،

جدول (٥)، وكانت قيمة الإيرادات التي حققتها هذه المنشآت (٤٩٠٨٤٠٠)، حققت الكازينوهات إيراداً بلغ (٤٥١٠٠)، أمّا قيمة ما حقّقه المقاهي وأكشاك الشاي من إيرادات، فقد كان (٨٢٢٠٠٠)، في حين كانت الإيرادات المتأتية من المطاعم (٣٧٨٦٢٠٠)، والإيرادات من مطاعم الجمعيات والنوادي (٢٢٩٥٠٠)، والإيرادات من محلات الشطائر والبوفيات والوجبات السريعة كانت (٢٥٦٠٠) (١٤).

إنّ مقارنة بسيطة بين مدينة البصرة ذات الإرث الحضاري والعمق التاريخي، وبين المنشآت الخدمية التي تحتاجها الزيارة عند المناسبات الدينية تضعنا أمام تساؤل عن سبب قلة عدد هذه المنشآت؟ وحاجة المدينة التاريخية للمزيد منها، فمن الضروري الالتفات إلى هذا المرفق الحيوي، قطاع السياحة، لاسيّما السياحة الدينية.

جدول (٣) النزلاء في محافظة البصرة لسنة (٢٠١١م) بحسب جنسياتهم

ت	النزلاء	عدد
١	العراقيون	٢٢٤٦٧٩
٢	العرب	٦٢٩٩
٣	الأجانب	٨٧٨٣
٤	المجموع	٢٣٩٧٦١

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية، إحصاء السكّان والقوى في محافظة البصرة (٢٠١١م).

التوزيع الجغرافي للمزارات الدينية في مدينة البصرة

جدول (٤) عدد العاملين في الخدمات الاجتماعية

ت	الخدمات الاجتماعية	عدد العاملين
١	المطاعم	١٥٩٥
٢	المقاهي وأكشاك الشاي	٢١٦
٣	الكازينوهات	٢٠
٤	مطاعم الجمعيات والنوادي	٨٥
٥	المجموع	١٩١٦

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية، إحصاء السكّان والقوى في محافظة البصرة (٢٠١١م).

جدول (٥) عدد العاملين في المنشآت لسنة (٢٠١١م)

ت	المنشآت	عدد العاملين
١	المطاعم	٢٥٣
٢	المقاهي وأكشاك الشاي	٢١٦
٣	الكازينوهات	٢٠
٤	مطاعم الجمعيات والنوادي	٨٥
٥	محلات الشطائر والبوفيات والوجبات السريعة	٧
	المجموع	٥٧٤

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية، إحصاء السكّان والقوى في محافظة البصرة (٢٠١١م).

٣- المقومات التاريخية

تُعدُّ البصرة واحدةً من المحافظات التي تمتلك إرثاً حضارياً وثقافياً كبيراً، وهي امتدادٌ للبصرة التي تشرفت بقُدوم سيّد الوصيّين الإمام عليٍّ عليه السلام، فبعد مجيء الإمام عليٍّ عليه السلام إلى البصرة، بدأت الحركة الثقافيّة وبوجهٍ جديدٍ؛ إذ استقرَّ الإمام في البصرة عدّة أشهرٍ، وألقى على أهل البصرة في مسجدها عدّة خطبٍ في مسائل متفرّقة، وقام بأهم إنجازٍ اقتصاديٍّ، وهو ضربُ أوّل عملة عربيّة إسلاميّة في البصرة، وبعدها ولّى عبد الله بن عبّاس على المدينة، فبدأت الحركة الثقافيّة تتطوّر، إلى أن أصبحت البصرة السّبّاقة في مختلف العلوم والمعارف، التي شعت بنورها على العالم؛ لما تتمتع به من موقعٍ جغرافيٍّ مميّز كشف عن الإبداعات العلميّة التي أسهم بها علماؤها في العصور المختلفة، وانطلقت من مسجدها الجامع؛ فأبو الأسود الدؤليّ في علم النّحو، والخليل بن أحمد الفراهيديّ في العروض، وفي الكلام واصل بن عطاء مؤسّس الاعتزال، وفي الفلسفة الكنديّ أوّل فيلسوف عند العرب، وابن سعد وخليفة بن خياط في التّاريخ، وفي علم البصريّات نجد ابن الهيثم، إلى غير ذلك ^(١٥).

ويذكر أنّه بسببِ الظروف الصّعبة التي مرّت بها المدينة، ومنها ما يتعلّق بالعامل الجغرافيّ وانقطاع المياه، ما اضطرّ السّكّان إلى الهجرة للبصرة الحاليّة، ويحمل لنا الشّيخ عبد القادر باش أعيان العبّاسيّ في كتابه (موسوعة تاريخ البصرة)، الظروف التي دفعت السّكّان إلى الهجرة من البصرة التي بناها عتبة بن غزوان سنة (١٤هـ) إلى موقعها الحاليّ.. يقول: «انقطاع المياه عنها، أي: البصرة، فقد كان يشقّها نهر رئيس يأتيها شمالاً من نهر معقل، وجنوباً نهر الأُبلة».

فضلاً عن أنَّها كانت متنزَّهاً صيفياً يرتاده الأكابر من النَّاسِ والتَّجَّار من أهالي المدينة، لاسيَّما بعد تعرُّض البصرة إلى حوادث دموية من ثورة الزنج، وقد كانت على شكل قرية صغيرة^(١٦).

ويذكر أحد الباحثين أنَّ هجرة السُّكَّان كانت على شكل مجموعاتٍ صغيرة وبسيطةٍ في بادئ الأمر، ولأكثر من موقعٍ في شرق مدينة البصرة وجنوبها الشرقي، منها: قرية ذراع، ومحلات المشراق، والقبلة، ومقرِّ حكم إمارة آل مغامس في محلة الديوانية (محلة الباشا فيما بعد)، تعود إلى العقود الأولى من القرن الخامس عشر الميلادي. وكان لبعض الأسر، منها: أسرة آل مغامس (آل راشد الطَّوال)، وأسرة آل عبد السلام، والأسرة الرفاعية، الدور الكبير في هجرة السُّكَّان، فقد مهَّدوا لبناء المدينة بشكلٍ تدريجيٍّ، حتَّى أصبحت في منتصف القرن السابع عشر الميلادي مدينةً بارزة^(١٧).

فيما يذكر باحث آخر أنَّ حركة الانتقال إلى البصرة الحالية كانت بقيادة أسرة آل باش أعيان العباسي، التي استوطنت البصرة القديمة لمدة تقرب من ثلاث قرون، في حدود عام (٨١٠هـ - ١٤٠٧م) برئاسة عميدها -آنذاك- الشيخ (علي الساري ابن الشيخ أحمد شهاب الدين ابن الشيخ محمد)، نتيجة العوامل السَّالفة الذكر، وكان ممَّا أسهمت به هذه الأسرة هو ما قام به أحد أجدادها، ويُدعى الشيخ (ساري بن حسن) ببناء جامع كبير في محلة المشراق، عُرف بجامع الكوَّاز، نسبةً إلى محمد أمين الكوَّاز، عام (١٥١٤م)، ودُفِنَ فيه.

ومدرسة في محلة المشراق عُرفت باسم (المدرسة الأحمديَّة)، قام الشيخ أحمد بن درويش بن أنس المتوفى سنة (١٢١٠هـ / ١٧٩٦م)، ومدرسة نمونة

ترقي، قام الشيخ محمد أمين غالي بن عبد الله ضياء الدين بتأسيسها عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، أتبعها عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م) بمدرسة أخرى هي مدرسة التهذيب، شُيِّدت على أرض تبرّع بها لهذا الغرض^(١٨).

وخلال المدة التي استوطنت بها هذه الأسر، مرّت المدينة بفتراتٍ عصيبة، فما إنْ انتهت من حُكم ولاية متسلّطين حتّى تُبتلى بآخرين^(١٩)، بيد أنّها وبالرغم من ذلك، شهدت فترات رخاءٍ اقتصاديٍّ أثر في مجمل الحياة فيها، لاسيّما الحياة الثقافيّة، فمن مدينة ناشئة في بداياتها وعبارة عن قلعة صغيرة وسط البساتين، قام أمراء آل مغامس ببنائها، مطلقين عليها (الديوانيّة)، حتّى ازدادت فيها المحلّات عدداً وانتشاراً، وأصبح لها سور وأربعة أبواب.

وخلال المدة التي احتلّت بها المدينة من العثمانيّين بقيادة (سليمان القانوني) عام (١٥٣٥م)، شهدت تحوُّلات كثيرة، منها: حصولها على مركز الأيالة (لواء) العثمانيّة، التي لم تحصل عليها إلّا بعد عام (١٥٥٢م)، واستمرّت بعد السّيطة العثمانيّة، وقسمت البصرة حينها إلى ثمانية أولية، وأخذت بالازدياد حتّى ضُمَّت إليها مناطق شمال البصرة، وتوسّع العمران فيها خلال فترات الاستقرار النسبي، لاسيّما في عهد إمارة أفراسياب (١٥٩٦-١٦٦٨م)، وشهدت بناء قلاع وأسوار لم تشهدها حتّى الحقب اللاحقة من حكم العثمانيّين.

فضلاً عن بناء المؤسسات الحكوميّة، منها مقرّ الولاية العثمانيّين أطلق عليه (السّراي)، أو ما يُسمّى بـ(حوش الباشا)، الذي يقع بحدود كيلو متر إلى الشّمال من محلة الديوانيّة، التي أُعدّت مركزاً لحكم آل مغامس على الضّفة الجنوبيّة الشرقيّة من نهر العُشّار، على بعد ستّة كيلو مترات من ضفّة شطّ العرب، وميناء

السراجي؛ إذ كان ميناء البصرة الرئيس منذ القرن السادس عشر، وحتى القرن التاسع عشر، تدخل إليه السفن محملة من الخليج والهند بالبضائع والسلع والتُّمور والخيول، لشحنها إلى تلك الدول، والمنشآت الدينية، وأهمها جامع الكوّاز^(٢٠)، الذي ورد ذكره آنفاً، كذلك الأسواق والخانات والحمامات، حتى غدت المدينة تعيش حالة من الرقي والتقدم في كل مفاصل حياتها، وشكّلت هذه المدّة ابتداءً من استقرار أسرة آل باش أعيان (١٤٠٧م)، وحتى سنة (١٩١٤م) العمق الحضاري والتاريخي للبصرة، كما بين أحد الباحثين، الذي قام بتقسيم المراحل التي مرّت بها المدينة، وهي ثلاث مراحل، المرحلة الأولى بدأت من (١٤٠٠-١٩١٤م)، وتعدّ أطولها، وأكثرها أهميّة؛ إذ تشكّلت فيها ملامح المدينة الناشئة، وامتدّت قرابة خمسة قرون ونصف، حملت في طواياها التراث المعماري والحضاري للمدينة، وهي تعكس التطوّرات اللاحقة^(٢١)

٤- مقوّمات الأمن

ومن المقوّمات المهمّة والضروريّة في إنجاح السيّاحة الدّينية وتشجيعها، شعور الزائر أو السائح القاصد لزيارة المشاهد المباركة بتوافر عامل الأمن، فقد لاحظنا مثلاً تخوّف كثير من الزوّار القاصدين لزيارة العتبات المقدّسة بخاصّة بعد التغير في عام (٢٠٠٣م)؛ إذ اقتصرّت زيارتهم على السّفر بالطائرات أو غيرها من وسائل النقل الأخر، فضلاً عن جلب كلّ ما يحتاجون إليه من المؤن، وبخاصّة في الزيارة الأربعينيّة، ولكن -وبعد أن تبدّدت مخاوفهم، وشعروا بالأمان، وبدت الحالة عكس ما كان يهوّها الإعلام- بدأت أفواج الزائرين

تتري، والزائر يشاهد حالة الاستقرار الأمني، فأخذ ينقل الصور الحقيقية للبلاد التي يرجع إليها، عندها بدأت قوافل الزائرين بالتوجه صوب المراقد المقدسة، وبدلاً من أن يستقل وسائل النقل -وبخاصة في زيارة الأربعين- أخذ يمشي، وبدلاً من المشي من النجف إلى كربلاء، أخذ يمشي من البصرة إلى كربلاء، وهذا متأثراً من شعوره بالأمان.

وبالصرة واحدة من المحافظات الجنوبية التي تشهد استقراراً أمنياً؛ ولذا فإنها مهية لاستقبال هذه الحشود المليونية، التي تكون البصرة نقطة انطلاقها، سواء المنافذ الحدودية البرية، أو البحرية، أو الجوية، وقد لاحظنا العالم في العام (٢٠١٤م) عند زيارة الأربعين، وسماح الخارجية العراقية بدخول الزائرين من دون تأشيرة الدخول، وحصول حالات التدافع في تلك المنافذ، استطاع بعض منهم دخول الأراضي العراقية، والآخري بقي عالقاً فيها، وظهرت بهؤلاء الحاجة إلى تعريف بالمزارات والمراقد والأضرحة عن طريق إصدار دليل سياحي ليوزع بينهم، فمثلاً (المشاة) الذين ينطلقون من منفذ صفوان الحدودي، ستكون خطوة الإمام علي عليه السلام محطة استراحة لهم؛ لأن المسافة بين الخطوة والمنفذ (٣٠ كم)، وكذا الحال بالنسبة إلى القادمين من منفذ الشلاحة، فإن مقام علي بن موسى الرضا عليه السلام سيكون نقطة يتوقف عندها الزائر؛ إذ المسافة تزيد عن (٢٠ كم).

المبحثُ الثاني

التَّوْزِيعُ الجُغْرَافِيُّ لِلْمَزَارَاتِ فِي مَدِينَةِ البَصْرَةِ

تضمُّ مدينة البصرة العديد من المزارات، التي تقسَّم إلى مقامات وخطوات ومراقد، وتقع ضمن مسؤوليَّة المزارات الشَّيعيَّة، أمَّا المراقد (الأضرحة)، فهي تشمل أضرحة الأولياء والصَّالحين، وتتبع ديوان الوقف السُّنِّي ومقابر الطائفتين المسيحيَّة واليهوديَّة، التي تلحق بالوقف المسيحي، والأقليَّات [خريطة رقم (٢)]، وتتوزَّع بالشَّكل التالي على بعض مناطق مدينة البصرة.

أولاً: مقامُ الإمام عليِّ بن موسى الرُّضا عليه السلام

يقع جامع ومقام الإمام عليِّ بن موسى الرُّضا عليه السلام في حيِّ المقام في العشار مقابل نصب أسد بابل، ولا يفصله عن نهر العشار سوى شارع يربط العشار بالبصرة القديمة.

يُعدُّ مقام الإمام عليِّ بن موسى الرُّضا عليه السلام في البصرة من المواقع الدِّينيَّة المقدَّسة، ومن الآثار الإسلاميَّة والسَّياحيَّة المهمَّة في المحافظة، فمن خلال الدِّراسة الميدانيَّة والمشاهدة البصريَّة للمزار، تبَيَّن أنَّ تأريخه يرجع إلى سنة (١٩١هـ)، أي: قبل استشهاد الإمام الرُّضا عليه السلام بأربع سنين؛ فقد أرسل المأمون العبَّاسيُّ فرقة من الجيش لإحضار الإمام عليه السلام إلى خراسان، وكان الأمر أن يأتوا به من طريق البصرة، لا عن طريق الكوفة؛ لأنَّ فيها أنصاراً للإمام عليه السلام، فمروا به عن طريق البصرة؛ خوف الفتنة والانقلاب على المأمون، فأقام الإمام عليه السلام

خريطة (٢)

التوزيع الجغرافي للمزارات الدينية في مدينة البصرة



المصدر: من عمل الباحث.

في هذا المكان قرابة ستّة أشهر بعد ما اشترى الأرض، وعند رحيله أوقفها؛ إذ تمتدّ خارطتها الإقليميّة من شطّ العرب شرقاً إلى سوق حنّا الشّيخ غرباً، ومن نهر العُشّار جنوباً، إلى نهر الدّاكير والخذق شمالاً. وعند مقام الإمام الرّضا عليه السلام الحالي أقيم جامع صغير لصلاة الزائرين، وبقي متروكاً حتّى جاء العلامة السيّد باقر السيّد حسن الحكيم سنة (١٩٢٤م) الموافق (١٢٤٣هـ)، فقام بتجديده، وبقي يتجدّد حيناً بعد حينٍ على يد أسرة آل الحكيم. علماً أنّ السيّد باقر السيّد حسن السيّد حسين الحكيم كان أوّل خطيب وإمام لجامع المقام، وبقي فيه حتّى وفاته. وكان مجيؤه رحمته الله إلى البصرة بطلبٍ من المرجع الكبير آية الله العظمى السيّد أبي الحسن الأصفهانيّ لحلّ خلافٍ بين عائلتين كريمتين في البصرة، فوفّقه الله للإصلاح بينهما، فتمسّك أهل العُشّار به، وأصرّوا على بقائه، وعدم رجوعه إلى النّجف الأشرف.

وجاء من بعد السيّد باقر السيّد حسن آية الله العظمى السيّد محمّد سعيد السيّد محسن الحكيم، فكان إماماً وخطيباً لجامع المقام للفترة من (١٣٥٢هـ)، وحتّى وفاته (١٣٨٦هـ)، أمّا حُجّة الإسلام والمسلمين العلامة السيّد محمّد جواد السيّد محسن الحكيم، فكان إماماً وخطيباً في سنة (١٣٨٦هـ)، وحتّى سنة (١٤٠٣هـ)، ومن بعده جاء حُجّة الإسلام والمسلمين السيّد أحمد السيّد محمّد سعيد الحكيم، وأصبح إماماً وخطيباً للفترة من (١٤٠٣هـ)، وحتّى وفاته سنة (١٤٠٦هـ)؛ إذ قام بتجديد وتوسيع جامع المقام للمرّة الأولى، أمّا التجديد والتوسيع الثّاني، فكان من قبل حُجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد حسن السيّد محسن الحكيم، الذي أصبح خطيباً وإماماً لجامع المقام للفترة من (١٤٠٤م) وحتّى وفاته سنة

(١٤٢٧هـ). في الوقت الذي كان إمام وخطيب لجامع المقام من سنة (١٤٢٧هـ)، وحتى وفاته (١٤٣٥هـ) هو حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد صادق السيد محمد حسن الحكيم. وقد قام السيد بتأسيس مكتبة الإمام الرضا عليه السلام العامة، وتجديد وتوسيع جامع المقام للمرة الثالثة، أما المسؤول عن المقام حالياً، فهو معتمد المرجعية الدينية في النجف الأشرف السيد مثنى الحكيم^(٢٢).

ويشير الشيخ المطوري رئيس ديوان الوقف الشيعي سابقاً إلى وجود محلات تجارية، ودكاكين مستأجرة أيضاً، وهي عبارة عن أوقاف تابعة إلى هذا المكان بشكل مستقل. وبجانب المقام يوجد -حالياً- مصلى للرجال، ويقع بجانبه أسواق ومحلات تجارية متنوعة.

أقيم في المسجد شطران، وهما: مقام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، وهو على مذهب الإمامية، ويطل على نهر العشار، والشطّر الثاني كان يؤمّه أحد إخواننا من جماعة السنة، تعلوه قبة صفراء، يطل على شط العرب، [صورة رقم (٣)]، وبقي هذا التقسيم إلى الآن، وما يزال المكان على حاله، ويرفع فيه أذانان^(٢٣).



التَّقْطِطُ الصُّورَةُ بَعْدَ البَاحِثِ، بَتَارِيخِ: (٢٤/٨/٢٠١٥ م).

ثَانِيًا: عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَادِي

يَقَعُ مَزَارُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَادِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَنَاطِقَةِ الْعَشَّارِ، حَيِّ الزَّهْوَرِ، بِالقَرَبِ مِنَ الإِعْدَادِيَّةِ المَرْكَزِيَّةِ، وَقَدْ سُمِّيَ الشَّارِعُ المَارُّ بِالمَزَارِ بِاسْمِهِ، وَهُوَ الآنَ شَارِعٌ تِجَارِيٌّ مَكْتَنُظٌ بِالمَتَبَضِّعِينَ، وَقَدْ تَعَرَّضَ إِلَى تَفْجِيرٍ إِرْهَابِيٍّ أَوْدَى بِحَيَاةِ العِشْرَاتِ مِنَ النَّاسِ الأَبْرِيَاءِ، فَضَلًّا عَنْ تَعَرُّضِهِ إِلَى تَمَاسٍ كَهْرَبَائِيٍّ طَالَ المَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ. وَيُعَدُّ المَزَارُ مِنَ المَزَارَاتِ الَّتِي مَازَالَتْ قِيدَ التَّحْقِيقِ، فَالْمَتَعَارَفُ عَلَيْهِ لَدَى العَامَّةِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَهُ بِأَنَّهُ أَخُو مُحَمَّدٍ سَبْعِ الدُّجِيلِ، فِيمَا يُورَدُ عَبْدِ القَادِرِ بَاشَ أَعْيَانِ العَبَّاسِيِّ فِي مَوْسُوعَتِهِ أَنَّهُ قَبْرُ لِقَائِدٍ تُرْكِيٍّ يُسَمَّى عُثْمَانَ بَكْ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاشَا، تَوَفَّى فِي البَصْرَةِ فِي القَرْنِ العَاشِرِ الهِجْرِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا طَيِّبًا فِي زَمَانِهِ، وَمِنَ المَتَصَوِّفِينَ،

وبعد وفاته بُني على قبره المذكور أنفاً قبة، وجُعِلَتِ السَّاحَةُ التي حوله مقبرة للمسلمين من أهالي محلة منّاوي باشا، وما جاورها من المحلات في العهد العثماني، وقد اتَّخَذَتِ الحكومة العثمانية قسماً من تلك السَّاحَةِ مخزناً لعتاد قوّاتها البحرية^(٢٤). أمّا الطَّراز المعماريُّ للمشهد المبارك -الآن-، فيضمُّ غرفةً صغيرةً فيها مكان للمصلين، ومكتبة صغيرة أيضاً.

ثالثاً: مرقدُ ياصف بن علي عليه السلام

يقع المرقد الشريف [صورة (٤)] في منطقة السَّكِّ / المعقل / حيِّ الكرامة / محلة (١٥٢)، ولا يبعد عن مركز المعقل الثقافي والاجتماعي (بورت كلاب) سوى عدّة أمتارٍ، ويقع على طريق (عشار - خمسة ميل)، بناؤه متواضعٌ جداً عبارة عن سياجٍ يُحيطُ بالمزار، وشارعٍ ترابيٍّ قيد الإنشاء، أمّا الضَّريح المبارك فهو عبارة عن شبَّاكٍ مصنوعٍ من الألمنيوم داخل غرفة صغيرة تُحيطها غرفة أوسع وأكبر، فالقاصد للزيارة يدخل أولاً غرفةً فيها مكتبة ومكان للصلاة، وبعدها باب ثانٍ يؤدِّي إلى الضَّريح، وتعلو البناء قبة دائرية الشكل خضراء اللون.

أمّا عن قصّة هذا المرقد، فقد أكّدت الدِّراسة الميدانيّة، ونقلًا عن إحدى السيِّدات -وهي امرأة كبيرة السنّ ومن سكنة المنطقة من فترة طويلة-، أنّ الضَّريح تمَّ نقله على أثر إنشاء سكّة حديد في مطلع الثمانينيات من قبل مديريّة السَّكِّ الحديدية في البصرة، فعندما بدأ الشروع بالعمل، صادف أن اصطدمت الجرّافة (الشَّفل) بالضَّريح، ولم يستطع صاحبه زحزحته من مكانه، وعندما أراد عمّال السَّكِّ الحديد مدّ هذه السَّكّة تمَّ رميها إلى مسافة، ولهذا السَّبب فإنَّ

المتعارف عند أهالي المنطقة أنهم كانوا يُسمُّونَ صاحبَ المزارِ بـ(شيَّال الحديد)، ويذكر آخرُ أنَّه في ستينيات القرن المنصرم كان السيِّد آصف في الأصل مدفوناً في منطقة صرائف، عندها كان الشَّارع طريقاً واحداً، الذي يربط -الآن- سوق (خمسة-ميل) بالطريق العام، شارع (البصرة-عمارة-بغداد)، بالقرب من القسم البلديّ لخمسـة ميل.

وفي السَّبعينيَّات بدأ الشُّروع بشقِّ طريقٍ آخر، وعندما باشر صاحب الجَرَافَةِ (الكريدر) بالعمل، أراد زحزحة القبر، فلمْ يتمكَّن، وتكرَّرت المحاولات عندها تقطَّعت سرفـة العجـلة، فتمَّ الاتـصال بالسيِّد عبد الحكيم الصَّافي، لأخذ الإذن منه بنقل الرُّفات الطاهر إلى مكانه الحالي^(٢٥).

علماً أنَّ ضريح السيِّد (ياصف بن عليّ) يأخذ موقعاً وسطاً بين رواق الصَّلاة وبابِ مقوَّسٍ عريضٍ للرَّواق، يدخل الزائر عبْرهُ للقبر الذي عليه شَبَّاكُ المنيوم، ومن هذا الباب المقوَّس ومروراً بالضريح يوجد باب ثانٍ مقوَّس يؤدِّي إلى غرفة خاصَّة بالنِّساء للصَّلاة خلف الضريح، ونتيجة لما حصل من كرامةٍ لهذا العبد الصَّالح، تمَّ نقل الجُثمان الطَّاهر إلى موقعه الحالي بالقرب من سَكَّة الحديد القديمة، خارج سياجها، ولذلك بدأت أفواج الزائرين بالتَّوافد عليه من داخل البصرة وخارجها، وبخاصَّة في أيَّام العُطل والمناسبات. علماً أنَّ الموقع الجغرافيَّ للمرقـد بين الوحدات السَّكنيَّة يدعو إلى وجود لوحة على الطريق الرئيس الرابط منطقة (خمسة ميل) بالعُشار؛ لثُرشد الزائر إليه.

رابعاً: مقامُ السيّد صدام السيّد صروط

يقع مقام السيّد صدام السيّد صروط في منطقة (خمسة ميل) [صورة رقم (٥)]، في الجهة المقابلة من الكراج، وقيل: لا يبعد سوى أمتار عن الشارع الرئيس، الذي يرتبط مع طريق (بغداد-البصرة)، وينزوي المقام خلف المحلات السكنية التي أخذت بالازدياد بعد عام (٢٠٠٣م). أمّا النسب الطاهر للسيّد، فهو: السيّد صدام السيّد صروط السيّد محسن السيّد مسلم آل إسماعيل الموسوي. يتكوّن مقامه من مغتسلٍ مؤلّفٍ من بابٍ خشبٍ مقوّسٍ من الأعلى ذي طرازٍ إسلاميٍّ معماريٍّ، كُتب فوقه بالكاشي الكربلائي اسم السيّد ونسبه؛ أمّا داخل المغتسل، فيوجد صندوق خشبٍ مغطّى بقطعة قماش خضراء اللون، وأمام الصندوق صورة السيّد، وفيها سنة وفاته، أمّا الغرفة، فهي مستطيلة، وكذلك توجد حسينية ملاصقة للمغتسل، وبيت أحد السادة الإجلّاء من آل سيّد صروط، ودور سكنية تابعة لأبناء السيّد صدام السيّد صروط، وموقف لسيّارات الأجرة، وساحة تتوسّط بين الحسينية والمغتسل والدور السكنية، وكانت في السابق ساحة للصلاة في تسعينيات القرن الماضي.

صورة (٤) المرقد الشريف لياصف بن عليؑ في منطقة المعقل



المصدر: التُّقَطُ الصُّورَةِ بَعْدَسَةِ البَاحِثِ، بَتَارِيخ: (٢٤/٨/٢٠١٥م)

صورة (٥) مقام السيّد صدام السيّد صرّوط في منطقة (خمسة-ميل)، وتوضّح الحسينيّة والمغتسل

المغتسل



الحسينيّة



المصدر: التُّقَطُ الصُّورَتَانِ بَعْدَسَةِ البَاحِثِ، بَتَارِيخ: (٢٤/٨/٢٠١٥م)

خامساً: ظاهر بن عليّ (السَّيِّد حسن الجبيليّ)

يقع مرقد السَّيِّد (ظاهر بن عليّ) في منطقة الجبيلة [صورة رقم (٦)]، على مقربة من مجرى شطّ العرب، ويبعد عن الشارع العامّ (العشار-خمسة ميل) كيلومتر تقريباً.

أمّا النسب الشريف لصاحب المرقد، فهو السَّيِّد حسن الجبيليّ البصريّ، ابن عبد الله بن علم الدّين عليّ المرتضى النَّسَّابة ابن جلال عبد الحميد بن فخار شمس الدّين بن معدّ بن فخار أحمد بن أبي الغنائم محمّد بن الحسين الشيثيّ بن محمّد الحائريّ بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد ابن الإمام موسى بن جعفر الصّادق ابن الإمام محمّد الباقر ابن الإمام عليّ السّجّاد ابن الإمام الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢٦).

تعلو بناء الضريح قبة دائريّة خضراء اللّون. والهيكل الداخليّ للمزار عبارة عن غرفة جدرانها وأرضيّتها مغلّفة بالمرمر. وشباك الضريح مصنوع من الخشب الصّاج داخله الجسد الطاهر للسَّيِّد. والقبة من الدّاخل مُدعمة بأربعة أعمدة حديدية خشية سقوطها؛ لأنّها بها حاجة إلى ترميم؛ إذ تُشاهد تشقّقاتها بوضوح. والبناء متواضع جدّاً، وما زال سقفه، وهو من الصّفيح، على حاله، ويفتقر إلى أبسط وسائل التبريد والرّاحة للزائر؛ إذ يشهد حركة لا بأس بها، لاسيّما في يوم الجمعة، على الرُّغم من قساوة الجوّ وارتفاع درجات الحرارة، وعدم وجود وسائل تبريد كافية.

صورة (٦) مرقد السيّد حسن الجبيليّ في حيّ الجُبيلة، وتبيّن المرقد من الخارج والقبة
وسقف الصّفيح (الجينكو)



المصدر: التّقطت الصّورة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٤/٨/٢٠١٥م)

وَمِنَ الكرامات التي حصلت للمزار، ينقلها السيّد موسى الموسويّ، وهو
أحد الأشخاص الذين كانوا يتردّدون على زيارة المرقد، وكان مصاباً بمرض
السُّكَّرِيّ، فنذر والدّه في حال شفاء ولده من هذا المرض سوف يأخذه إلى السيّد
ظاهر بن عليّ، وحصل ما أَرادَه السيّد وشفاهُ الله من مرضه، ببركة وشفاعة
السيّد ظاهر بن عليّ، وهذه الحالة حصلت منذ عشر سنوات.
وبالمزار حاجةٌ إلى المزيد من العناية والاهتمام من الحكومة المحليّة والتعاون
المشترك.

سادساً: مرقد خليفة بن عليّ

يقع مزار خليفة بن عليّ في منطقة البراضعيّة، جنوب مركز المدينة، مقابل

مركز الجامعة الترفيهي، وقرب بداية طريق يربطه بشارع الوفود، الذي يجري العمل -الآن- بربطه بالجهة الأخرى من قضاء شط العرب عن طريق جسر السيّد محمد باقر الصدر. له كرامات، تزوره العامّة والخاصّة، وتقدّم له النذور، وتوقد الشموع، وهو عبارة عن بناء أثري قديم، يعود إلى أكثر من قرن من الزمن، وعلى بعد (٣٠) متر عن الشارع العام، ومساحة رواقه (٣٠ * ٦ م).

يعود نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، ويُعدّ الموقع من الأراضي التابعة للوقف الشيعي حتى عام (١٩٦٨ م)؛ إذ تحوّلت هذه الأراضي لصالح البلدية، وتمّ نقلها إلى رئاسة جامع البصرة عام (٢٠٠٥ م). وقد أكّد رئيس لجنة السياحة والآثار في مجلس محافظة البصرة المهندسة زهرة البجاري عزم الحكومة المحليّة لدعم السياحة الدينيّة في المحافظة، مؤكّدة أنّ السياحة يمكن أن تنشّط الاقتصاد إذا ما تمّت إدارتها بشكل صحيح، وقد تمّ الاتفاق مع رئاسة جامعة البصرة على تخصيص مساحة قدرها (١٠٠٠ م) من الأرض لإنشاء مشفى فرعيّ يضمّ (٤٠٠) سرير، وتعوّض جامعة البصرة بـ (٣٠٠٠ م) أخرى في مكان آخر مقابل المساحة التي خُصّصت للمزار الشريف^(٢٧).

وخلال الدّراسة الميدانيّة، فإنّ وضع المزار ما يزال على حاله دون تغيير. أمّا في الجهة الأخرى، فيوجد هناك مرقد ملاصق لمرقد السيّد كُتب عليه اسم (فاطمة بنت عليّ الهادي).

سابعاً: مرقد عليّ بن يقطين

يقع مرقد عليّ بن يقطين (عليه السلام) في محلة القطّانة/ حيّ التحرير، شارع (٢٦)

محلّة (٣٠٨)، على الطريق الذي يربط شارع (١٤) تمّوز بشارع أمير محمّد القزويني (شارع الخليج)، شارع (زبير-بصرة-عشار)، لكنّ وجود المرقّد ضمن المحلّات السّكّنيّة والتّجاريّة جعله يتوارى عن أعين الزّائرين، ليقع ضمن زاوية منعزلة بين تلك الدّور والمحلّات التّجاريّة^(٢٨). يُذكر أنّه قبل خمسين عاماً، كانت عليه قبة، وقد تباينت الآراء عن صحّة وجود المرقّد في هذا المكان، فالبعض يرى أنّه علويّ^(٢٩)، والآخر يقول بأنّه أحد أفراد عصابة تعيثُ في الأرض فساداً من قطع الطُّرق في الأهوار المحيطة بشمال البصرة في القرن الثّاني الهجريّ، وبعدها ألقت الدّولة العثمانيّة القبض عليه، وعلى رفاقه، وأُعدموا شنقاً، وكان صاحب هذا القبر من جملة المعدومين، وبعد ذلك اتّخذته العامّة مزاراً يَفْدُونَ إليه^(٣٠).

وعلى الرّغم من وجود المصادر التي تنقل أنّه توفّي في بغداد سنة (١٨٢هـ/ ٧٩٨م)، وكان عمره (٥٧) عاماً، وصلى عليه وليّ العهد الأمين^(٣١)، إلّا أنّ هناك رأياً آخر يذهب إلى أنّه دُفِنَ في البصرة، والمرقّد المذكور هو قبره، ويؤيّد هذا الرّأي جملة من الاعتبارات، منها:

١- أنّ المنطقة التي يوجد فيها هذا المرقّد -حالياً- تُعرف ومنذ مئات السّنين باسم (محلّة القطّانة)، وسُمّيت بهذا الاسم نسبة إلى عليّ بن يقطين.

٢- عُثِرَ على حجرٍ قديمٍ من قبل أحد ساكني هذه المحلّة، ويُدعى (كاظم جياذ)، الذي قام بحفر المكان قرب القبر الشّريف، فوجد هذا الحجر، وكان منقوشاً عليه: (هذا قبرُ عليّ بن يقطين).

٣- تؤيّد بعض الجهات التي لها علاقة بالتحقيق في صحّة المراقّد والأنساب، ومنهم: العلامة الشّيخ باقر شريف القرشيّ، والنّسابة عبّاس الدّجيليّ بوجود

وثائق تدلُّ على صحَّة هذا القبر^(٣٢).

أمَّا النِّسب الكريم لعلِّي بن يقطين، فهو عليُّ بن يقطين بن موسى، كوفيُّ الأصل. ولد بالكوفة سنة (١٢٤هـ)، وسكن بغداد؛ إذ كان أبوه (يقطين بن موسى) من الدُّعاة الموالين لأهل البيت، فطلبه مروان بن محمَّد آخر خلفاء بني أُمَيَّة، فهرب من الكوفة سنة أربع وعشرين ومائة من الهجرة، حتَّى مجيء دولة بني العبَّاس إلى الحكم في سنة (١٣١هـ)، وسقوط الدَّولة الأُمويَّة، عندها عاد هو وأسرته إلى مدينة بغداد؛ إذ كانت تربطه علاقة مع العبَّاسيِّين، فعاش أبوه في بلاط الحكم العبَّاسيِّ، وفي خدمة عبد الله السَّفَّاح والمنصور، كذلك كان والد عليِّ بن يقطين يحمل الأموال إلى الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام. وتوفيَّ عليُّ بن يقطين رحمته الله ببغداد سنة اثنين وثمانين ومائة من الهجرة، وصلى عليه ولي العهد محمَّد الأمين العبَّاسيِّ، وتوفيَّ أبوه سنة خمس وثمانين ومائة من الهجرة، وله ونُسبت إليه عدَّة مؤلَّفات منها: (ما سُئِلَ عنه الصَّادق عليه السلام من الملاحم)، و(كتاب مناظرة الشَّاك بحضرته عليه السلام)، وله كتاب آخر عنوانه: (مسائل عن أبي الحسن، موسى بن جعفر عليه السلام)^(٣٣)، وقال الرَّاوي مولى بني أسد كان والده من قبل يبيع الأبنار وهي (التَّوابل)، ومات في زمن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في الحبس والإمام محبوس سنة ثمانين ومائة، وبقي أبو الحسن عليه السلام في السَّجن (الطَّامورة) أربع سنين، وكان قد حبسه هارون العبَّاسيُّ^(٣٤). [صورة (٨) و صورة (٩)].

بُني مزاره حديثاً بعد أن تمَّ التَّحقيق فيه من أحد الباحثين^(٣٥)، أمَّا الضَّريح، فعبارة عن شبَّاك ألنيوم فوق القبر الشَّريف.

وقد شاءت الأقدار أن يُنفَضَ الغبار عن المرقد، على الرُّغم من المحاولات
العديدة من النُّظام السَّابق لطمس معالمه، وأن يظهر للوجود، ويكون مَعْلَمًا أَثْرِيًّا
شاخًا.

صورة (٨) نصُّ كتاب رئاسة ديوان الوقف الشَّيعي / مديرية الوقف الشَّيعي في محافظة

النَّجف إلى ديوان الوقف الشَّيعي في البصرة

بسمه تعالى

رئاسة ديوان الوقف الشَّيعي
مديرية الوقف الشَّيعي
في محافظة النجف الاشرف

التلف الاشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢ م

العدد: ٤/١/٣
التاريخ: ٢٠٠٩ / /

العلاقات والإعلام

إلى / ديوان الوقف الشَّيعي / الأمانة العامة للمزارات الشيعية في العراق

م/ تحقيق مرقد علي بن يقطين في البصرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

نوسل اليكم تحقيق مرقد علي بن يقطين في البصرة من قبل المؤرخ اثنق (الشيخ عباس الدجيلي)
الباحث الاقدم في مديرتنا وجاء في التحقيق ما يلي:

(علي بن يقطين بن موسى البغدادي مولى بني اسد من خيرة اصحاب الإمام موسى الكاظم (ع) ومن
وجوه الطائفة الشيعية واعيانها البارزين، ولد في الكوفة سنة ١٢٤هـ وكان والده من اصحاب
الإمام الصادق (ع) وقبره في البصرة القلبيّة شارع بشار مقابل الجامع الكبير، وكانت وفاته سنة
١٨٢هـ وكان قد تولى بعض المناصب المهمة ايام المهدي والرشيد العباسي وهناك المصادر
العديدة التي تذكر ذلك):

يرجى التفضل بالاطلاع ... مع التقدير.

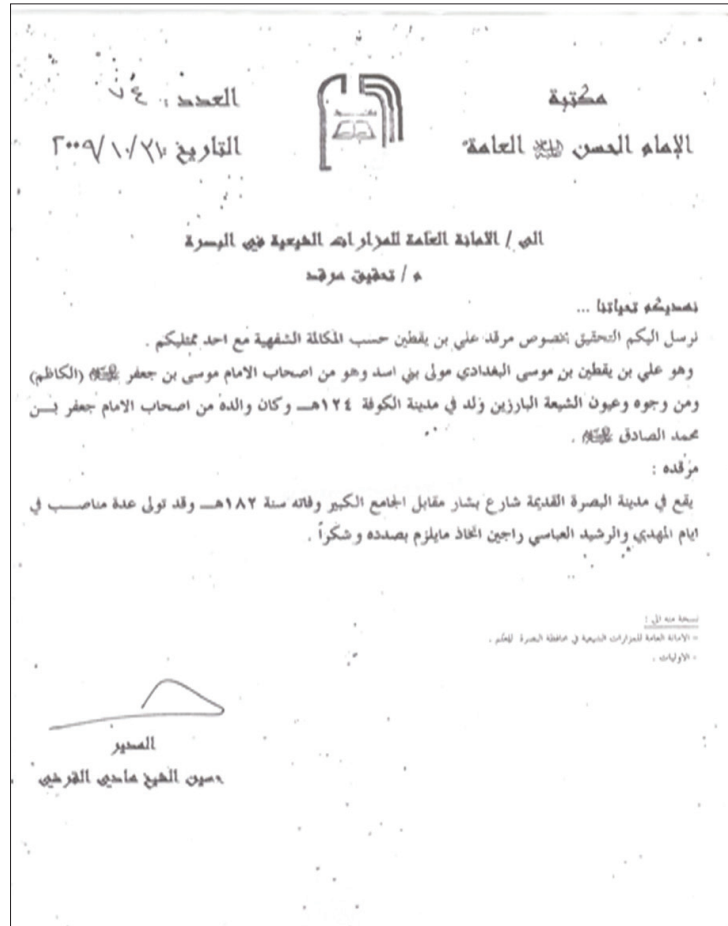
المستخلص
علي بن محمد الفاضلي
مدير الوقف الشَّيعي في محافظة النجف الاشرف
٢٠٠٩/١٠/٢٨

نسخة منه الى :-

- ديوان الوقف الشَّيعي / مكتب سماعة السيد رئيس الديوان المحرم / للتفضل بالاطلاع ... مع القدر
- ديوان الوقف الشَّيعي / مكتب السيد المفتي عام المحرم / للتفضل بالاطلاع ... مع القدر
- ديوان الوقف الشَّيعي / دائرة العلاقات العامة والإعلام الإسلامي / للتفضل بالاطلاع ... مع القدر
- الأمانة العامة للمزارات الشيعية / مكتبة محافظة البصرة / للتفضل بالاطلاع ... مع القدر
- مكتب آية الله الشيخ باقر القرشي (دام ظله) / للتفضل بالاطلاع ... مع القدر
- شعبة العلاقات العامة والإعلام الإسلامي
- الاضطرارة للمتابعة

المصدر: الأمانة الخاصّة لمزار عليّ بن يقطين

صورة (٩) نصُّ كتاب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامة إلى الأمانة العامة للمزارات
الشيعية في البصرة



المصدر: الأمانة الخاصّة لمزار عليّ بن يقطين

ثامناً: خطوة الإمام المهدي

تقع خطوة الإمام المهدي عليه السلام في محلة الصّبحّة الكبيرة. [صورة رقم (١٠)]. ويتكوّن المزار من قبة تعلو البناء، وغرفة صغيرة مربّعة الشّكل، لها باب رئيس مصنوع من الحديد، وممرّ ضيقٌ يؤدّي إلى الخطوة، وهي بدون شبّاك، والطّريق

المؤدّي إلى المزار طريقاً ترابيّاً غير مبلّط.

أمّا القِيَم على المزار، فقد كانت القارئة (أمّ حسين) في زمن الخمسينيّات والسّتينيّات، حتّى وفاتها في سبعينيّات القرن المنصرم، وبعد فترة السّبعينيّات تولّى إدارة المزار السّادة الحسينيّة، أمّا -الآن-، فيقوم على شؤونها العلويّة أمّ مصطفى، وخلال هذه المدّة أيضاً (مدّة السّبعينيّات)، عملت مديريّة بلدية البصرة على شقّ طريقٍ يمرّ من خلال الخطوة، ما أحدث تغيّرات عمرانيّة واضحة، ولم يبقَ منها سوى القبة التي ماتزال على حالها إلى الآن، ولم يُجرَ عليها تغييرات من ترميمٍ أو نحوه.

لقد كانت هذه الخطوة خلال فترة الأربعينيّات بهيّة أفضل ممّا هي عليه الآن، فقد كان هناك فناءً كبيراً (طارمة) لاستراحة الزّائرين، ومغتسلٌ كبيرٌ باسم الإمام، ويُعدُّ الأكبر في البصرة، وكانت تُعقد له النّدور، وكرامات المقام أكثر ممّا تُحصى وتُعدّ، حسب ما ينقله أهالي المنطقة.

أمّا بناء المزار، فقد قام أحد عمّال البناء (الأسطوات) من سكنة بغداد، ببنائه، وهذه المعلومة معروفة عند القدماء من كبار السّن من أبناء المنطقة، ويتناقلها الأبناء عن الأجداد لحدود (١٢٠) سنة^(٣٦).

صورة (١٠) خطوة الإمام المهدي عليه السلام في منطقة الصبخة الكبيرة



المصدر: التقطت الصورة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٤/٨/٢٠١٥م)

تاسعاً: خطوة سيّدنا العباس عليه السلام

تقع خطوة العباس في محلة النظران، وهي عبارة عن قبة نصف دائرية ملتصقة بأحد بيوت الشناشيل، يُحيطها سياج بُني حديثاً، له باب يقود الزائر إلى المزار، وعلى الجدار زيارة سيّدنا العباس عليه السلام، ويوجد مسقف خارج الحرم أشبه بساحة الصلاة، ولا تبعد الخطوة سوى أمتارٍ قليلة عن نهر العشار في طرفه الجنوبي. والمزار متواضع جداً.

كانت الخطوة في السابق عبارة عن سداد طين، وغرفة صغيرة، وباب من الصفيح، وعندما أرادت القيّمة على المزار بناءه وإحاطه بالبيت الملاصق له، لم تتمكن من ذلك؛ إذ في كلّ محاولة يحصل عزل بين الخطوة وبين بيوت الشناشيل،

ما يقود -لو صحَّ ذلك- إلى الاعتقادِ بكرامة هذا المكان، أمّا عمليّة البناء التي جرت حالياً والترميم على الخطوة، فإنّها مِنْ تَبَرُّعات الخيّرين^(٣٧)

عاشراً: مقام سيّدنا الخضر أبو حديد

يقع مزار سيّدنا الخضر على مجرى نهر العُشَّار في منطقة نظران، البصرة القديمة، وكما مبين في صورة (١١).

واسم الخضر «تاليا بن ملكان بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام»^(٣٨). أمّا المراحل العمرانيّة التي مرّ بها المقام، فقد تمّ بناؤه -كما هو شائع عن العامّة- في المنطقة سنة (١٩٢١-١٩٢٢ م) إبان تأسيس المملكة العراقيّة في عهد الملك فيصل الأوّل؛ إذ كان موقعه في محلّة نظران الواقع على الجهة اليمنى من نهر العُشَّار قرب جسر نظران الخشبيّ سابقاً، على نهر متفرّع من نهر العُشَّار الكبير، وقرب بيت سيّد حامد النقيب، ومقابل ثانويّة فيصل الثاني سابقاً، وإعداديّة البصرة حالياً (البكر والأحرار). وسُمّي مقام الخضر عليه السلام أبو حديد نسبة لاسم جدّ (ملاً جوني عبد الله) مِنْ سَكَنَةِ المنطقة.

أمّا الطّراز المعماريّ للمقام، فكان بناؤه في بادئ الأمر من طين، وبُنيت فيه غرفة وفناء وسقف من جذوع النّخيل وسيقان البواري.

مرّ المقام بمراحل تطويريّة، وَفَق التّرتيب الزمنيّ الآتي:

- المرحلة الأولى: سنة ١٩٢١-١٩٢٢ م.

- المرحلة الثّانية: سنة ١٩٤٦-١٩٤٧ م.

- المرحلة الثّالثة: ١٩٩٦ م^(٣٩).

صورة (١١) مقام سيّدنا الخضر أبو حديد



المصدر: التّقطت الصّورة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٤ / ٨ / ٢٠١٥ م)

حادي عشر: مرقد السيّد محمّد أبو الظهور

يقع مرقد السيّد محمّد أبو الظهور في المشرق القديم (الحيّ العبّاسيّ) [صورة (١٢)]. تمّ بناؤه من قبل (أبو كاظم جواد ارهيف الدّراجيّ). والبناء عبارة عن غرفة لها فناء (حوش) ذو أرضيّة من الكاشي الملّون، وداخل الغرفة الضّريح، وهو عبارة عن شبّاك تمّ بناؤه حديثاً وفق الطّراز المعماريّ الجديد، وتعلوه قبة خضراء اللّون سداسيّة، وفناء دار (حوش)، وحسينيّة ملاصقة للمزار، وفي السّابق كان الزائرون يتوافدون على المرقد، وحينها كانت المنطقة أقلّ عدداً من السّكّان، والطّرق مفتوحة، فيُشاهد المزار من على الطّريق العامّ، فتأتي إليه النّاس لطلب حاجاتها من الله بشفاعه السيّد، فكانت تُقضى الحاجات عند وصول المشهد الشّريف.

للسَّيِّد كرامات كثيرة، منها ما تنقله عن إحدى الزَّائرات التي تتردَّد كثيراً على المزار، من أنَّ امرأة مصابة بمرضٍ يتطلَّب إجراءً عمليَّةٍ جراحيةٍ لها وعلى الفور، فقصدت المريضة السَّيِّد، فشُفِيَتْ من مرضها بحمد الله، وأُخرى تسكن المنطقة التي يوجد فيها المرقد، كانت عندما تشعر بضيقٍ، أو أنَّ تطلب حاجة، فما عليها إِلَّا أن تصعد السَّطح، وتتوجَّه صوب مرقد السَّيِّد محمَّد أبو الظهور، فتقضى بإذن الله، وغيرها من الكرامات.

أمَّا سبب تسمية السَّيِّد محمَّد بـ(أبو الظُّهور)، فيعتقد البعض أنَّ نسبته إلى الظُّهر، فالكثير ممَّن لديه آلام في ظهره من أهل المنطقة، يقصد مرقد السَّيِّد، فيُشْفَى من آلامه بإذن الله، أو غير ذلك.

صورة (١٢) مزار السَّيِّد محمَّد أبو الظهور في محلة المشراق



المصدر: الثَّقُطَت الصُّورَة بعدسة الباحث، بتاريخ: (٢٥ / ٨ / ٢٠١٥ م)

ثاني عشر: عباس أبو مطرق

يقع في نهاية محلة البلوش (البكر والأحرار سابقاً)، خلف بناية ثانوية البصرة للبنين، ويُعدُّ من المقامات القديمة في البصرة. والمزار عبارة عن غرفة صغيرة داخلها القبر، وتعلوه قبة أشبه بالشكل المخروطي، وله باب صغير وشباك، وواجهته مغلقة بالسيراميك. ويُذكر أنَّ اسمه الصحيح هو عبد الله الهائم، وهو أحد مريدي الشيخ جبارة بن الرِّيان، شيخ الطريقة الشاذلية في البصرة^(٤٠).

المراقد والأضرحة التابعة لديوان الوقف السني في مدينة البصرة

يتبنَّن من جدول (٣) التوزيع الجغرافي للمراقد والأضرحة التابعة الوقف السني/ المنطقة الجنوبية، وهي موزعة بالشكل الآتي:

١- **مرقد الشيخ محمد أمين الكوَّاز:** يقع المرقد في محلة المشراق (الحيّ العباسي)، على طريق (١٤ تمّوز). وفي المرقد عددٌ من قبور الصُّلحاء والوجهاء المدفونين معه، منهم: عبد القادر باشا أعيان العباسي.

والمكان ذو واجهة مطلية بالإسمنت، وباب صغير من الحديد، يقود إلى المرقد والمقبرة. تمَّ دفنه من قبل آل عبد السلام العباسي، وقد قام ببناء ضريحه -فيما بعد- الشيخ عبد السلام ابن الشيخ عبد القادر العباسي سنة (١٠١١هـ- ١٦٠٢م)^(٤١). والشيخ محمد أمين الكوَّاز عالم من أفاضل علماء البصرة في عصره. وبعد دخول الدولة العثمانية إلى البصرة بأشهر قلائل، انتقل الشيخ محمد الكوَّاز إلى جوار ربّه في عام (٩٥٣هـ- ١٥٤٥م)^(٤٢).

٢- **ضريح عزّ الدين:** يقع المرقد في محلة الصّفاة في البصرة القديمة، وهو يوسف عزّ الدين بن رجب الرّفاعي الكبير، الذي رقد في منطقة السبيليات في

قضاء أبي الخصب؛ ولذا تسمَّى المحلَّة باسم (عزِّ الدِّين)، حيِّ المهلَّب حاليًّا، وقد كشفت الدِّراسة الميدانيَّة للضَّريح عن أنَّه يُعاني من مشكلة وجود العشوائيات، والمتمثَّلة بالبسطات، لبائعي السَّمك والمحلات التي تُحيط به من جميع جوانبه، حتَّى ليتوارى عن الأنظار، ولا يُمكن لأحدٍ من مشاهدته إلَّا بعد السُّؤال عنه؛ بسبب هذه التجاوزات، لعدم وجود لوحة دلالة تُرشد إليه، على الرُّغم من أنَّه يبعد مسافة قليلة عن شارع (عليّ بن يقطين) حتَّى أنَّنا لم نتمكَّن من التقاط صورٍ للمزار. وعند مراجعة ديوان الوقف السُّنِّي وحدة المراقدة والأضرحة عن وجود التجاوزات وعدم الاهتمام بالمرقد، تحدَّث أحد الموظَّفين فيه، وبَيَّن أنَّ الوقف خاطب الوزارة بكتابٍ رسميٍّ يطلب فيه حارساً للمزار، ورفع التَّجاوزات. وقبل خمسين سنة كانت حول المزار قبور وساحة كبيرة، وكان الجيش التركيُّ يُجري تدريباته العسكريَّة فيها، وشيئاً فشيئاً، وبعد مدَّة من الزمن، أخذت الدُّور والأسواق تنتشر حوله، وأخذت البلديَّة جزءاً منه لإقامة حديقة عامَّة، وموقفاً عامّاً للسيَّارات، لا يزال إلى يومنا هذا، كذلك كانت المناسبات الدِّينيَّة، مثل: المواليد، وحلقات الذِّكر، تُعقد في باحة المزار، إلَّا أنَّ هذه الشَّعائر أُزيلت بمرور الأيَّام^(٤٣).

جدول رقم (٣) التوزيع الجغرافي للمراقد والأضرحة في مدينة البصرة

ت	الاسم الكامل	الموقع الجغرافي	النوع
١	الشيخ محمد أمين الكوّاز	محلة المشرق	مرقد
٢	عز الدين	محلة الصّفاة في البصرة القديمة	ضريح

المصدر: ديوان الوقف السنيّ / المنطقة الجنوبية، بيانات غير منشورة، (٢٠١٢م).

- مقبرة الأرمن / الأرثوذكس

تقع مقبرة (الأرمن - الأرثوذكس) في حيّ المهلب، وتُعدُّ من المزارات القديمة التي تؤمُّها العوائل المسيحية، وكانت في السابق عبارة عن أرض خضراء، وفيها مدينة ألعاب للأطفال، وتأتي إليها أعداد كبيرة من العوائل لزيارة الموتى، بخاصّة في المناسبات التي تخصُّهم، وفي عصر يوم الزيارة الميدانية كانت هناك زيارة للأرمن / الأرثوذكس للمقبرة لمناسبة (يوم عنب)، وهو يومٌ تحتفل به هذه الطائفة في السّاعة العاشرة صباحاً، ولكن ليس بالأعداد المعهودة مثل ذي قبل، أمّا الآن، فقد تحوّلت المقبرة إلى أرض جرداء، حتّى أنّ هذه العوائل كانت زيارتها سريعة إليها؛ لعدم وجود مكان يحميهم من حرارة الجوّ نتيجة ارتفاع درجات الحرارة^(٤٤).

- مقبرة اليهود

تقع مقبرة اليهود في الجهة المقابلة لمقبرة (الأرمن - الأرثوذكس)، وهي محصورة بين شارع سوق الجمعة، وشارع الخليج العربي، خلف مستشفى

المواساة الأهلِيّ، تحوَّلت بعد (٢٠٠٣م) إلى سكنٍ عشوائِيٍّ بعد أن أخذَ الجِيشُ الأمريكيُّ شواهد القبور (اللَّوحات التي كُتِبَ عليها أسماء الموتى).

الخاتمة والمقترحات

- ١- التعريف بهويّة المزارات في البصرة بوساطة العلامات الدّالة عليها، فالمدينة تفتقر إلى ما يؤشر وجود مزارات في المواقع الجغرافيّة المهمّة والحسّاسة، التي تُشكّل نقطة التقاء المسافرين والزّائرين أو السّياح.
- ٢- إعادة تجربة مدينة الزائرين في محافظة البصرة، فهي ذات موقع جغرافيّ مهمّ وحيويّ، منفتح على محيط المدينة الإقليمي عن طريق المنافذ الحدوديّة كما أسلفنا، فمن جهة الشّرق منفذ السّلاجمة، ومن جهة الغرب منفذ سفوان الحدوديّ، ومن جهة الجنوب ميناء الفاو، ويكون التقاء المنافذ عن نقطة واحدة، وهي مجسر الانتفاضة الشّعبانيّة، فالقادمين من جهة الشّرق يكون مرورهم عند مقام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، والّذين يفدون من منفذ سفوان الحدوديّ تكون خطوة الإمام عليّ عليه السلام النقطة التي يمرّون بها.
- ٣- تفعيل دور التعاون المشترك بين المؤسّسات الحكوميّة ذات العلاقة، ومؤسّسات المجتمع المدنيّ للارتقاء بواقع المزارات، والعمل على تنشيط حركة السّياحة الدينيّة.
- ٤- خلق وعي جماهيريّ بأهميّة الموروث الحضاريّ، ومنه (المزارات)، التي تُعدّ جزءاً لا يتجزّأ منه، وتعريف الشّباب عماد المستقبل بها في مدينة البصرة.

٥- تُعدُّ مَرَاقد الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ والمَقَامَاتِ والخطواتِ في البصرة أنموذجاً حياً، وصورة صادقة لمبدأ التسامح الديني والتعايش السلمي؛ ولذا يجب تشجيع زيارة هذه المراكد والمقامات والخطوات، وحتى المقابر لكل الطوائف في العالم.

٦- تُعدُّ السَّيَاحَةُ الدِّينِيَّةُ حاجة نفسية وروحية واجتماعية كامنة في الفرد، يتم إشباع رغباتها من خلال زيارة الأماكن المقدسة، وأداء الشعائر فيها، وغالباً ما تُمارَس هذه الزيارات بشكل جماعي. وتوجد في المدينة بعض المراكد والأضرحة التي تحظى بمكانة كبيرة لدى مختلف الطوائف الإسلامية، الأمر الذي يتطلب تطوير تلك المراكد والأضرحة بالشكل الذي يسمح باستقبال السيَّاح من الدول الإسلامية.

٧- إصدار دليل جديد وموسَّع خاصَّ بـ (المواقع الدينية) في البصرة، يتضمَّن أسماء المواقع الدينية، فضلاً عن تجديد إصدار (أطلس المواقع الدينية)، يتضمَّن كلَّ جديدٍ من خرائط تفصيلية حسب مواقعها، فتكون التقسيمات وفق الوحدات الإدارية في أقضية المحافظة عامَّة، ووفق القطاعات بالنسبة إلى المدينة، والمبادرة بتوزيعه على الجهات ذات الصلة.

٨- عمل سفرات علمية إلى المواقع الدينية للمدارس والمعاهد والجامعات؛ للتعريف بهذه المواقع بوصفها جزءاً من موروثة الحضاري.

الهوامش

- ١- يُنظر: الراشد، أسامة إسماعيل عثمان، الاستثمار السياحي في محافظة البصرة، دراسة في التخطيط الإقليمي.....، مجلّة المؤتمر العلمي الأول (١-٢) كانون الأول، ٢٠١٠م، جامعة ميسان-كلية التربية: ٥١/٣.
- ٢- يُنظر: خلف، محمّد لفته، تقييم كفاءة الشوارع الرئيسة للنقل بالسيّارات في مدينة البصرة باستخدام نظم المعلومات الجغرافيّة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة: ص٤٧.
- ٣- يُنظر: الخفّاف، عبد عليّ وزميله، المناخ والإنسان: ص١٠٩.
- ٤- يُنظر: الاستثمار السياحي في محافظة البصرة، دراسة في التخطيط الإقليمي: ص٣٦.
- ٥- يُنظر: المنصوريّ، وسن نوشي محمّد، الملائمة المكانية لكفاءة التخطيط الحضاريّ وأثرها على حجم السكّان في مدينة البصرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة البصرة: ص٢٧-٣٣.
- ٦- يُنظر: الملائمة المكانية لكفاءة التخطيط الحضاريّ ..: ص٢٦.
- ٧- يُنظر: الاستثمار السياحي في محافظة البصرة، دراسة في التخطيط الإقليمي: ص٣٦.
- ٨- يُنظر: المجموعة الإحصائيّة السنويّة، الباب السادس عشر-إحصاءات التجارة الداخليّة، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزيّ للإحصاء، (٢٠١٢-٢٠١٣م): ص١.
- ٩- يُنظر: عطوي، عبد الله، جغرافية المدن: ٢/٢٠٧.
- ١٠- يُنظر: عبّود، سلمان مغامس، استعمالات الأرض التعليميّة وتباينها المساحي في مدينة البصرة، (١٩٧٧-٢٠٠٧م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة: ص٧٠.
- ١١- المجموعة الإحصائيّة السنويّة، الباب السادس عشر-إحصاءات التجارة الداخليّة، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزيّ للإحصاء: ص٤.

- ١٢- المجموعة الإحصائية السنوية، الباب السادس عشر- إحصاءات التجارة الداخلية، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء: ص ٢.
- ١٣- المجموعة الإحصائية السنوية، الباب السادس عشر- إحصاءات التجارة الداخلية، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء: ص ٢.
- ١٤- المجموعة الإحصائية السنوية، الباب السادس عشر- إحصاءات التجارة الداخلية، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء: ص ٩.
- ١٥- يُنظر: النصر الله، جواد كاظم، البصرة تاريخ إشعاع حضاري (قراءة تاريخية ثانية): ص ٧٩.
- ١٦- يُنظر: العباسي، عبد القادر باشا أعيان، موسوعة تاريخ البصرة، خطط البصرة: ٤٥/١.
- ١٧- يُنظر: المصطفى، حسين علي، تكوين البصرة الحديثة (٢)، موسوعة البصرة الصغيرة، تصدر عن العتبة العباسية، المقدسة، مركز تراث البصرة: ص ٤٣-٤٤.
- ١٨- يُنظر: باشا أعيان وزميله، أحمد برهان الدين، المكتبة العباسية، تاريخها ومخطوطاتها: ص ١١-١٥.
- ١٩- يُنظر في ذلك: ابن الغملاس، البصرة، ولايتها ومتسلموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني.
- ٢٠- يُنظر: تكوين البصرة الحديثة: ص ٤٤-٦٨.
- ٢١- يُنظر: الأسدي، صلاح هاشم، التوسع المساحي لمدينة البصرة، أطروحة دكتوراه غير منشورة: ٢٥-٤٣.
- ٢٢- مقابلة شخصية مع أمين مكتبة جامع ومقام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بتاريخ: (٢٢/٨/٢٠١٥م).
- ٢٣- الجابري، ناظم، مدينتي البصرة بعقب الماضي ورونق الحاضر، جريدة البصرة الإلكترونية، جريدة مستقلة سياسية- ثقافية- شاملة، (١٨/٢/٢٠١٣م): ص ١-٢.
- ٢٤- يُنظر: العباسي، عبد القادر باشا أعيان، موسوعة تاريخ البصرة، خطط البصرة: ٣٥٩/١.
- ٢٥- مقابلة شخصية مع السيّد (عبد المهدي ربيع) يوم السبت (١٥/٨/٢٠١٥م).

- ٢٦- يُنظر: حرز الدين، محمد، مراقد المعارف: ١/ ٢٠٩-٢١٠.
- ٢٧- نقلاً عن جريدة البصرة، جريدة أسبوعية يصدرها مجلس محافظة البصرة، البصرة، العدد (٤٣)، شباط، ٢٠١٣م: ص ٣.
- ٢٨- يُنظر: درويش، محمد عبد الباسط خليل، النصر في معرفة تاريخ مساجد البصرة: ص ٢٢٥.
- ٢٩- يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة: ص ٣٥٦.
- ٣٠- يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة: ص ٣٥٦.
- ٣١- يُنظر: العيساوي، علاء كامل، علي بن يقطين، مجلة المؤتمر العلمي الأول (١-٢) كانون الأول ٢٠١٠م: ١٨٧/٢.
- ٣٢- يُنظر: المحمّد، وليد، مراقد البصرة، لها قصص وحكايات: ص ٩٤-٩٥.
- ٣٣- يُنظر: علي بن يقطين تأريخ سيرة ومزار: ص ٤٢.
- ٣٤- الرّفاعي، عبد الله رمضان آل عيادة، تراث البصرة: ص ٢٥-٢٦.
- ٣٥- كتاب رئاسة ديوان الوقف الشّيعي، مديرية الوقف الشّيعي في محافظة النّجف، ذي العدد (٣/ ١/ ٤/ ٤٧٤٩) بتاريخ (٢٨/ ٧/ ٢٠٠٩م)، ونصّ كتاب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامّة إلى الأمانة العامّة للمزارات الشّيعيّة في البصرة.
- ٣٦- مقابلة شخصيّة مع السيّد الحاجّ (عليّ صالح مهدي)، بتاريخ: السّبت (١٥/ ٨/ ٢٠١٥م).
- ٣٧- مقابلة شخصيّة مع السيّد (عادل عناد)، بتاريخ: السّبت (١٥/ ٨/ ٢٠١٥م).
- ٣٨- الجزائري، نعمة الله، قصص الأنبياء: ص ٢٩٣.
- ٣٩- مقابلة شخصيّة مع السيّد (عقيل يونس)، متولّي مقام سيّدنا الخضر، بتاريخ: السّبت (١٥/ ٨/ ٢٠١٥م).
- ٤٠- يُنظر: تراث البصرة: ص ٣١.
- ٤١- يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة: ص ٣٦٣.
- ٤٢- يُنظر: النصر في معرفة تاريخ مساجد البصرة: ص ٢٢١.
- ٤٣- يُنظر: موسوعة تاريخ البصرة: ص ٣٥٥.
- ٤٤- مقابلة شخصيّة مع متولّي المقبرة السيّد (صالح حسن)، بتاريخ: (٢٠/ ٨/ ٢٠١٥م).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الرسائل والأطروحات الجامعية

- ١- الأسدي، صلاح هاشم، التوسع المساحي لمدينة البصرة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- ٢- خلف، محمد لفته، تقييم كفاءة الشوارع الرئيسة للنقل بالسيارات في مدينة البصرة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- ٣- عبود، سلمان مغامس، استعمالات الأرض التعليمية وتباينها المساحي في مدينة البصرة، (١٩٧٧-٢٠٠٧م)، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- ٤- المنصوري، وسن نوشي محمد، الملائمة المكانية لكفاءة التخطيط الحضاري وأثرها على حجم السكان في مدينة البصرة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٩م.

ثانياً: الكتب العربية

- ١- ابن الغملاس، البصرة، ولاتها ومتسلموها من تأسيسها حتى نهاية الحكم العثماني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢- باشا أعيان وزميله، أحمد برهان الدين، المكتبة العباسية، تاريخها ومخطوطاتها، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- ٣- حرز الدين، الشيخ محمد حسين، مراقد المعارف، دار الكتاب العربي، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- ٤- الجزائري، نعمة الله، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤٠٤هـ.
- ٥- الخفاف وزميله، عبد علي، المناخ والإنسان، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة،

ط ٢٠١٠، ٢.

- ٦- الرّفاعي، عبد الله رمضان آل عيادة، تراث البصرة، دار تمّوز للنشر والتّوزيع، ٢٠١٢ م.
- ٧- درويش، عبد الباسط خليل محمّد، النّصرة في معرفة تاريخ مساجد البصرة، كلّية التربية، جامعة البصرة، النّاشر نفسه، ط ١، ٢٠١٠ م.
- ٨- العبّاسي، عبد القادر باشا أعيان، موسوعة تاريخ البصرة، ج ١ - خطط البصرة، شركة التاييمز للطبع والنّشر - بغداد، ١٩٨٨ م.
- ٩- عطوي، عبد الله، جغرافية المدن، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ١٠- المصطفى، حسين عليّ، تكوين البصرة الحديثة (٢)، موسوعة البصرة الصّغيرة، تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة، مركز تراث البصرة، البصرة، قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة، ط ١، ٢٠١٦ م.

ثالثاً: المجلّات

- ١- الجابري، ناظم، مدينتي البصرة، بعقب الماضي ورونق الحاضر، جريدة البصرة الإلكترونيّة، جريدة مستقلّة سياسيّة، ثقافيّة شاملة، (١٨ / ٢ / ٢٠١٣ م).
- ٢- جريدة البصرة، جريدة أسبوعيّة يُصدرها مجلس محافظة البصرة، العدد (٤٣)، الأحد شباط، ٢٠١٣ م.
- ٣- الراشد، أسامة إسماعيل عثمان، الاستثمار السّياحيّ في محافظة البصرة، دراسة في التخطيط الإقليميّ، مجلّة المؤتمر العلميّ الأوّل (١-٢) كانون الأوّل، ٢٠١٠ م، ج ٣، جامعة ميسان، كلّية التربية.
- ٤- العيساوي، علاء كامل، عليّ بن يقطين، مجلّة المؤتمر العلميّ الأوّل (١-٢) كانون الأوّل ٢٠١٠ م، ج ٢.

رابعاً: التقارير الرّسميّة

- ١- كتاب رئاسة ديوان الوقف الشّيعي، مديريّة الوقف الشّيعي في محافظة النّجف، ذي العدد (٣ / ١ / ٤ / ٤٧٤٩) بتاريخ: (٢٨ / ٧ / ٢٠٠٩ م).
- ٢- كتاب مكتبة الإمام الحسن إلى المديرية العامّة للأوقاف الشّيعيّة في محافظة البصرة.

- ٣- المجموعة الإحصائية السنوية، الباب السادس عشر، إحصاءات التجارة الداخلية، جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، (٢٠١٢-٢٠١٣م).
- ٤- وزارة النقل، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي، قسم المناخ، بغداد، ٢٠١٣م.

خامساً. المقابلات الشخصية

- ١- مقابلة شخصية مع أمين مكتبة جامع ومقام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بتاريخ: (٢٢/٨/٢٠١٥م).
- ٢- مقابلة شخصية مع الدكتور شهاب، مدير دار الكتب سابقاً، ومسؤول مكتبة دار الفكر في البصرة حالياً، بتاريخ: (٢٣/١٢/٢٠١٤م).
- ٣- مقابلة شخصية مع السيد (عبد المهدي ربيع)، بتاريخ: السَّبت (١٥/٨/٢٠١٥م).
- ٤- مقابلة شخصية مع السيد (حميد كاظم أحمد)، بتاريخ: السَّبت (١٥/٨/٢٠١٥م).
- ٥- مقابلة شخصية مع السيد الحاج (علي صالح مهدي)، بتاريخ: السَّبت (١٥/٨/٢٠١٥م).
- ٦- مقابلة شخصية مع السيد (عادل عناد)، سائق تاكسي، بتاريخ: السَّبت (١٥/٨/٢٠١٥م).
- ٧- مقابلة شخصية مع السيد (عقيل يونس)، متولّي مقام سيّدنا الخضر، بتاريخ: السَّبت (١٥/٨/٢٠١٥م).

Iraqi Cabinets in the First Republican Era (1958 - 1968): 14 July 1958 - 7 February, 1959, First Volume, in Arabic. 2005.

Al-Quraishy, Mohammad S. An Introduction to the Iraqi Economy, in Arabic. Mosul, n.d.

Hassan, Mohammad S. Economic Development in Iraq (1864 - 1958), in Arabic. Beirut, n.d.

Jerjees, Sameera Y. Economics of Iraqi Dates, in Arabic. Baghdad, n.d.

Ministry of Defense. Achievements of 14th July Revolution in its Fourth Anniversary, Baghdad, 1958.

Salem, Ahmad J. and Mohammad, Ahmad J. Investment in the Infrastructure and Sources of Financing, in Arabic, n.d.

Fifth / Periodicals and Research Papers

Al-Hadeethy, Younis S. "A Brief Review of the Development of Iraqi Dates Trade". Al-Tijara (Trade) Magazine, No. 2, 1976.

Ath-Thawra Newspaper. No. 65, 7 January, 1959.

Zalzala, Abdul Hassan. "Iraq and Common European Market". Al-Sina'y (The Industrialist) Magazine, No. 1 - 2, 1963.

Sixth / Encyclopedias

Al-Zubaidy, Hassan L. Kadhemi. Iraqi Politics Encyclopedia, in Arabic. Najaf, 2013.

Barley/Rice), 1950 - 1980. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, Mosul University, 1983.

Al-Janaby, Abdul Sattar M.A. The Effect of Political Factors in Improving the External Trade in Iraq (1950 - 1980), in Arabic. Unpublished Ph.D. Thesis, College of Administration and Economics, University of Baghdad, 1958.

Al-Lafta, Azhar A.R. Abdul Kareem. Basra (1958 - 1968): A Study of the City's Economic Conditions, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, University of Basra, 2003.

Al-Mayyahy, Suhaila S. Nasser. The Role of Iraqi Ports in Iraq's External Trade (1997 - 2010). Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, University of Basra, 2013.

Al-Mesa'ed, Mohammad Ali J. The Industry of Grinding Cereals in Basra Governorate. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2017.

Al-Mudarres, Sura M. Salman. Geography of Trade in Iraq (1950 - 1970): A Study in Economic Geography, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Arts, A8n Shams University, Egypt, 1976.

Sulaiman, Qahtan A. Iraq's Foreign Policy from 14 July 1958 - 8 February, 1963, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Law and Politics, University of Baghdad, 1978.

Yousif, Fadya Y. Iraqi Ports Authority (1958 - 1963): A Historical Study of its Departments and Achievements as Reflected in Al-Mawan' (Ports) Magazine, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2015.

Fourth / Books

Al-Aany, Noori A.H. and Al-Harby, Alaa' J. Mohammad. Hisrory of

Bibliography

First / Unpublished Documents

Books and Documents House, Baghdad, File 1078, Shipping Foreign Purchases. From the Ministry of trade to the Ministry of Transport, 18/1/1962.

Second / Published Documents

Al-Waqa'e Al-Iraqia (official gazette), No.229, 2 August, 1959.

-----, No. 222, 28 August, 1960.

-----, No. 611, 2 October, 1960.

-----, No. 603, 13 November, 1961.

Annual Statistical Publication of 1958, in Arabic. Iraqi Ports Authority, Basra.

Basra Port Budget of 1959, Financial Department, Iraq.

The General Annual Statistical Group of 1961, Ministry of Planning.

Third / Theses and Dissertations

Al-Enezy, Ali H. Khamees. Development of Marine Transportation of Iraqi Ports (1950 - 2000), in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Arts, University of Basra, 2004.

Al-Hajjaj, Najneddin A. Evaluating the Proficiency of Iraqi Marine Transportation in Economic Development, in Arabic. Unpublished Ph.D. Thesis, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2015.

Al-Jumaily, Ahmad T.H. Iraq's External Trade of Cereals (Wheat/

53. File No. 9541, Shipping Foreign Purchases from the Ministry of Trade to the Ministry of Transport, date 19/8/1962.
54. Ahmad T.H. Al-Jumaily, Iraq's External Trade of Cereals (Wheat/ Barley/Rice), 1950 - 1980. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, Mosul University, 1983, p. 98.
55. Ibid, p. 103.
56. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 113.
57. Abdul Hassan Zalzal, "Iraq and Common European Market". Al-Sina'y (The Industrialist Magazine, No. 1 - 2, 1963, p. 35.
58. Azhar A.R. Abdul Kareem Al-Lafta, op cit, p. 96.
59. Iraqi Ports Authority, op cit, p. 27.
60. . Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 305.
61. Mohammad Ali J. Al-Mesa'ed, The Industry of Grinding Cereals in Basra Governorate. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2017, p. 48.
62. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 118 - 131.
63. Al-Sina'y (The Industrialist Magazine, No. 1 - 2, op cit, p. 31.
64. Ibid., p. 31.
65. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 158.
66. Ibid., p. 158.
67. Al-Sina'y (The Industrialist Magazine, No. 1 - 2, op cit, p. 32.
68. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 159.

36. Al-Waqa'e Al-Iraqia, No 611, op cit, p. 17.
37. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 348.
38. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, op cit, p. 416.
39. In 1959, Egypt supported the Rebellion of Colonel Abdul Wahab Al-Shawwaf by sending weapons, equipment, and a radio station across Syrian borders. The aim has been to overthrow the Iraqi government. As a result, the political relations between Iraq and Egypt have deteriorated. Yet, the economic relations were not affected, and so the commercial exchange of goods continued based on the agreements in force. See: Al-Thawra Newspaper, No 65, 7 January, 1959.
40. Qahtan A.Sulaiman, op cit, p. 383.
41. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, op cit, Vol. 4, p. 133.
42. Qahtan A.Sulaiman, op cit, p. 384.
43. Sura M. Salman Al-Mudarres, op cit, p. 312.
44. Ibid, p. 314.
45. Al-Waqa'e Al-Iraqia, No. 229, 2 September, 1959, p. 15.
46. Sameera Y. Jerjees, Economics of Iraqi Dates, in Arabic. Baghdad, n.d., p. 61.
47. Al-Waqa'e Al-Iraqia, No. 222, 28 August, 1960, p. 25.
48. Annual Statistical Publication of 1960, in Arabic. Iraqi Ports Authority, Basra, p. 11.
49. Achievements of 14th July Revolution, 1958. Ministry of Defense, p. 290.
50. Ibid, p. 291.
51. Younis S. Al-Hadeethy, "A Brief Review of the Development of Iraqi Dates Trade". Al-Tijara Magazine, No. 2, 1976, p. 46.
52. File No. 1078, Shipping Foreign Purchases from the Ministry of Trade to the Ministry of Transport, date 18/1/1962.

the state's hegemony on the economy. It has control of production and distribution processes. In capitalist countries, on the other hand, the state does not interfere in the economic activities. For more details, browse this link: www.abhatoo.net

23. Najmeddin A. Al-Hajjaj, op cit, p. 11.

24. Abdul Kareem Qassim, the founder of the Republic of Iraq and the Prime Minister (1958 -1963). He was born in Baghdad on 21 November, 1914, of a poor family. His father was a carpenter. He joined the Military College in 1932. He joined the Military Staff College in 1941. In 1957, he was sent to Britain for an intensive military course there. For more details, see Hassan L. Kadhem Al-Zubaidy, Iraqi Politics Encyclopedia, in Arabic. Najaf, 2013, p.498.

25. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, Hisrory of Iraqi Cabinets in the First Republican Era (1958 - 1968): 14 July 1958 - 7 February, 1959, First Volume, in Arabic. 2005, p. 268.

26. Qahtan A.Sulaiman. Iraq's Foreign Policy from 14 July 1958 - 8 February, 1963, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Law and Politics, University of Baghdad, 1978, p. 543.

27. Mohammad S. Hassan, op cit, p. 485.

28. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, op cit, p. 268.

29. Al-Waqa'e Al-Iraqia (official gazette), No.611, 2 december, 1961, p. 11.

30. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, op cit, pp. 31 - 32.

31. Ibid. p.32.

32. Al-Waqa'e Al-Iraqia, No. 603, 13 November, 1961, p. 15.

33. Qahtan A.Sulaiman, op cit, p. 470.

34. Noori A.H. Al-Aany and Alaa' M.Al-Harby, opcit, p. 270.

35. Ibid, p. 415.

7. Suhaila S. Nasser Al-Mayyahy, op cit, p. 15.
8. Abdul Sattar M.A. Al-Janaby. The Effect of Political Factors in Improving the External Trade in Iraq (1950 - 1980), in Arabic. Unpublished Ph.D. Thesis, College of Administration and Economics, University of Baghdad, 1958, pp. 79-80.
9. Mohammad S. Turkey Al-Quraishy, An Introduction of the Iraqi Economy, in Arabic. Mosul, n.d., p. 134.
10. Basra Port Budget of 1959. General Financial Directorate, Iraq, p. 138.
11. Sura M. Salman Al-Mudarres, Geography of Trade in Iraq (1950 - 1970): A Study in Economic Geography, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Arts, A8n Shams University, Egypt, 1976, p. 35.
12. Mohammad S. Turkey Al-Quraishy, op cit, p. 144.
13. Najmeddin A. Al-Hajjaj, Evaluating the Proficiency of Iraqi Marine Transportation in Economic Development, in Arabic. Unpublished Ph.D. Thesis, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2015, p. 11.
14. Mohammad S. Turkey Al-Quraishy, op cit, p. 144.
15. . Basra Port Budget of 1959, op cit, p. 135.
16. Ibid, p. 155.
17. Mohammad S. Turkey Al-Quraishy, op cit, p. 144.
18. Abdul Sattar M.A. Al-Janaby, op cit, p. 80.
19. Najmeddin A. Al-Hajjaj, op cit, p. 125.
20. Mohammad S. Turkey Al-Quraishy, op cit, p. 145.
21. Mohammad S. Hassan. Economic Development in Iraq (1864 - 1958), in Arabic. Beirut, n.d., p. 485.
22. The economic system in socialist countries is characterized by

Endnotes

1. Basra (or Ma'qel) Seaport was set up in 1919. It had 15 quays. Ships with a draft of 8.84 meters were able to use these quays. See, Ali Hussain Kh. Al-Enezy, Development of Marine Transportation of Iraqi Ports (1950 - 2000), in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Arts, University of Basra, 2004, p. 41.

2. Suhaila S. Nasser Al-Mayyahy, The Role of Iraqi Ports in Iraq's External Trade (1997 - 2010). Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, University of Basra, 2013, p. 15.

3. The year 1958 represented a new stage in the political and economic history of Iraq. This year witnessed the downfall of the monarchy in the country and the foundation of the first republican rule under the leadership of Abdul Kareem Qassim. Political, economic and social transformations occurred leaving their imprint on the lives of people including the Iraqi ports. For more details, see: Fadya Y. Yousif, Iraqi Ports Authority (1958 - 1963): A Historical Study of its Departments and Achievements as Reflected in Al-Mawan' (Ports) Magazine, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education for Human Sciences, University of Basra, 2015, p.1.

4. Ahmad J. Salem and Ahmad J. Mohammad, Investment in the Infrastructure and Sources of Financing, in Arabic, n.d., p. 89.

5. Ali Hussain Kh. Al-Enezy, op cit, pp. 90 - 91.

6. Azhar A.R. Abdul Kareem Al-Lafta, Basra (1958 - 1968): A Study of the City's Economic Conditions, in Arabic. Unpublished M.A. Dissertation, College of Education, University of Basra, 2003, p. 113.

- **Wool:** The production of wool in Iraq did not exceed 82.000 quintals which is about 10.6% of the world production. The exports of Iraqi wool for the years 1959 - 1962 were limited in comparison with the wool imported from abroad. Yet, the Iraqi wool is known for its high quality.⁽⁶⁷⁾ Iraq's exports of wool decreased in 1963 due to the expansion in the spinning and textile industry.⁽⁶⁸⁾

5. Conclusion

The year 1958 constituted a big change and an important factor in Iraq. Basra Seaport was among the establishments affected by that change. The new economic policy and new institutions witnessed in Iraq led to project the role of the public sector. The Port therefore achieved lucid progress in its external trade activity. The Iraqi government has succeeded in developing its relations with world countries. Basra Port also contributed considerably to the commercial services connected with the imports and exports from and to Iraq.

out this project. Basra Silo was inaugurated on 1 October, 1961, with 102 stores to store cereals from local farmers of Basra and other governorates, or the cereals imported from abroad.⁽⁶³⁾

In 1962, the quantity of wheat exported through Basra Port amounted to 38.844 tons while the quantity of barley was around 15.073 tons.⁽⁶⁴⁾

b. Raw Materials

- **Leather:** Iraq's exports of leather across Basra Port during 1958 - 1959 were about 224 tons only out of world product. This is because Iraqi leather is less in quality than the leather products of some countries such as Pakistan, India, or Nigeria.⁽⁶⁵⁾ In 1960, Iraq's exports of leather amounted to a cost of 623.000 dinars with a percentage of 7.5% of Iraqi exports. In 1961, the cost of exports amounted to 578.000 dinars with a percentage of 7.5%. In 1962, the exports of leather abroad amounted to a cost of 964.000 dinars with a percentage of 4.5%, while in 1963, the cost of Iraqi exports of leather amounted to 990.000 dinars with a percentage of 6% of the value of all Iraqi exports.⁽⁶⁶⁾

not exceed 1.1%, since any increase in this percentage will affect the prices of barley exported abroad.⁽⁶⁰⁾

- **Rice:** Rice came third after wheat and barley as to production and cultivated area. It is highly important within the foodstuff favored in Iraq. Iraq's exports of rice in 1960 across Basra Port amounted to 172.000 tons while in 1961, the exports increased to 862.000 tons. Iraq's imports of rice amounted to 53.338 tons with a cost of 2.719.312 dinars. The Iranian ships loaded with rice (14.163 tons) that entered Basra Port were 2 while Japanese ships (21.754 tons) were 4.⁽⁶¹⁾ The storage capacity of the Port at that time was about 200.000 tons, in addition to other areas to receive heavy cargoes.⁽⁶²⁾

The Iraqi government then put an economic plan with the aim of implementing projects that develop cereals production in the country especially in Basra. As a consequence, Basra Silo was set up on the bank of Shatt Al-Arab to facilitate importing and exporting various agricultural products. Some international companies like the American Pooler and the German Siemens carried

Syria came second.⁽⁵⁶⁾

- **Cereals:** This kind of agricultural product is of high importance within Iraq's exports through Basra Port. These cereals were internationally in demand. Wheat and barley were the most important of these cereals.

- **Wheat:** It is highly important being a basic foodstuff. Iraq is a wheat-producing country. It produced around 1020 tons, i.e. 13.47% of the total product of Arab countries.⁽⁵⁷⁾

In spite of Iraq's high production of wheat during 1958 - 1959, the Iraqi government prevented the exports of wheat due to the local need to it as the number of population has increased. For this reason, Iraq imported wheat amounting to 1.055.138 tons from European countries. The quantity of wheat imported in 1960 amounted to 15.494 tons.⁽⁵⁸⁾

- **Barley:** This product came second after wheat. In 1959, the quantity of barley exported to European countries amounted to 433.090 tons with a cost of 814.461 dinars. In 1960, the quantity of barley exported to France amounted to 462.210 tons with a cost of 8.700 dinars.⁽⁵⁹⁾

Iraq's imports of the total world production of barley did

markets:⁽⁵⁰⁾

- **U.S. Market:** The exports of Iraqi dates across Basra Port to the United States in 1961 amounted to 23.143 tons with a cost of 1082 thousand dinars.⁽⁵¹⁾

- **British Market:** The exports of Iraqi dates to Britain amounted to 3820 thousand dinars in 1961. The number of British ships that entered and left Basra Port were 29 with a total cargo of 100.751 tons.⁽⁵²⁾

- **Italian Market:** The Iraqi dates exported to Italy in 1961 amounted to 8.610 tons while the number of Italian ships that entered Basra Port were 4.⁽⁵³⁾ The Port authorities imposed charges on the exported dates. This increased the cost of dates exported to European and other countries. Iraq's imports of Italian productive goods in 1962 amounted to 588.760 dinars. Iraqi exports of dates to socialist countries in 1962 amounted to 112.531 tons.⁽⁵⁴⁾ This is mainly owing to cordial political relations with these countries especially the Soviet Union and China.⁽⁵⁵⁾ The cost of exports of Iraqi dates to some Arab countries amounted to about 140.000 dinars. Lebanon was the first importer of Iraqi dates while

and Europe's markets had to import dates directly from Iraqi ports. The markets of Italy, Jedda, and Egypt were exempted from this.⁽⁴⁶⁾ The quantity of dates exported to the United Kingdom amounted to 5.316 tons, 9.022 tons to the United States, and 2.251 tons to Australia. The dates exported through Basra Port to some Arab Gulf states amounted to 4.650 tons, while the number of ships that entered and left the Port came to 1182.⁽⁴⁷⁾

In 1960, the Deiry dates, a type of dates, were exported for the first time.⁽⁴⁸⁾ The total amount of dates exported in 1960 amounted to 29.676 tons on August. In September, it amounted to 18.154 tons, while the total quantity of exported dates through Basra Port amounted to 483.517 tons.⁽⁴⁹⁾

To manage the trade of dates and secure suitable prices for producers and owners, the Iraqi Cabinet decided in 1961 to let Dates Trade Company to buy the dates produced in Basra directly from their owners. A delegation from this company travelled to Europe and succeeded in holding deals to sell Iraqi dates through Basra Port to the following

the Port in transportation and trade. It helped to develop the country's economic infrastructure and its productive capacity.⁽⁴³⁾ Basra Port imported different types of goods, most important of which were textiles, tobacco, sugar and tea. Iraq's exports included dates, cereals, leather, wool, etc.⁽⁴⁴⁾ as follows:

a. Foodstuff

- **Dates:** The exports of Iraqi dates constituted prominent importance in Iraq's external trade across Basra Port. The quantity of dates, of various types exported in 1958 to socialist countries, amounted to 338.985 tons, while the number of ships entering Basra Port and leaving it came to 1518.⁽⁴⁵⁾

In 1959, the Council of the Iraqi Dates Society, with the approval of the Ministry of Trade, issued instructions on market specialization based on the types of dates. Al-Hillawi and Al-Khadhrawi dates were exported to the United Kingdom, the United States, Canada, Australia and New Zealand. The Red Sea markets including the Sudan, Yemen, East African Ports, the Arabian Sea, the Arab Gulf

28 January 1960. The agreement aimed at enhancing economic cooperation, growing commercial exchange, and bolstering friendly relations through trade. It was agreed to balance both imports and exports of the goods transported between Basra Port and Egyptian ports. The quantity of goods exported to Egypt, mainly dates, amounted to 4.569 tons with a cost amounting to 86.062 dinars.⁽⁴¹⁾

c. The Agreement of Arab Financial Establishment

in 1961, Iraq signed the Arab Financial Establishment Agreement for Economic development. During 1962 - 1963, Iraq took part in the meetings of the Economic Council in Cairo. The Council agreed to cancel the restraints imposed on imports and exports licenses among Arab countries, facilitate commercial transactions, and organize transit trade among Arab countries.⁽⁴²⁾

4.3 The Third Section: Importance of Basra Port for Iraq's External Trade (1958 - 1963)

Basra Port assumed lucid importance in Iraq's external trade. This has been achieved through the role played by

4.2.3 Arab Countries

a. Commercial Cooperation Agreement with Egypt

Iraq and Egypt signed a commercial agreement on 15 November, 1958. The agreement stipulated that the two parties should import agricultural, animal, and industrial products from each other. It was agreed to facilitate carrying commercial goods between Egyptian ports and Basra Port. A supplement was added to the agreement later on that listed goods exempted from customs duties where a tariff amounting to 75% of the normal tariff was granted. According to the agreement, the quantity of Iraqi dates exported to Egypt amounted to 8.750 tons with a cost of 134.810 dinars.⁽³⁸⁾

The year 1959 witnessed disagreements between Iraq and Egypt where Iraq accused the Egyptian authorities of supporting Mosul Revolution of 1959³⁹; yet, commercial relations continued between them.⁽⁴⁰⁾

b. Commercial Cooperation Agreement with Tunisia

Iraq and Tunisia signed a commercial agreement on

agreement in 1960. The agreement stressed the importance of expanding trade including exchanging of goods in accordance with imports and exports regulations in effect in both countries. The agreement included free entry into Iraqi ports and costs of loading and unloading goods. In line with this agreement, Indonesia imported Iraqi dates amounting to 8.000 tons, and the number of ships entering into Basra Port came to 35.⁽³⁵⁾

c. Commercial Cooperation Agreement with China

Iraq and China signed a commercial agreement on 25 May, 1961. The agreement identified the types of commodities to be imported or exported between the two countries. The cost of Iraqi exports through Basra Port to China amounted to 134.500 dinars, and the number of ships that entered Basra Port were 191.⁽³⁶⁾

For the period 1958 - 1963, most countries that signed agreements with Iraq pledged to import certain Iraqi goods while Iraq pledged to import certain goods from these countries. Dates was the main commodity exported by Iraq to them.⁽³⁷⁾

and India signed a commercial agreement on 29 December, 1958. The agreement reflected the two countries' wish to enhance commercial relations taking into consideration the mutual interests. The agreement also tackled matters related to marine transportation through Basra Port and to the costs of loading and unloading goods, taxes, and the holding of commercial fairs.⁽³³⁾

In 1959, an Iraqi delegation visited India and held talks with the Indian government. The visit aimed at bolstering commercial ties between the two countries. The commercial exchange of goods developed noticeably especially for goods like Iraqi dates and Indian tea. In this respect, the quantity of Iraqi dates exported to India through Basra Port amounted to 51.211 tons while the number of ships entering and leaving Basra Port came to 22.⁽³⁴⁾

b. Commercial Cooperation Agreement with Indonesia

Indonesia's foreign policy stood by the Iraqi 14 July Revolution. Iraq in turn took a friendly attitude. The two countries exchanged visits. As a result of such a rapprochement, Iraq and Indonesia signed a commercial

tons. Denmark exported industrialized goods. Some of these goods were exempted from customs duties in trade transactions between the two countries. The number of ships entering to and leaving from Basra Port was 103. Some procedures were taken to encourage selling and buying goods.⁽³¹⁾

f. Commercial Cooperation Agreement with Finland

Iraq signed a commercial agreement with Finland in 1961 with the aim of expanding commercial transactions and facilitating commercial exchange including organizing commercial fairs and promoting Finland exports to Iraq through Basra Port. The cost of Iraqi imports of machinery and instruments from Finland came to 313.421 dinars.⁽³²⁾

4.2.2. Asian Countries

a. Commercial Cooperation Agreement with India

India welcomed the Revolution of 14th July, 1958, being a noticeable turnover from alignment policy to a positive neutrality policy India used to call for. As a result of the political rapprochement between the two countries, Iraq

of equality and mutual benefits between the two countries. It also provided customs facilities between Iraqi ports and Soviet ports. This was added to the expansion of transit trade. The two countries also signed a protocol on the Soviet legal commercial status in Iraq. The two countries have signed another commercial agreement on 18 August 1960 according to which the Soviet Union granted Iraq a loan of 180 million rubles to finance economic projects including Basra Port by developing its quays and storehouses.⁽²⁹⁾

e. Commercial Cooperation Agreement with Denmark

A commercial agreement was signed between Iraq and Denmark on 12 January, 1960. The agreement reflected the two countries' wish to grow and expand trade relations between them through economic ties based on respect for mutual interests. The agreement also granted the two parties privileges as to trade, especially on customs matters and costs of storing goods in Basra Port.⁽³⁰⁾

The agreement identified Iraqi goods, mainly dates, to be exported to Denmark through Basra Port. The quantity of Iraqi dates exported to Denmark amounted to 8.685

on 21 December, 1958, following negotiations between the Iraqi Ministry of Economy and representatives of the Czech government in Baghdad. The two countries have expressed their wish to expand economic cooperation and commercial relations based on equality and reciprocal profits. The two parties sought to facilitate the exchange of goods, granting imports and exports licenses across Basra Seaport and according to the laws and regulations of the two countries. Tables were later on added to the agreement listing goods to be exported through Basra Port to Czechoslovakia and vice versa. After that, a new agreement was signed between the two countries. The volume of Czech exports to Iraq amounted to 49.500.000 million kronas. Machinery constituted 8.5% of the total exports. The Czech Republic imported 15.570 tons of Iraqi foodstuff.⁽²⁸⁾

d. Commercial Cooperation Agreement with the Soviet Union

Iraq and the Soviet Union signed a commercial agreement on 16 March, 1959. The agreement laid down the principles

amount of its productive goods to Iraq.⁽²⁶⁾

b. Commercial Cooperation Agreement with Romania

Iraq and Romania signed a trade agreement on 14 December, 1958, in Baghdad. The two countries expanded trade exchange between them. The two parties pledged to grant imports and exports licenses of the goods listed in the agreement. Iraq, on its part, granted Romanian ships all facilities required to ensure a free entry into Basra Seaport together with the customs duties of loading and unloading. Romania had to export equipment, manufactured goods, etc. A list of the goods to be exported from Romania to Iraq and vice versa was added to the agreement later on.

This agreement, thus, promoted the productive capacity of Basra Port and raised its revenues. The Iraqi dates exported to Romania through Basra Port amounted to 368 thousand tons with a cost coming to 23.433 dinars.⁽²⁷⁾

c. Commercial Cooperation Agreement with Czechoslovakia

Iraq and Czechoslovakia signed a commercial agreement

countries was characterized by reciprocal commercial cooperation without breaching the country's sovereignty and independence. Such relations were based on a number of commercial agreements with the aim of bolstering Iraq's exports. The following are the most important of these agreements:⁽²⁵⁾

a. Commercial Cooperation Agreement with Yugoslavia

A commercial agreement was held with Yugoslavia on 2 October, 1958. The agreement promoted trade transactions between the two countries and also increased the volume of transit trade through Iraqi ports including Basra Port and Yugoslavian ports. Another agreement was signed to host 64 Yugoslavia sailors to work in the Iraqi ships. The agreement stipulated also that companies from one country could carry out economic activity in the other country, follow up commercial relations, exchange skills and expertise, and provide machinery to Iraq. It was agreed also that Yugoslavia should import Iraqi dates through Basra Port and other Iraqi ports in quantities equal to a certain

4.2 Second Section: The Influence of External Agreements on Trade in Basra

Seaport

In 1958, Basra Seaport played an important role in developing Iraq's external trade. Iraq needed to promote its economic relations with other countries to obtain profits and develop agricultural and industrial products. The growth of external trade was accompanied with the means of transportation such as the national Transportation Company and marine transportation including Basra Port.⁽²¹⁾ To back up the external commercial activity, both imports and exports of foodstuff and raw materials had to be improved. This required holding a number of commercial agreements with socialist, capitalist,⁽²²⁾ European, Asian and Arab countries to support Iraq's economy.⁽²³⁾

4.2.1 European Countries

European socialist countries were the first to recognize 14 July Revolution, 1958, led by Abdul Kareem Qassim.⁽²⁴⁾ As a result, Iraq established political and commercial relations with these countries. Iraq's policy towards capitalist

⁽¹⁵⁾ The Iraqi government therefore allocated in 1959 a budget to develop quays and storehouses in Basra Port of 20.000 dinars. Port spending at that time on maintaining air conditioning stores amounted to 2.000 dinars. The revenues obtained from goods stacked up in the port floor amounted to 300.000 dinars. The charges of unloading goods came to 215.000 dinars,⁽¹⁶⁾ while the cost of serving ships amounted to 15.000 dinars. The quayage and storage on goods at the Port amounted to 350.000 dinars. This is an indicator of the promotion of the loading and unloading of ships in the Port as revenues obtained came to 700.000 dinars.⁽¹⁷⁾

In 1961, the Port administration developed the storehouses, the number of which reached 32 provided with equipment, cranes, and other requirements.⁽¹⁸⁾ This was reflected positively on the activity of the Port which began to receive ships of various cargoes.⁽¹⁹⁾ During 1962 - 1963, the Port included more areas for storing and stacking up goods such as iron, timber, plastic pipes, etc.⁽²⁰⁾

goods includes also carrying goods inside the Port. These equipment have been improved in harmony with the development of the sizes and types of ships. In 1959, the Port administration bought electric cranes with the capacity of 3- 6 tons. These cranes amounted to 61 with a loading capacity amounting to 61 thousand tons.⁽¹²⁾

4.1.3 Means of Transportation Available in the Port

Loading and unloading goods from ships entails the availability of means of transportation inside the Port to provide the services required. Such means are also needed to convey goods to the city of Basra. This requires 'planning' the city of the Port (Basra) to secure integrity between the city and its Port.⁽¹³⁾ For this reason, the Iraqi government allocated in 1959 a budget of 120.000 dinars where railways were set up to carry cargoes from the main quays and storehouses inside the Port to various parts of Iraq. The revenues gained amounted to 1.300.000 dinars.⁽¹⁴⁾

4.1. 4 Storage Capacity of the Port

There should exist other facilities to support the capacities of the Port quays to ensure a flexible movement of goods.

be the major contributor of the Port's trade. The volume of commodities unloaded in Basra Port amounted to 1057 thousand tons; the exports amounted to 924 thousand tons. These transactions motivated the Port's administration to facilitate delivering the goods in a flexible manner. The following elements are of special importance in this respect:

4.1.1 Identifying the Sizes and Nature of Ships Entering the Port and Leaving it

This procedure requires identifying the types and sizes of ships anchoring to the Port's quays. The Port , for this reason, should be always ready to receive these ships.⁽⁹⁾ The Iraqi government put a budget for Basra Port in 1959 which amounted to 68.500 dinars to operate quays and storehouses; 66.500 dinars to operate cranes and 200.000 dinars for maintenance.⁽¹⁰⁾ The number of quays increased into 15 capable of receiving 12 ships of different cargoes at the same time.⁽¹¹⁾

4.1.2 Shipping Goods

The equipment used in shipping and unloading

conveyed through railways and marine transportation. There are two reasons for this:

1. The Iraqi economy at that time was based on oil exports. The imports included industrial goods, cereals, agricultural machinery, etc.
2. The development of highways that connect Iraq with other countries.⁽⁵⁾

Also, in 1958, The Supreme Iraqi Financing Committee sought to organize the trade imports. The main aim was to safeguard the country's industry by preventing the imports of goods similar to local ones and decreasing the imports of luxurious and entertaining goods to promote Iraq's economic development.⁽⁶⁾ The rate of exports in 1958 increased to \$374 millions. Such an increase led to improve the Iraqi national income. It was reflected on the development of economic and commercial sectors including Basra Seaport.⁽⁷⁾ Despite the increase of exports at that time, the imports were much needed for Iraq especially machinery and foodstuff.⁽⁸⁾

The promotion of commercial activity is considered to

(1958 - 1963) covering the Port's imports and exports.

The study has made use of different sources including Ph.D. theses and M.A. dissertations, books, newspapers, the Iraqi Ports Authority's annual reports, etc.

4.1 First Section: Abdul Kareem Qassim's Policy Towards Developing Trade

Activity in Basra Seaport.

Iraq enjoys a marine location on the Arab Gulf. Therefore, Basra Seaport has a prominent status together with a vital geographic location.⁽¹⁾ This Port serves as an effective tool to activate the Iraqi national economy through its external trade activity.⁽²⁾

The political changes in Iraq witnessed in 1958 ⁽³⁾ directly affected transportation which has expanded due to regional relationships among various countries despite their politically disparate inclinations.⁽⁴⁾ Following these political changes, some changes occurred in the Ministry of Transport. As a result, the percentage of exports decreased in comparison with imports that began to increase. Economic developments led to increase exported goods

3. Problems of the Study

The state departments and offices concerned did not show cooperation in providing the necessary information needed to write on Basra Seaport external trade. The researchers were therefore forced to use the alternative solution: books, newspapers, personal interviews, magazines, publications, etc. to compensate for the lack of the data required.

4. Research Methodology

This study is divided into an introduction, three main sections, and a conclusion. The First Section deals with the policy followed by Abdul Kareem Qassim towards developing the trade activity in Basra Seaport. This includes a survey of the most important service developments witnessed in the Port after 14th July Revolution, 1958. The Second Section covers the influence of external agreements on the trade activities in Basra Seaport shedding light on the agreements held with various world countries. The Third Section tackles the importance of Basra Port for the period

1. Introduction

Studying Iraq's openness with other countries for the period 1958 - 1963 is of special importance. The Seaport of Basra is considered to be the only outlet for Iraq for the outer world. Through this port, the external commercial transactions are carried out. It is the marine passage for various commercial goods and also for ships including shipment and unloading. Besides, the Iraqi government at that time has undertaken some political changes that contributed to the development of the Port being an effective tool for activating the national economy through commercial exchanges connected with Iraqi imports and exports.

2. Importance of the Study

This paper highlights the important role of Basra Seaport in Iraq's external transactions. It also tackles the policies of economic openness and expectations of promoting Iraq's commercial transactions.

ملخص البحث

يهدف البحث الحالي إلى دراسة سياسة الانفتاح التجاري للحكومة العراقية بعد قيام ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨)، وتوجّوها توجّهاً جديداً من خلال التعامل مع جميع دول العالم، مع غُضّ النظر عن سياسة الدُّول، وأثر هذا الانفتاح على ميناء البصرة في تفعيل وتنشيط حركة التجارة الخارجية، وبزيادة تعاملات العراق التجارية يعني زيادة الطلب على خدمات الميناء. وناقش البحث سعي الحكومة العراقية عام (١٩٥٨) إلى الاهتمام بالميناء وتطويره، من حيث الأرصفة وطاقاتها، وكميّة البضائع المستوردة، والسفن القادمة إلى الميناء، وتعزيز دوره على مستوى الاقتصاد الوطني، بالتزامن مع الرغبة في تنمية الأنشطة الصناعيّة والتجاريّة؛ إذ إنّ تجارة العراق تعتمد بشكل كبير على الموانئ، ومنها ميناء البصرة بحكم ما يتمتع به العراق من موقع استراتيجي متميّز يطلّ على الخليج العربيّ.

Abstract

The present study aims at investigating trade openness policy of the Iraqi government following the 14th of July Revolution, 1958, and the inclinations shown in dealing with various countries regardless of their political orientations. Special attention has been paid to the impact of such openness on the commercial activities of Basra Seaport. The study highlights also the lucid attention paid by the Iraqi government to develop the Port through increasing the number quays, promoting their capacities, the increasing quantities of imported goods, and enhancing its role in the national economy. This arises from the importance of Basra Seaport which plays a leading role in the commercial and industrial sectors.

The Effect of Trade Openness of the
Iraqi Government with Other Countries
on the Commercial Movement in Basra
Seaport (1958- 1963)

أثر انفتاح الحكومة العراقية تجارياً مع دول العالم
على الحركة التجارية في ميناء البصرة

م.م. عقيل عبد الكريم مطر الكعبي

أ.د. ياسين طه ياسين الهارون

جامعة البصرة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

By

Dr. Yassin T. Yassin Al-Haroun, Professor

Aqeel A.K. Mattar Al-Ka'by, Assistant Lecturer

Department of History, College of Arts,

University of Basra, Iraq

A Treatise on Slaughtering Fish By Sayyed Abdul Razzaq bin Ali Al-Helou

Mudrek Sh. Al-Hassoon

Researcher, Basra Heritage Center

253

The Geographical Distribution of Religious Sanctuaries in Basra

Mohsen Rabih Ghanem

325

The Effect of Trade Openness of the Iraqi Government with Other Countries on the Commercial Movement in Basra Seaport (1958-1963)

Dr. Yassin T. Yassin Al-Haroun, Professor

Aqeel A.K. Mattar Al-Ka'by, Assistant Lecturer

Department of History, College of Arts, University of Basra, Iraq

19

Contents

Arguments in the Address of Yazeed bin Mas'ood Al-Nahshaly Al-Basri to His People and His Answer to Imam Hussain (PBUH)

Dr. Salem Y. Yousif Al-Salemy, Professor
Department of Arabic, College of Education for Human Sciences, University of Basra.

25

Bin Hisham's Grammatical Contradictions with the Basris in Awdhah Al-Masalek

Dr. Ahmad A. Nooh, Assistant Professor
College of Education, Qurna, University of Basra.

83

Muhadhib al deen Al basri and his Creed in Indication of Accomplishment Proof on Delayed Accomplishment of an Obligation (comparative research)

Dr. Mahmood M. Chaied Al-Edany, assistant professor
Al-Mustafa University, Holy Qum, Iran

113

Methods of Understanding the Qur'anic Text between Al-Jahedh and the Contemporary Viewpoints: A Linguistic Approach

Dr. Hayder Gatea Al-Darraj
Imam Kadhem University College for Islamic Sciences, Basra

177

The Persian siege of Basra (1624-1625) According to Della Valle , the Italian Traveler

Dr. Fatima F. Jassem, Assistant Professor - Fatima A.J. Yasser, Lecturer
Department of History, College of Education for Human Sciences, Dhi Qar University

215

1625), its consequences and effects according to the Italian traveler Della Valle. In addition, there is a research work on an inquiry of a manuscript entitled A Treatise on Slaughtering Fish, and another paper on the geographic distribution of religious endowments in Basra. Finally, the English research paper is on Iraq's commercial relationships with other countries via Basra Port (1958-1963).

It is hoped that the knowledge expressed in Number 9 of our Bulletin would shed more light on the rich heritage of Basra.

Editorial Board

1- Read this hadeeth: "We, the community of prophets, are not bequeathed". See, Al-Ehtejaj (The Protest) by Al-Tubrisy: 1/142.

2- Ahmad F. Al-Ajarma "Mohammad Aabed Al-Jabery and Heritage". The Jordanian Journal of Social Sciences. Vol. 12, No. 3, 2019.

3- Al- Kafy: 1/52.

central tendency. Such a tendency still seeks to explore the particulars of heritage in various parts of the world the Europeans entered either peacefully or by war. A question is raised here: Why do they gather almost everything related to these countries, monopolize it and even confiscate other nations' heritage?! An example is cited in this Number of our Bulletin where the occupation troops that entered Iraq in 2003 have seized the tombs memorial plates in a cemetery for Jews in Basra.

Number 9 of this Bulletin contains a number of research papers that tackle various subjects. The first paper is on Imam Hussain's letter sent to the citizens of Basra and Yazeed bin Mas'ood Al-Nahshaly's answer of that letter. The second paper is on Basra's grammar in the views of bin Hisham. The third paper reviews the scholarly views of Muhadhab Eddin Al-Basri in his manuscript entitled The Dear Masterpiece. Another paper is on understanding the Qur'anic text adopting a linguistic approach between Al-Jahedh and contemporary scholars. The next paper is on modern history, namely the Persian Siege of Basra (1624-

Strangely enough, some modern researchers maintain that the term 'heritage' was not used in the past to mean cultural and intellectual heritage! The real meaning, they claim, is restricted solely and basically to the dead person's patrimony to one's sons and daughters.⁽²⁾ In fact, the concept of 'heritage' is firmly established in the Islamic nations' thought in various aspects. This is manifest in the compilations and books of men of letters at that time, the due care given to circulating books, the scholars' sessions, etc. In this respect, it is interesting to highlight here what has been reported by Imam Ja'far Al-Sadeq as conveyed to him by Imam Hussain on advising somebody to continue writing and transferring his knowledge to his brothers; in case this person dies, his sons should inherit his books and other publications.⁽³⁾

One of the important issues here is the awareness of the feasibility of heritage. However, some views and beliefs are away from understanding the importance of heritage and its role in engendering awareness and its renewal that could lead to pull down what is called the European

Opening Address

In The Name of Allah, the Compassionate and the Merciful

There is no doubt that the term 'heritage' , especially at present, has stabilized conceptually and procedurally in many aspects (moral, human, and scientific). This conceptual stability has been governed by various factors which have generally sought to investigate, fathom, study old heritage critically and compare it with international heritage systems. This can help to project the distinctive characteristics of our old heritage.

Yet, it is quite clear for any serious research of Arabic and Islamic heritage that it has deep-rooted origins. The concept of 'heritage' in this respect has been stated in the Holy Qur'an. Some traditions (ahadeeth) have been devised and attributed to Prophet Mohammad (PBUH), with the aim to firm up such a concept -- purposefully for political reasons.⁽¹⁾

wherefores of the disapproval.

e: Research papers to be published are only those given consent by experts in the field.

f. The researcher would be bestowed a copy of the journal in which the research paper is published, together with a financial reward.

13. Priority in publication is dictated by the following:

a. Research papers delivered in conferences or symposiums held by Basra heritage Center.

b. The date of receiving the research papers concerned by the Editor-in-Chief of the journal.

c. The date of submitting the research papers after carrying out the required modifications.

d. Diversifying research papers topics as much as possible.

14. Research papers should be emailed to the Center's main office location:

Basrah heritage Center

Al Buradieia

Syd 'Amin Street,

Basrah, IRAQ

publication.

11- The ideas contained in the research paper manifest the viewpoints of the researchers themselves; it is not necessary that they come in line with the general policy of the Journal. The research papers arrangement is subject to technical priorities.

12- All research papers are exposed to confidential revision to secure their reliability for publication. No research paper would be returned to researchers, whether they are approved or not. The publication procedures are as follows:

a: The researcher should be notified to deliver the research paper for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b: The researchers whose papers are approved are notified of the expected date of publication.

c: The papers to be rephrased or those that require any modification, before publication, would be sent back to the respective researchers together with the notes to be prepared for final publication.

d: Notifying the researchers whose research papers are not approved; it is not necessary to state the whys and

documented in the endnotes, taking cognizance of the common scientific procedures in documentation including the title of the book, editor, publisher, publication place, version number, publication year and page numbers. Such procedure is used in the first reference to the source. But if it is used again, documentation should include only the title of the book and the page number.

7- In the case of having foreign sources, there should be a bibliography apart from the Arabic one, and such books and researches should be alphabetically ordered.

8-Printing all tables, pictures, graphs and charts on attached papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption. There should be a reference to them in the context.

9- Attaching the curriculum vitae. If the researcher contributes to the journal for the first time, it is necessary to manifest whether the research paper was submitted to a conference or a symposium for publication or not. There should be an indication to the sponsor of the project, scientific or nonscientific, if any.

10- The research paper presented should never have been published before, or submitted to any means of

Publication Rules in Basrah Heritage Journal

Basrah Heritage Quarterly Journal receives original research papers under the provisions below:

1- The paper should cope with the interests and goals of the journal(Basrah Heritage issues).

2- Research papers or studies to be published should strictly be according to the globally-agreed- on standards.

3- The paper should be printed on (A4). Three copies and a (CD) having ,approximately, 5000-10000 words using simplified Arabic or Times New Roman font and in pagination should be delivered to the Journal Editor in Chief.

4- An abstract in Arabic or English, not exceeding one page,150 words, with the research title, should be delivered with the paper.

5- The front page should have the title, the name of the researcher/researchers, occupation, address, telephone number and email. Name(s) of the researcher / researchers in the context should be avoided.

6- All sources used in the research paper should be fully

Managing Editor

Assist. Prof. Amir Abed Muhsen Al Sa'ad

Editorial Secretary

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Editorial Board

Prof. Husain Ali Al Mustafa \College of Education for Humanitarian
Sciences\University of Basrah

Prof. Raheem Hilo Muhammad\College of Education for Women
\University of Basrah

Prof. Shukri Nasser Abdul Hassan/College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

Prof. Najim Abdulla Al Musawi \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Abdul Jabbar Al Helfy \College of Administration and
Economics\ University of Basrah

Assist. Prof. Muhammad Qasim Ni'ma \College of Education for
Women \University of Basrah

Assist. Prof. Emad Jghaim Owaid \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Sabah Edan Al Ebadi \College of Education\University
of Maisan

Assist. Prof. Ali Majid al-Badri /College of Arts \University of Basrah

Arabic Language Check-up

Dr. Tariq Muhammad Hassan Mutar

Financial Administrator

Sa'ad Salih Besheer

Website

Ahmad Husain Al Husainy

Design and Printing Production

Muhammad Shihab Al Ali

The General Supervisor

Seid. Ahmad Al Saffy
The General Guardian of Al-Abbass Holy Shrine

Scientific Supervisor

Sheikh Ammar Al Hilaly
Chairman of the Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs
Department in Al-Abbass Holy Shrine

Editor in Chief

Sheikh Shaker Al Muhammady

Advisory Committee

Prof. Sae'd Jasim Al Zubaidy/University of Nazwa/Sultanate of
Oman

Prof. Abdul Jabbar Najy Al Yasiry \House of Wisdom\Baghdad
Prof. Tariq Nafa' Al Hamdani\College of Education \University of
Baghdad

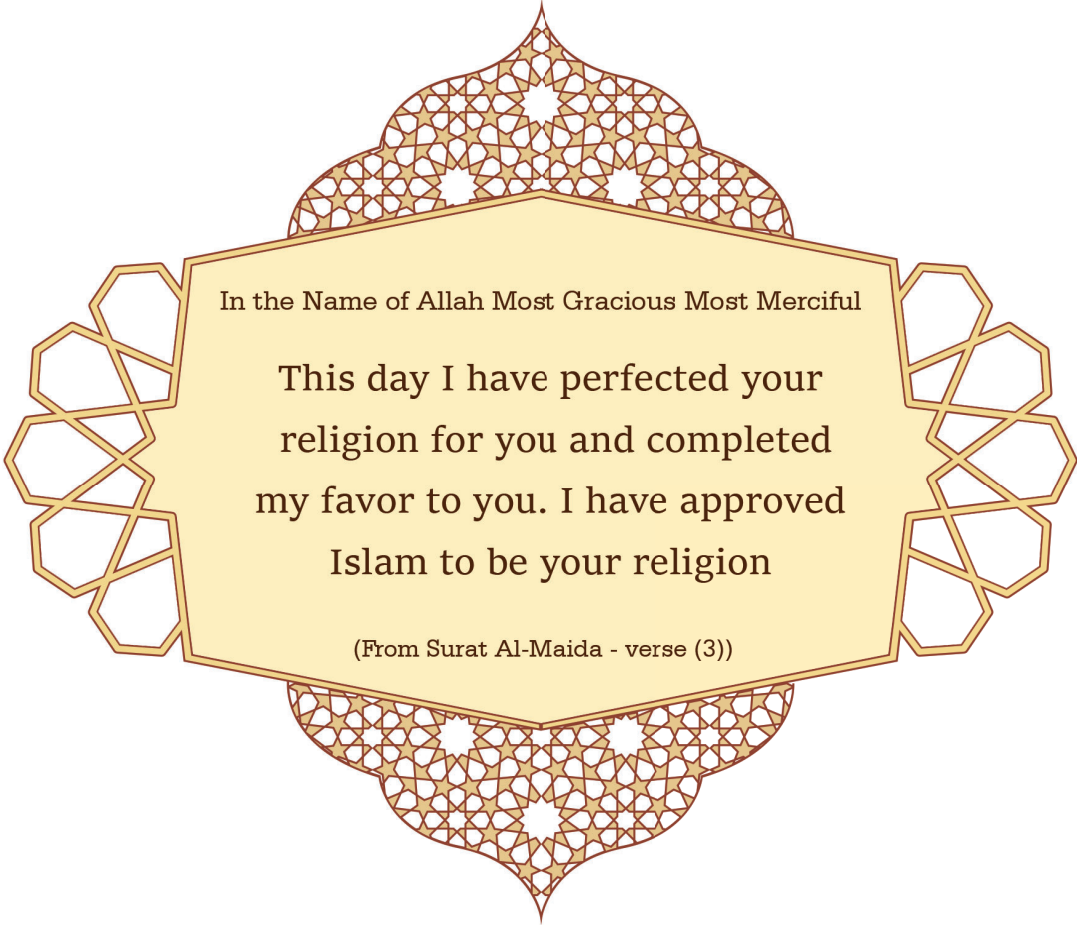
Prof. Hasan Essa Al Hakeem \University Islamic College\ Al Najjaf
Al Ashraf

Prof.Fakher Hashim Sa'ad Al Yasery / College of Education for
Humanitarian Sciences\University of Basrah

Prof. Majeed Hameed Jasim/College of Arts\University of Basrah

Prof. Jawad Kadhum A Nasr Alla\College of Arts \University of
Basrah

Assist. Prof. Mahmoud Mohammed Jayed Alaidani/Scientific
Committee Member of the University of Mustafa/Holy Qom

A decorative frame with a central yellow hexagonal area. The top and bottom of the frame are filled with a brown and white geometric pattern. The sides of the frame are composed of a series of interlocking hexagons.

In the Name of Allah Most Gracious Most Merciful

This day I have perfected your
religion for you and completed
my favor to you. I have approved
Islam to be your religion

(From Surat Al-Maida - verse (3))



Secretariat General of
Al- 'Abbas Holy Shrine



Basrah Heritage Center

Print ISSN: 2518 - 511X

Online ISSN: 2617-6734

Mobile: 07800816579 - 07722137733

Email: basrah@alkafeel.net

**Consignment Number in the Housebook and
Documents in Baghdad: 2254, 2017.**

Iraq - Basrah

Al-Abbas Holy Shrine. Department of Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs. Basrah Heritage Center.

Basrah Heritage : A Quarterly Refereed Journal Specialized in Basrah Heritage \ Issued by Al-Abbas Holy Shrine Department of Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs Basrah Heritage Center.- Basrah, Iraq : Al-Abbas Holy Shrine, Department of Islamic Knowledge and Humanitarian Affairs, Basrah Heritage Center, 1438 hijri = 2017-

Volume : illustrations ; 24 cm

Quarterly.-Third Year, Volume 3, Issue 9 (June 2019)-

ISSN : 2518-511X

Includes bibliographical references.

Text in English ; Abstracts in English and Arabic.

1. Basrah (Iraq)--History--periodicals. 2. Arabic Language-- Grammar--periodicals. A.Title.

LCC : DS79.9.B3 A8373 2019 VOL. 3 NO. 9

DDC : 910.45

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of
Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine



BASRAH HERITAGE

**A Quarterly Refereed Journal
Specialized in Basrah Heritage**

Issued by

Al-Abbas Holy Shrine

**Department of Islamic Knowledge and
Humanitarian Affairs**

Basrah Heritage Center

Third Year - Volume No.3 - Issue No.9

Muharram 1441 A.H / September 2019 A.D